محمود الإنسان

محمود الإنسان
"قراءة الأيام"

تأليف

د. بتول مختار محمد طه

محمود الإنسان

"قراءة الأيام"

تأليف: د. بتول مختار محمد طه

الناشر: الشركة العالمية للطباعة والنشر

المدير العام: الشيخ عووضة

تصميم الغلاف: سامر محمود

إعداد الكومبيوتر: رفعت حسن سيد

رقم الإيداع: 5539/2012

سنة الطبع: 2013 (الطبعة الأولى)

العنوان: 24 ش الصفا والمروة - النزهة الجديدة

إدارة المبيعات: 01001219394

تليفاكس: 26989518

البريد الإلكتروني: Email: elshekh46@yahoo.com

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى روح أبي محمود المقدسة . .

أرفع هذا العمل المتواضع . .

في سجل حياتك الطاهرة . .

وهو بداية لكثير قد تواعدنا عليه . .

أرجو أن أتمكن من إكماله تحت رعايتك . .

وحبك العظيم . .

شكر وعرفان

أجد نفسي مدينة بالكثير لبعض الأساتذة الأجلاء , والأصدقاء , والأخوة الذين , ساعدوا ومهدوا الطريق لهذا الكتاب ليرى النور .

أولاً عظيم شكري للسيدة **Lesley Forbes** مدير قسم الكتب الشرقية بالمكتبة الرئيسية لجامعة **Durham** بإنجلترا، وذلك لما وجدته منها من إهتمام، ورعاية تامة، طوال فترة وجودي بتلك الجامعة ولاهتمامها الخاص بمجريات الأحداث بهذا الكتاب، وكذلك لما بذلته من جهود في متابعة دراستي، فقد مهدت لي كل السبل للوصول للكتب المعينة لي ولمقابلة العديد من الشخصيات الأكاديمية والهامة والذين كانوا في جامعة **Durham** في تلك الفترة، وأخص منهم **Professor Martin Ward Daly** الذي قدم لي مشكوراً العديد من الاقتراحات والآراء التي أفادتني في ترتيب الأحداث التاريخية. الشكر أيضاً موصول إلى **Professor Peter Wood Ward** مدير قسم الدراسات السياسية بجامعة **Reading** لما بذله من عناية واهتمام ومتابعة لعملي الأكاديمي والأعمال التي تبعته. . كذلك يمتد شكري ليشمل جميع أساتذة وأسرة جامعة **Durham**، الذين مكنوني من العمل بالجامعة والاستفادة من جميع أقسام مكتباتها وخدماتها. . كذلك كثير شكري لجميع الموظفين والموظفات بمكتبة **Green Palace** وبصورة خاصة السيدة **Jane Hogan** المسئولة عن المكتبة.

كما أني أشكر المسئولين بجامعة الخرطوم، الذين جعلوا استفادتي من المنحة ممكنة. ويمتد شكري ليشمل الأخ محمد عوض صالح، الذي ساعد في المراحل المتوسطة والأخيرة في إعداد هذا الكتاب، بمراجعة الطباعة على الكمبيوتر والمراجعة المتصلة وكل العمل المضني في تصميم وإخراج هذا الكتاب بصورته النهائية، والشكر موصول للدكتور عادل الطيب الأستاذ بجامعة قطر لمساعدته في المراجعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنا فتحنا لك فتحًا مُبينًا * لِيَغفِرَ لَكَ اللهُ ماتقدمَ مِن ذنبِكَ وما تأخر ويُتِمّ نِعمَتَهُ عَليكَ وَيهدِيَكَ صِراطًا مُستَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصرًا عَزِيزًا *)

صَدقَ اللهُ العَظِيم

(أنا زعيم بأن الإسلام هو قبلة العالم منذ اليوم.. وأن القرآن هو قانونه.. وأن السودان إذ يقدم ذلك القانون في صورته العلمية, المحققة للتوفيق بين حاجة الجماعة إلى الأمن, وحاجة الفرد إلى الحرية المطلقة, هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب.. ولا يهولن أحدًا هذا القول, لكون السودان جاهلاً, خاملاً, صغيراً, فإن عناية الله قد حفظت على أهله, من آصايل الطبائع, ماسيجعلهم نقطة إلتقاء أسباب الأرض بأسباب السماء..

محمود محمد طه جريدة الشعب 1951/1/27)
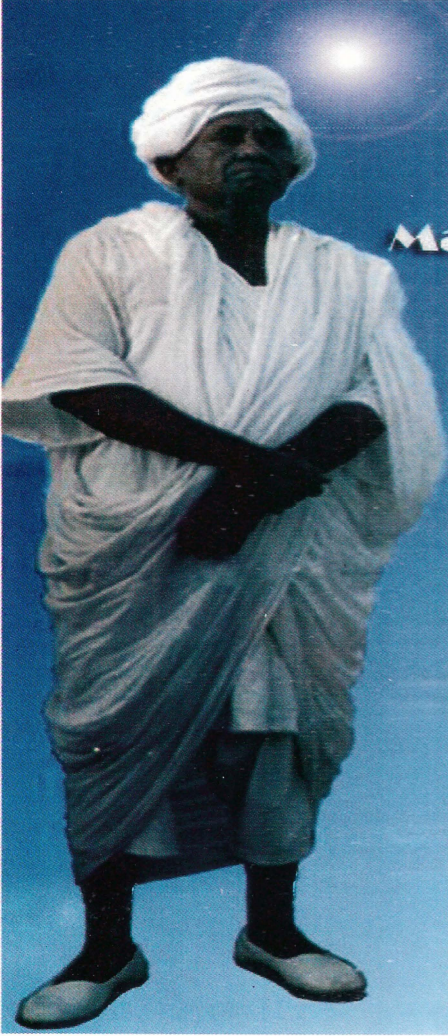
نما جئت به من الجدة، بحيث اصبحت به بين أهلى كالغريب . . وبحسبك أن تعلم، إنما جئت به هو نقطة إلتقاء الأديان جميعها، حيث تنتهي العقيدة ويبدأ العلم، وتلك مرحلة يدخل بها الإنسان ولأول مرة في الوجود تاريخ إنسانيته)

محمود محمد طه مجلة الأضواء

(نحن نبشر بعالم جديد, وندعو إلى سبيل تحقيقه, ونزعم أنا نعرف ذلك السبيل معرفة عملية. . أما ذلك العالم فهو عالم يسكنه رجال ونساء أحرار, قد برئت صدورهم من الغل والحقد, وسلمت عقولهم من السخف والخرافات, فهم في جميع أقطار هذا الكوكب متآخون, متسالمون, متحابون, وقد وظفوا أنفسهم لخلق الجمال, في أنفسهم, وفيما حولهم من الأشياء, فأصبحوا بذلك سادة هذا الكوكب, تسمو بهم الحياة فيه سمتًا فوق سمت, حتى تصبح وكأنها الروضة المونقة, تتفتح كل يوم عن جديد من الزهر, وجديد من الثمر. .)

محمود محمد طه

الجمعة 10جماد الأولى 1373هـ

الموافق 15يناير1954

جريدة الجمهورية العدد الأول

تعريف الأستاذ للحزب الجمهوري
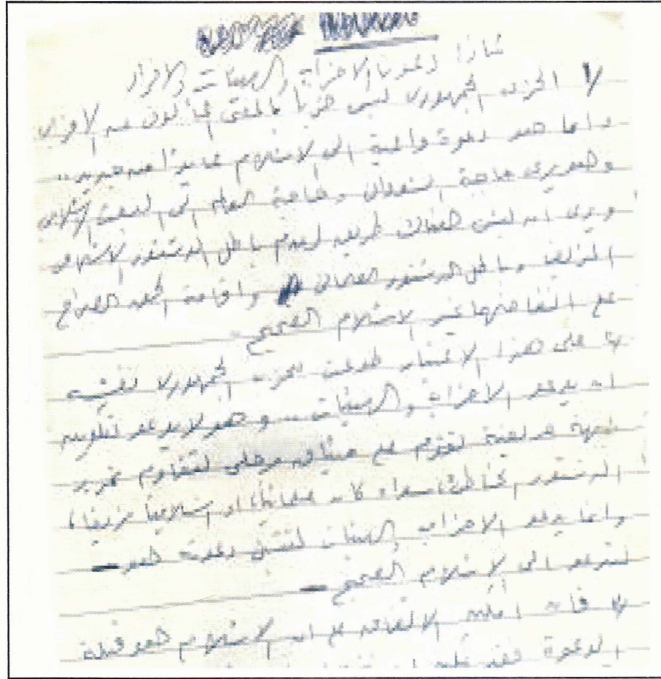
الوثيقة موضحة أدناه:

لماذا دعونا الأحزاب والهيئات والأفراد

1) **الحزب** الجمهوري ليس حزبًا بالمعنى المألوف عن الأحزاب وإنما هو دعوة ، واعية للإسلام ، عائدًا من جديد . . وهو يرى حاجة السودان ، وحاجة العالم إلى البعث الإسلامي، ويرى أن ليس هناك طريق لهدم باطل الدستور الإسلامي المزيف ، وباطل الدستور العلماني ، وإقامة الحق الصراح ، على أنقاضهما ، غير الإ سلام الصحيح .
2) على هذا الاعتبار طوعت للحزب الجمهوري نفسه أن يدعو الأحزاب والهيئات . . وهو لايدعو لتكوين جبهة عريضة ، تقوم على ميثاق مرحلي ، لتقاوم ، تمرير الدستور الخاطئ ، سوى كان علمانيًا أو إسلاميًا مزيفًا، وإنما يدعو الأحزاب والهيئات ، لتتبنى دعوته هو ـ لتدعو إلى الإسلام الصحيح ـ
3) فإن أمكن الاتفاق على أن الإسلام هو قبلة الدعوة، فقد يمكن أن نختلف في التفاصيل ، وقد يمكن أن نتفق على هذا الاختلاف، ريثما يجئ الاتفاق الشامل الكامل، لأن الحق واحد ، والالتقاء التام عليه ممكن . . المسألة قد تكون مسألة زمن ووقت

المؤلفة د. بتول مختار محمد طه

مقدمة

بدأت فكرة هذا الكتاب تختلج في نفسى منذ عدة سنوات ولكـن ثمـة حـذر وهيبة كانتا تقبضان يدي عن الخوض فى عمق حياة الأستاذ محمود العظيمة، تلك الحياة التي لا أدعي تمام الإحاطة بها ولكن هناك الكثير الذي أخذ عقلـي واسـتقر في أعماقي وجعلنى أحس إحساساً عميقًا أن الأمانة تقتضي عليَّ أن أسـجل كـل ماتعلق بحياتي وملاحظاتي الخاصة عن بعض لمحات تلـك الحيـاة، علـها تكـون نبراساً وهدى لمن إقتنع بها و أراد ان يقوم نفسه على ذات النهج . .

الحديث عن حياة الأستاذ محمود، دخول في عمق إنساني غريـب لـه أبعـادٌ معنوية ومساحات شاسعة قلما تتـوفر لمحـات منهـا في حيـاة البـشر وإذا تـوفرت مجتمعه في رجل واحد فهذا أس الغرابة الذي يجعلها تستحق التسجيل . .

من أبرز معالم تلك الحياة هو الحـب العميـق للنـاس، للأحيـاء والأشـياء والصدق مع النفس، ومع الناس ولعل هذا ما جعل كل من عرفـه يتعلـق بـه . . وهناك الكثير الغريب الذى سيرد عن هذا الانسان الكنز في مـتن هـذا الكتـاب إنْ شاء الله . .

بدأت المحاولة في الكتابة منذ عام 1991 في بريطانيا حينما ذهبت في منحة من جامعة درم، عن طريق جامعة الخرطوم، لمتابعة بحثي في رسالة الدكتوراة، ولم

يأخذ عملي في الدكتوراة وقتاً طويلاً وبقى الوقت والمكان ملائمين للكتابة في مثل هذا الموضوع وقد أبدت الجامعة موافقتها على الكتابة في ما تبقى من الوقت .

لفترة طويلة من الزمن كانت الأفكار تحتشد في ذهني والمواقف تلح . . ثم بدأت :ـ

اولاً حددت أبواب الكتاب ، ثم شرعت في الكتابة ، وقد كانت البداية صعبة ، ومازالت الصعوبة تلازمنى ، ولكن بفضل الله فقد تيسر الأمر بعض الشىء وفي نهاية الفترة تمكنت من إنجاز المسودة ، ووضع الهيكل العام لكل الأبواب وإستلمت الجامعة العمل وعدت الى السودان وظللت انتظر الوقت المناسب لتكملة ذلك الكتاب وإعداده للقراء . . فقد كانت حكومة الإنقاذ وقتها (وبشكلها المتشدد دينيا) تجثم على صدر هذه البلاد . . وقد رأيت أن الوقت غير مناسب لأخذ المسودة معي أو أن تصلنى النسخة في السودان لمواصلة العمل فيها ، ظل الحال هكذا الى وقت قريب تمكنت فيه من مواصلة الكتابة بعد أن وصلتني المسودة من انجلترا . . .

على مر العصور ترسخ في أذهان الكثيرين أن كل من دخل في صراع ضد السلطة الحاكمة وفاز بالحكم هو المنتصر ، وبالتالي هو الذي سيسجل له التاريخ . . . ولكن هناك صراع أخر ، ونصر من نوع جديد حققه الأستاذ محمود في هذا العصر للإنسان الأعزل من السلاح ، والزاهد في السلطة ، لم تعرفه البشرية بالشكل الذي حدث به من قبل ، نصر تبددت فيه هيبة السلطان ، وسقط الطاغوت وعلت حرية الفكر وكلمة الحق أمام السلطان الجائر ، وبقى الأستاذ

محمود بعد الإستشهاد رمزاً لحرية الفكر حياً في ضمير من إغتالوه، يورقهم ويغض مضاجعهم بنفس القدر الذي هو حي به فى قلوب وعقول الذين أحبوه، وأحبوا الإنسان، وعشقوا الحرية يشعل فيهم الحماس، والإصرار على الحقوق الأساسية والحياة الكريمة، وأضحى نصباُ للحرية في ضمير كل حر . . . من هنا دخلت الحياة في منعطف جديد، يحتم إعادة كتابة التاريخ من جديد.

للإستاذ محمود حياة واسعة مليئة بالفكر والحيوية والعمل الدوؤب . . ولهذه الحياة ايضاً خاصيتها وأسرارها، وهذا ما لا أدعي فيه كثير معرفة . .

عمل الأستاذ محمود في القطاع العام والخاص وتنقل في مدن السودان المختلفة ثم عمل في الحقل السياسي والثقافي، وطاف كل أقاليم ومدن السودان في حملات دعويه شارحًا فيها دعوته الجديدة للتبشير بالإسلام في وضوح و شجاعة منقطعة النظير . . . سجل رأيا صريحًا وقويًا في كل الأحداث السياسيه العالمية والمحلية . . .

على مدى سنوات عمله في مواقعه المختلفة، عرفه الكثيرون وترك في نفوسهم من الأثر، ما يمكنهم من الكتابه عنه كما فعلت، فالرجل كما قلت كنز لايفنى . .

أنا لا أدعي فهما شاملاً لحياته، كما أني لا أحصيها في هذه الصفحات وإنما اكتب مذكرات عن القدر الذي عايشته وعرفته جيدًا وذلك بإلقاء الضؤ على الأحداث حسب ترتيبها الزمني في ـ كثير من الحالات ـ أرجو أن يكون هذا العمل مرضيًا عنده . . فأنا إبنة شقيقه الأصغر مختار محمد طه، وقد قام الأستاذ محمود

بمهمة رعايتنا وتربيتنا وتعليمنا جميعا أنا وإخوتى بعد وفـاة والـدنا مختـار في بدايـة الخمسينات وقد كنا وقتها صغاراً دون مستوى المدارس . .

كنت الخامسة بين تسعة أطفال ولكني كنت دائمُا قريبة منه منذ طفولتي فقد أحسست بغربته منذ وقت مبكر ، فعشت لصيقة به ورافقته منذ طفـولتي البـاكرة طوال حياتي حتي يناير 1985 فهو والدي، وأستاذى، وصـديقي، كـان دائمًـا يقول لي (أنا راضي عنك تمام الرضا) فارجو ان يصب هذا الكتاب في مجال الرضا عنده، كما أنه لم يتبع اسلوبا متشدداً فى تربيتنا، بل كان دائمًا قريبًا من قلوبنـا، قومنا بسلوكه القويم، وبالقدوة التي جسدها لنا، هذا من ناحية الحياة. وأما من ناحية الفكر، فقد صدقته بإيمان في كل أفكاره وأقواله وأعماله، فهو نافذتي على عالم (اللامحدود) وقد وضعني على قمة قيـادة الأخـوات الجمهوريـات . . كمـا كنت حلقة الوصل بينه وبين أفراد الأسرة وبينه وبين الجمهوريات فقد قال لهن في إحدى الجلسات السلوكية الخاصة بالجمهوريات (بتـول عيـوني داخـل المنـزل) . عزمي على الكتابة عنه يرجع لأسباب عـدة أولهـا أنـي قـد أخـذت بتلـك الحيـاة الخصبة الخلاقة العامرة بالمحبة لله وللناس . . ثانياً أريد لحياته أن تُـسجل وتُحفـظ بنقائها وطُهرها فهي نموذج أصيل للرجال والنساء الأحرار . . حياته هي الأساس لفكره وليس هناك تناقض بينهما وقد عاش وطبق كل ما دعا إليه من مبادىء فقد قال في محاضرة له بعنوان الموقف السياسى الراهن : (قد لا أكون أعلـم كـل شـئ ولكن بالتأكيد كل البعلمو بعملو) إنتهى .

مصادري للمعلومات للفترة من1910 وماقبلها (تشمل حياة والديه) الي 1960م هو ما كان يقصه عليّ، فقد كان في مناسبات مختلفة يحكي لي لمحات من

حياة أسرته وفي إحدى زياراتي له في فترة إعتقاله الأخير 1984م، وعلى مدى ساعات طوال حكى لي قصة حياة أسرته وطفولته بما أسماه (قرآءة الأيام) وإن كان قد ذكر لي بعض جوانب منها، في أوقات كثيرة متفرقة على مدى سنوات طوال. . وستكون قرآءة الأيام هذه هي مركزية ما سأكتب عن حياته والمصدر الذي يلي ذلك، هو ما قرأته من كتاباته وأما الفترة من 1960 وحتى 17 يناير 1985، فهى من إلمامي ومتابعتي الخاصة لأحداث تلك الفترة، ثم من أقواله المتواصلة لي ومن كتاباته ايضاً.

لعب الكثيرون ادواراً مختلفة ومتفاوتة في الحركة وتفاعلوا معها، ولكن نسبة لأن الأستاذ محمود كان المحرك الفعلي الوحيد وراء كل الأحداث فإني سوف لا أركز على كل هذه الشخصيات وإنما أشير إليها كلما كان ذلك ضرورياً. تركيزي الأساسى هو على شخصه ومواقفه، فهو المحور الأساسي لكل الحوادث في مسيرة الفكرة الجمهورية وفى حياته الخاصه.

كلما مرت السنوات كانت حياته تخرج عن إطار حياة الرجل العادي في مثل سنه الى الإطار الذي إختاره هو: "العبادة والتأمل، والتأليف، والرياضة الروحية فى الصوم، والصلاة، والذكر، والمحاضرات، والندوات، وتقديم العون والإحسان للناس الى أبعد الحدود. . . . " ثم متابعة الحركة والوفود التي كان يرسلها الى مدن السودان المختلفه لنشر الفكر الجمهوري وكل الوقت مبذول لتربية وإعادة صياغة وتعليم كل الذين إنتموا الى فكره من الأطفال والنساء والرجال من مختلف الأعمار علي النهج الإنسانى القويم الذي أعده، وذلك بحضورهم في جلسات طويلة يعلمهم فيها الأدب والسلوك الديمقراطي السليم مثل (تعلموا

كيف تصلون)، (تعلموا كيف تتعاملون) (تعلموا كيف تتعلمون)، وكذلك عرض كل الأمور المتعلقة ببرامج الفكرة الجمهورية وتحركات الناس لأعمالهم ونشاطاتهم في النقاشات ومراجعة السلوك الفردي داخل المجتمع الجمهورى وخارجه.

المجتمع كان عبارة عن مدرسة مقسمة بين منازل الأخوان الجمهوريين من الطلبة وغير المتزوجين والذين يفدون من الاقاليم وجميعهم يقيمون فى منازل عبارة عن مدارس، يشرف عليها أكثرهم إلمامًا وتطبيقًا للفكر الجمهورى، كما يقضون كثيرًا من الوقت في صالون منزله الذى أُطلق عليه أسم: (بيت الأخوات) وهو مدرسة أقوم أنا بإدارتها تحت إشرافه المباشر.

سارت الأمور على هذا النهج الى أن نهض لمعارضة نظام جعفر نميرى (1969/ 1985) حين فرض على السودانيين القوانين المذلة والمشوهة للإسلام عام 1983، والتى أطلق عليها الأستاذ إسم (قوانين سبتمبر 1983) ليؤكد بعدها عن الإسلام، والتي إنتهت بإغتياله على يد الطاغية نميري.

من موقف الأستاذ هذا أمام الطُغاة ومواجهته للموت بإبتسامة، يتوجب إعادة كتابة التاريخ من جديد بأسلوب يختلف عن الأسلوب الذي عهدناه (تسجيل للحكام)، إذ أن حقيقة التاريخ هو سير (الانسان) في الزمن ليصل الى القمة التي من أجلها خُلق (إني جاعل في الأرض خليفة). وهذا ما أشار إليه الأستاذ في إهداء كتابه "الرسالة الثانية من الإسلام" حيث قال:

الإهداء

(إلى الإنسانية !

بشرى . . وتحية .

بشرى بأن الله إدخر لها من كمال حياة

الفكر ، وحياة الشعور ، مالا عين رأت ،

ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وتحية للرجل وهو يمتخض ، اليوم ، في

أحشائها ، وقد إشتد بها الطلق ، وتنفس

صبح الميلاد .)

والبشرية اليوم تسير في التيه ولسان حالها ينتظر شروق يوم الميلاد .

الفصل الأول

تاريخ الأسرة وماقبلها 640 م ـ 1910م

بعد إنتهاء فترة الخلافة الراشدة وبداية الفتنة الكبرى رأي الصوفية أن الدنيا قد بدأت تفرض سلطانها على الدين كما قال النبي الكريم : (الخلافة بعدي ثلاثون عامًا ثم تصير ملكًا عضودًا) ، ففروا بدينهم إلى الفلوات وبلاد الدنيا ، حفاظًا عليه ، وقد بدأ نشر الإسلام في السودان عن طريق الصوفية وذلك قبل حملة عبد الله ابن أبي السرح إلى أرض السودان في عام 643 م 18 هجرية (الغزو الرسمي الذي توقف في دنقلا) .

جاء ضمن هذه الهجرات جده غلام الله بن عايد*[1] قادمًا من اليمن وإستقر في دنقلا وكان يعمل على نشر تعاليم الإسلام وتحفيظ القرآن وقد جاء في التاريخ أنه اول من بنى مسجداً في السودان في مدينة دنقلا يسمى مسجد غلام الله وهو أول مسجد في السودان وثاني مسجد في أفريقيا بعد الفسفاط .

يرجع نسب والده محمد طه مالك الفضل إلى ركاب بن غلام الله بن عايد ، وعائد هو سليل جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن على بن ابي طالب وزوجته السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، (أنظر شجرة النسب) ، (راجع كتاب الطبقات قبائل ومشايخ السودان) ، وعرف آل محمد طه بالركابية نسبة إلى جدهم ركاب بن غلام الله ومقرهم قرية مورا مركز دنقلا بالمديرية الشمالية وهذه القرية تعتبر المركز الأول لقبيلة الركابية في السودان ، كما سكن بعضهم كورتي شرق والعفاط ، ثم نزحوا إلى وسط السودان قبل المهدية وقد عمل بعضهم مع الحكومة التركية ، وفي

---

(1) سمي غلام الله لأنه عندما كان طفلاً في اليمن إحترق منزل أسرته عن آخره وهو بداخله وعندما دخلوا عليه وجدوه حيًا لم تحرقه النار فقالوا عنه هذا غلام الله وأسمه الحقيقي أحمد .

فترة المهدية تحركت مجموعات منهم إلى امدرمان وإستقروا في الحي الذي سُمي بحي الركابية، ثم إختلف بعضهم مع الخليفة عبد الله التعايـشي فنزحـوا إلى البطانـة، وبعد هزيمة الخليفة عبد الله التعايـشي إزدادت هجـراتهم إلى بـارا وأرض البطانـة القضارف ورفاعة حيث سكن عدد كبير منهم في الـديم برفاعـة وظهـروا كأسـرة واحدة وعملوا في التجارة والزراعة

شجرة نسب الأستاذ محمود محمد طه

الأستاذ يوقف الذكر وكانه يقول...

(هلموا إلينا)
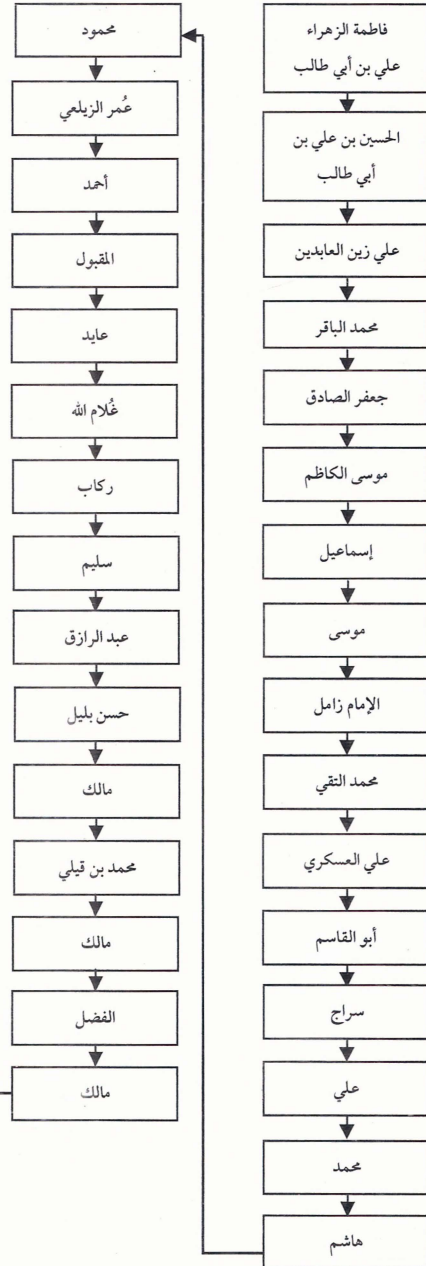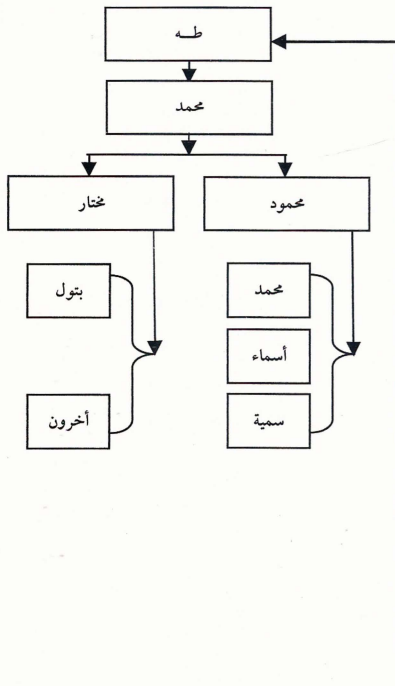
مواقع الركابية في السودان
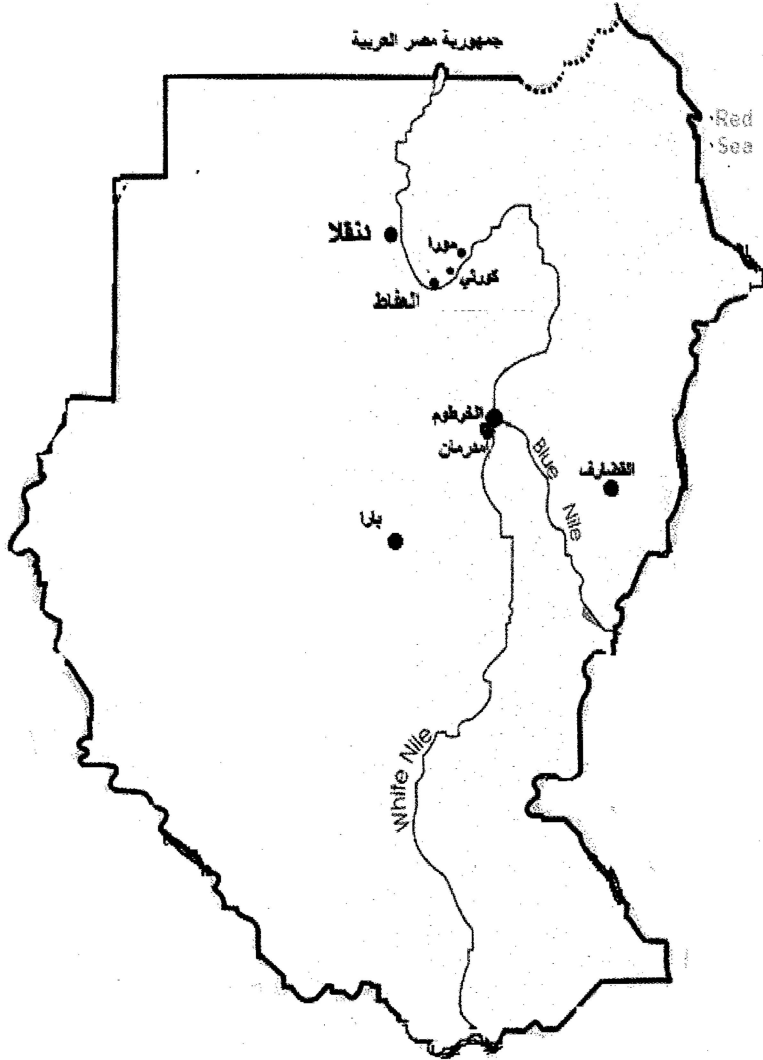
النيل الأزرق (ولاية الجزيرة حالياً)
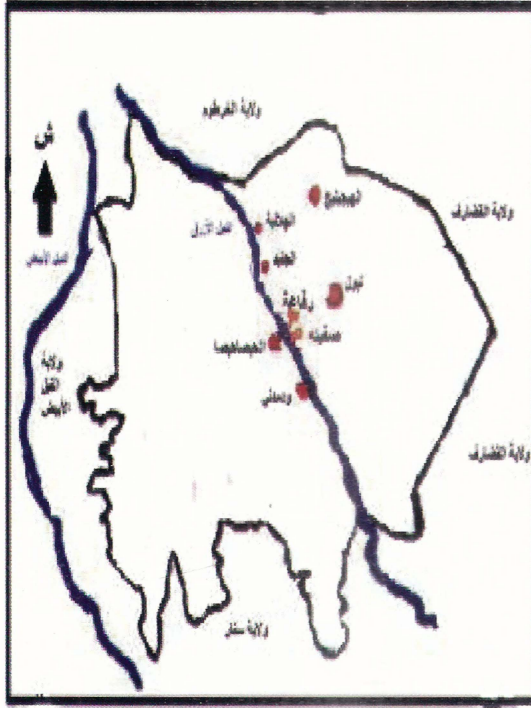
المفتاح :

- صفيته ، حيث قبرت والدته ومقر أسراتها
- الهيجيليج ، نشأ فيها وقبر فيها والده
- رفاعة ، ولد فيها وقضي فيها الخلوة الإختيارية

ومقر زراعتهم في قرية، الهجيليج حيث إمتلكوا الأراضي وعاشوا في وئام مع قبيلة السدارنة الذين سبقوهم الى المنطقه (السدرانة أصلهم محس يرجع نسبهم إلى عبيد*[2] بن ابي بن كعب الأنصاري دخلوا شمال السودان وكانوا يقطنون بين الشلالين وقد إنتشروا في عدة مناطق في النيل الأزرق وإستقروا في أرض البطانة، وموضع إهتمامنا هنا الذين إستقروا في الهجيليج حيث إختلطوا مع الركابية أهل محمد طه وعاشوا في وئام وسلام وتزاوجوا مع بعضهم البعض وعاش محمد طه وسطهم وكان محبوبا بينهم كما سيظهر في الصفحات التالية).

أما والدة الأستاذ محمود فهى فاطمه محمود حسين من قبيلة الكنوز البديرية من شمال السودان، جاء والدها محمود حسين من الريف المصري وكان يعمل في الجيش التركى. ووالدتها تدعى زينب بنت حمزة، رحلت أسرتها من الشمالية وإستقرت في قرية صفيتة غرب مدينة رفاعة في مديرية النيل الأزرق (حاليًا ولاية الجزيرة) (أنظر الملاحق: الخريطة).

إلتقى محمد طه بفاطمه محمود حسين في منزل ابنة خالتها فاطمة بنت ضرار زوجة عبد الله الغول فى مدينة أمدرمان حي بيت المال، وقد جاءت فاطمة مع أسرتها لحضور حفل زواج في الأسرة وكان محمد طه يقرب لرب الأسرة عبد الله الغول. وبعد تلك المناسبة ذهب محمد طه الى أهلها وتقدم لخطبتها وتم الزواج ورحل بها حيث إستقرت معه في منزله القائم على شاطئ النيل الأزرق فى مدينة رفاعة في حي صغير يقع غرب المدينة يعرف بأسم الديم الغربى وقد كانت معهم جدتهم زينب بنت حمزة والدة فاطمة. .

---

(2) المصدر كتاب نعوم شوقير جغرافية وتاريخ السودان صفحة 61 بيروت 1967

الأبناء والبنات:ـ

أنجب محمد طه وفاطمة خمسة من الأبناء والبنات وكانوا على التوالى بتول 1907م، ثم كلتوم 1909م وجاء بعدهُن الأستاذ محمود 1911[3] ثم مختار 1913 وأخيراً أحمد المصطفى 1915م وحين انجبت فاطمة طفلها الأخير أحمد المصطفى روى لي الأستاذ محمود انها قالت : (أحمد المصطفى منه الولادة كفى)، يعني أنها لن تنجب أطفالاً بعده، وحدث ذلك فعلاً فقد توفى أحمد المصطفى بعد ولادته، وقد أُصيبت فاطمة بداء السحائي (الحمى النخاعية) وتوفيت في ذلك العام ودفنت في قرية صفيتة مقر أسرتها وقال لي الأستاذ محمود أن قبرها مجهول لديهم. وفي نفس العام أيضًا توفى الشيخ طه أحمد البدوي وهو من كبار الصوفية في المنطقة، وتم دفنه في رفاعة، وقامت حوله مقابر أهل المدينة، وقال لي الأستاذ محمود أن وباء السحائى الذي حصد العديد من الأرواح قد رُفع عن الناس في ذلك العام. . كما قال لي ايضًا أن مثل هذا الوباء عند ما يقع لايرفع الا بوفاة شخص صالح يكون بمثابة فداء للناس*[4] وقد تم الفداء ورفع البلاء. . وحكى لي تبعًا لذلك وقائع أوبئة كثيرة حدثت فى السودان ورفعت بعد وفاة رجل صالح وقد كانت هذه القصص إشارات لأحداث كبيرة ستأتى فيما بعد وسوف اتطرق

---

(3) وردت إفتراضات عن ميلاد الأستاذ محمود منها 1909 ، 1910 ، 1911 والراجح 1911 لأن والدتهم فاطمة محمود حسين توفيت عام 1915 بداء السحائي وهذا تاريخ مؤكد لانه نفس العام الذي توفى فيه الشيخ طه وقد انجبت فيه فاطمة احمد المصطفى 1915 وقياسًا على هذا فإن تاريخ ميلاد مختار 1913 ومحمود 1911، فقد قال الأستاذ ذات مرة (ان الناس يولدون ولا أحد يهتم لميلادهم ولكن عندما يصبحوا عظماء يبحث الناس عن تاريخ ميلادهم)، وهذا ما حدث فعلا في البحث عن تاريخ ميلاد الأستاذ.

(4) الفداء معتقد صوفي ثابت

لها فى حينها . . بعد وفاة الوالدة فاطمة محمود حسين، بقى الولدان محمود ومختار والبنتان بتول وكلتوم أيتامًا وقد قامت برعايتهم جدتهم لوالدتهم زينب بنت حمزة مع مربيتيهم ربى جود، وزايد المال .

عمل والدهم محمد طه :ـ

كان والدهم محمد طه تاجراً يعمل في تجارة العطور وفي نفس الوقت يعمل في الزراعة يزرع الخضروات والذره في مزرعتة بقرية الهيجيليج، تبعد هذه القرية حوالي 15 كيلومتر من مدينة رفاعة وتقع في المنطقة الشرقية بين خطي عرض 5/ 35 و 30/ 33 وخطي طول 45/ 14 و 15 في شرق النيل الأزرق وهي منطقة ذات مناخ جاف بارد شتاء وحار صيفاً وفي فصل الخريف تتأثر المنطقة بالرياح الموسيمية المحلية الرطبة والتي تتسبب في هطول الأمطار لمدة أربعة أشهر من العام (أنظر الخرطة) ويعمل كل سكان هذه المنطقة في الزراعة وقد أصبحت هذه القرية أكثر أهمية بعد قيام مصنع الجنيد للسكر في الستينيات من القرن الماضي، إذ أصبحت تمد المصنع بقصب السكر الذي يقوم بزراعتة مزارعو هذه القريه وملاك أرضها وتبعًا لذلك فقد تحسنت الأوضاع الإقتصاديه لأهالى القريه . . .

نهج حياة الأسرة:ـ

كان محمد طه يقيم في مدينة رفاعة، في فصلي الشتاء والصيف، ثم ينزح في فصل الخريف (موسم الزراعة) الى قرية الهيجيليج حال أهل رفاعة حيث يقوم بمباشرة عمله في الزراعة وقد عرف محمد طه بشجاعته وكرمه وأسلوبه المتميز في الحياة . . فقد كان ميسور الحال يستدين منه أهل القرية وعندما يحتاج الى ماله

لايطلبهم حقه وإنما يكتفى بأن يمر على مجموعاتهم في طريق عودته من العمل الى منزله ويحييهم بقوله: (السلام عليكم. . ود طه بسلم عليكم. .) وكانوا سرعان مايفهمون قصده ويعيدون له أمواله.

ومن أخبار شجاعته قيل أن التجار في ذلك الزمان كانوا يخافون اللصوص وقطاع الطرق والحيوانات المفترسة في أسفارهم، ولا يسافرون إلا في مجموعات ولكن محمد طه كان يسافر منفرداً وكان يخشاه قطاع الطرق، وحين يقابلونه يحيونه وينصرفون غنه وقال لي الأستاذ محمود أنه يذكر وهو في السابعة من عمره كان يرافق والده في بعض أسفاره وكان لا يخشى مخاطر الطريق. . وقد قالت لي أمنا ربي جود أيضًا أنها سافرت معه وكانت الطرق وعرة، وكانت تقابلهم الوحوش ولكنه كان لايعبأ بها بل يسير في طريقة ولاتقربة. . . حكى لي أيضًا الأستاذ محمود أن لهذه الأسرة تاريخًا فريداً في الشهامة فقد قُتل جد محمد طه أسمه الفضل وهو عريس في أسبوعه الأول حينما نشبت مشاجرة بين رجلين من أهالي الحي وأسرع الفضل ليفصل بين الرجلين، وأراد أحدهم أن يضرب الأخر فسقطت الضربة على الفضل، وتوفى في الحال وخرجت والدة العروس لتنبه الجمع بأن الفضل قد دخل بإبنتها، وقد تم الزواج قبل أيام وذلك تحفظًا من الجدة إذا ما ظهر حمل يكون معروفاً لدى الناس وبعد أشهر ظهر أن زوجة الفضل تحمل طفلاً هو مالك والد محمد طه وقد علق الأستاذ محمود على تلك الحادثة مشيداً بحكمة تلك المرأة. . قيل أن مالك هذا كان كثير الذكر لله، وكان لسانه دائمًا يلهج بالذكر لدرجة أنه عند ما يدخل دورة المياه كان يمسك بلسانه بين أسنانه ليوقف الذكر حتى يخرج إلى المكان الطاهر. .

هجرة الأطفال الأولى من المدينة إلى القرية :-

كان لمحمد طه فلسفته الخاصة في الحياة فلم يكن يتفق تمامًا مع أساليب الحياة في المدينة، ولا مع ممن كانوا يتمسكون بها، وكان يريد لأبنائه أن ينشأوا في القرية ليكتسبوا أصائل الطباع مثل الكرم، والشجاعة، والمروءة، وكل القيم الإنسانية الأخرى التى توجد في القرية أكثر مما هي في المدينة، الكثيرون من الناس في ذلك الزمان كانوا يرسلون أبناءهم الى البادية ليرضعوهم في البادية وتتفتح عيونهم في البادية.

بعد وفاة زوجته كره محمد طه ذلك المنزل ورحل باطفاله الى قرية الهجيليج، وكان ذلك في عام 1915م، وقد صور لي الأستاذ محمود مشهد ذلك الخروج بقوله: (خرج محمد طه بأطفاله من المدينة، أربعة أطفال (بنتين و ولدين) في هودج على ظهر جمل، في يوم ممطر يعبرون الأراضي الواسعة ليواجهوا حياة جديدة في مكان جديد) إنتهى. .

لا يذكر الأستاذ محمود شيئًا عن والدته إلا ما قصته عليه عنها صاحباتها، فقد عرف عنها أنها كانت جميلة ذات قوام قض وكانت تجتهد في التزين لتبدو أكثر جمالاً وعلى ضوء هذه الأوصاف كان في ذات يوم يمزح معي في لطف، ليقارن بيني وبين جدتي. . . ولكن أردف قائلا: (لكن أنتى إمتزتى عليها بالتعليم ولكل زمان متطلباته)، كانت مثل هذه التعليقات تصدر منه من حين لآخر وكنت أشعر فيها بالراحة واللطف. . بناء على ما سمعه عن والدته وما عرفه عن والده، كان عندما يتحدث عنهما وعن سيرتهما ومواقفهما، كنت احس منه أنهما شخصان (خاصان) وأن هناك إختيارات إلهية غريبة جمعت بينهما ولازمتهما في مسيرة حياتهما.

بالرغم من أن الأستاذ لايتذكر شيئًا عن والدته فهو يتذكر بعض الأشياء عن والده فقد كان كما قال: (أنه رجل أسمر نحيف طويل القامة وله شعر أسود كثيف على صدره) كما قال أنه يتذكر، أنه قد ساعد والده في أسفاره للتجارة، وفي الزراعة في مزرعتة. كما قال أنه إعتاد أن يساعد والده في أعباء المنزل فقد كان يحضر الماء من النهرعلي ظهر حماره (لم تكن توجد فى ذلك الوقت شبكة مياه فى القرية)، وأردف: (أن مدخل الشاطئ كان عاليًا وكانت الحمارة تنزل للماء وتخرج بمشقة وهى تحمل الماء فكنت عندما أذهب مع أقراني من الحي لإحضار الماء أنزل بحمارتي وأملا وأخرج بالحمارة من الشاطئ العالي محملة بالماء تخرج بعناء فتدور حول نفسها من ثقل الحمل وكنت أعطف عليها) وقال أنه (قد نشأت بينه وبين تلك الحمارة علاقة تعاطف حيث أصبح لا يتحمل أذاها وكان عندما يملأ الماء لا ينتظر أقرانه بل يذهب حتى لايؤذي الحمارة..) وقد ظللت أحفظ هذه القصة في ذهنى دليل على رهافة الحس وهو مازال طفلاً في السابعة من عمره.

1915ـ1920 الحياة في القرية ووفاة الوالد:ـ

في قرية الهيجيليج إستقرت الأسرة في منزل كبير بالقرب من المزرعة (مازال هذاالمنزل موجودًا يسكنه أحد أقرباء الأسرة فقد أهداه له الأستاذ محمود).

واصل محمد طه أعماله في الزراعة والتجارة وحين بلغ محمود سن السابعة قال: (أنه مع أخيه مختار دخل الخلوة في القرية ولكنه لم يحفظ القرأن.. وقد تدرب على المساعده في الزراعة وأمور الأسرة.. كان محمد طه يهتم بولديه إهتمامًا كبيرًا ويسهر على راحتهم، وقد لاحظ هذا الإهتمام صديقه الشيخ بشير ود آدم، شيخ السدارنة في الهجيليج، فقد كانت روابط المحبة بينهم قوية، كان بشير يقول

لمحمد طه (إنت تعبان في الأولاد ديل إنشاء الله ينفعوك) وكان محمد طه يرد على صديقه (والله كان الله آحياك الأولاد ديل أمانة ماتشوف فيهم شوف، كان في طاقة في السماء يدخلوا منها)*[5]

ولكن لم يمض وقت طويل حتى روع الأطفال بوفاة والدهم، وقد كان ذلك في عام 1920م فقد حزنت عليه القرية حزنًا شديدًا وأجتمع الرجال والنساء يضربون النحاس ويبكون بكاء مُرًا ويرددون عبارات (يا ابويا هوي، يا ابويا هوي، يا ابويا هوي) وقد قيل أن النحاس عندهم لا يضرب إلا حين وفاة عظيم بينهم، وقد حكى لي الأستاذ محمود أنه عند الوفاة حضر أهل محمد طه من الركابية ليأخذوه لدفنه في رفاعة حيث قبيلته كما أعترضوا على ضرب النحاس وأمروا بوقفه، ولكن أهل الهيجليج وهم قبيلة السدارنة رفضوا أن يعطوه أباهم قائلين: (ود طه لاقعد معاكم ولاحقكم، حقنا نحن، ونبكيه على طريقتنا)، وفعلا تم دفنه في الهيجيليج في مقابر تدعى(ود أب حامد) قيل أن محمد طه قد دفن بين شجرتين في تلك المقابر . .

ترك محمد طه لأبنائه الأرض الزراعية وعدد من الماشية وكتب للبنتين كلتوم وبتول بعض هذه الأشياء ومازالت تلك الكتابات موجودة. كان حب السدارنة لمحمد طه شديدًا وكانوا يريدون أن يحتفظوا بأبنائه من بعده، وعندما تزوجت كلتوم ابنته من رجل من قبيلة الركابية غضب السدارنة عضبًا شديدًا وإعترضوا على الزواج وعلى رحيل كلتوم إلى رفاعة بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك وكتبوا هجاءً في الركابية الذين تسببوا في ذلك الزواج*[6] .

---

(5) مقابلة مع الأستاذ معتصم محمد الحسن محجوب محمد خير من أعيان الركابية بمدينة رفاعة .
(6) (الأستاذ معتصم ـ المصدر السابق فبراير 2010) .

بعد وفاة محمد طه وعندما كبر الأستاذ ودخل الحياة العملية ظل وفيًا وبـراً بأهل تلك القريـة فقـد أهـدي أراضـي والـده الزراعيـة وأراضـى بعـض إخوتـه للمحتاجين من سكانها .

قال الأستاذ محمود : (أن سكان تلك القرية قد عانوا كثيراً في المهديـة ، فقـد حكى له كبار السن في القرية أنهم عانوا من الجوع وقلة الموارد ، حتى قـد أصـيبوا بالعشى الليلي ، وكانوا يجتمعون لتناول وجبة العشاء في مكان معلـوم في القريـة ، ولكنهم لا يبصرون ليلاً ، ولذلك كانوا يضربون مسماراً كبيرا في ذلك المكان الذي يريدون تناول الأكل أمامه ، ثم يربطون عليه حبالاً ، كل حبل يصل إلى منزل كل فرد منهم يربطه على قدمه ، وبعد غياب الشمس يتتبع كل منهم ذلك الحبل حتي يصل الى مكان العشاء ، كما أن سكان هذه القرية قد عانوا من هجمات الجهاديـة (جنود المهدي) حيث كانوا يهجمون فجأة على القرية ويسلبون الملابـس الجديـدة من أهلها ويأخذون الطعام من كل من يوجد عنده طعام أو حتى دقيق ! ! ولكبـار القرية قصص كثيرة عن معاناتهم في المهدية) .

الأستاذ محمود بصفته مقيمًا في الخرطوم ، فقد سـاعد أهـل تلـك القريـة في تطوير قريتهم بما له من صلات مع المسئولين ، بفتح المدارس والمراكـز الـصحية ، كما قام بإيواء بعض أبنائهم في منزله بأم درمان ، وساعد في تعليمهم ، كذلك آخى بينهم ، فقد كانت القرية دائمًا منقسمه على نفسها ، بين قبيلة السدارنة فيما بينهـا وأطراف أخرى ، كل منها تعترض على أي عمل تقوم به الجهةالثانية ، حتى أثـر ذلك الخلاف على نمو وتطور الخدمات في القرية .

بذل الأستاذ محمود مجهوداً في المؤآخاة بين الفريقين، وكان يرسل بعض الأخوان الجمهوريين لهذه القرية بين حين وآخر لمتابعة الصلح وعندما إلتآم الشمل فى عام 1982م سعد الأستاذ كثيراً بذلك الصلح وكتب الخطاب التالي لأبناء القريه مهنئا :ـ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يوم الاحد 26/ 9/ 1982م ، وقفة عرفة لحج عام 1402هـ

إبني خالد، إبني إبراهيم عبد الهادي أهلي وعشيرتي أهل الهجيليج كباراً وصغاراً نساءاً ورجالاً حفظكم الله جميعًا . .

التحية الطيبة المباركة عليكم جميعًا، والمحبة الشاملة، التامة لكم جميعًا . . لقد سررت غاية السرور عندما وصلنى جواب إبني إبراهيم عبد الهادى، يحوي مشروع الصلح الذي تم بين أهلى وعشيرتي ناس الهجيليج، وكان الخبر قبل ذلك بقليل قد وصلني من إبني محمد زين محمد طاهر بابكر، فلله الحمد أولاً وأخراً وله الشكر . . إن وحدة الصف هي أُس نجاح كل مسعى، في أمر الدين، وأمر الدنيا . . وإن قرية الهجيليج تستحق أحسن وضع في أمر دنياها، وأمر دينها . . وإني أكاد أرى مستقبلها، هذا بعون الله وبتوفيقه .

إنى أعتز وأفخر بإنتسابى إليكم، وأذكر، بكل الخير، نشأتي بينكم، وبين آبائكم، وأجدادكم، منذ طفولتي الباكرة، ولذلك، فما في الدنيا خير إلا أبغيه لكم وأسعى فى توصيله إليكم . .

وأنا أكلف بجوابي هذا، الذى يحمله إليكم وفد من أبنائى من العاصمة، أكلف إبنى خالد وأخوانه، أن يقوموا على رأس هذا الوفد ليحضروا جميعًا أول صلاة عيد موحدة، بعد فرقة، وإنشعاب، إستمر بعض الوقت في القرية العزيزة، وآمل أن يديم الله عليكم الوفاق، وأن يلقيكم السداد والنجاح في أمر معاشكم وأمر معادكم إنه سميع مجيب.

حفظكم الله جميعا . .

أخوكم ووالدكم

محمود محمد طه . .) إنتهى

وفي السنوات الأخيرة إنضم الكثيرون منهم الى الفكرة الجمهورية وكان عندما يزوره بعض الرجال من أهل القريه يسألهم عن زملاء الدراسة والصبا القدامي ويذكرهم حتى بأسماء اللعب مثل (الكدك) او الأسماء التى يطلقها الأطفال على بعضهم البعض. . . كانوا يتعجبون من قوة ذاكرته وتقديره لأصحابه القدامى. . وفي فترة إعتقال الأستاذ محمود الأخيرة، حضر وفد من أهالي تلك القرية، وبتوحد وبساطة أهل الريف اقدموا نحو معتقل الأستاذ بعربة كبيرة وتوجهوا نحو بوابة المعتقل وكأنهم يزورنه في منزله، وعندما سألهم رجل الأمن، من أنتم؟ قالوا: (جئنا لزيارة الأستاذ)، فأعتقلهم جميعاً وكادوا أن يدخلوا في مشكلة مع قادة جهاز الأمن، ثم أطلق سراحهم.

الأسرة بعد وفاة الوالد محمد طه:

بعد وفاة الوالد محمد طه واصلت المربيتان ربي جود وزايد المال، رعاية الأطفال مع جدتهم زينب بنت حمزة، وقد كانت ربي جود أكثر نشاطًا وهمة في أعمال الزراعة ورعاية الأسرة والإحساس بالأطفال والعطف عليهم، فقد كانت أيضًا شديدة الحب والإخلاص والوفاء لوالدتهم، وقد قال لي الأستاذ أن ربي جود في شبابها قد عانت وواجهت الكثير من الصعاب في تربيتهم، وقد كانت جملية وتقدم لها الكثيرون يطلبون يدها ولكنها رفضت الزواج عدة مرات حتى تتفرغ لتربيتهم، وقد ذكر عنها أنها كانت مربية جيدة أنشأتهم على النظام والآدب وعزة النفس، ويذكر أنها كانت تمنعهم منعا باتًا من تناول الطعام في منازل الآخرين، قال لي: (في ذات مرة جاء مختار يحمل طعامًا في يده أعطته له إحدى قريبات الأسره الجارات في الحي، وعندما رأته ربي جود غضبت غضبًا شديداً وإقتادته من يده الى تلك السيدة تلومها على إطعامه بتلك الصورة، وأعادت لها ذلك الطعام!! ووبخت مختار على ذلك). ومنذ تلك اللحظة أصبح معلومًا لديهم أن تناول الطعام ممنوع خارج المنزل وأنه مسموح لهم باللعب مع أقرانهم الى أي وقت شاؤا ولكن في وقت الطعام يجب أن يعودوا الي المنزل، ثم يتناولوا الوجبة بنظام معين.. وقد حكت لي ربي جود أنها كانت ترفض مبدأ الدلع في التربية، مثلا إذا غضب أحدهم لأي سبب ورفض الطعام، كانت لاتحاوله حتى يعود من تلقاء نفسه وقد حدث منهم مثل ذلك مرات وعادوا عندما صرفت عنهم النظر، وبذلك تركوا عادة رفض الطعام بسبب الغضب..

كانت مربيتهم زايد المال مثل ربي جود، تسكن معهم في المنزل وكذلك تساعد في الأعمال المنزلية لا أعرف عنها الكثير إذ لم يحدثني الأستاذ كثيراً عنها سوى أنه قال لي ذات مرة أنها عندما تكون غير راضية عنه لقيامه بعمل ما، تقول له (إنتى ساوه راسك الكبيره دي) وقد كان يضحك كثيراً عند ذكر تلك العبارة. . مما جعلني أعتقد أن لها مغزىً خاصًا عنده.

أما جدته زينب بنت حمزة فيذكر أنها كانت إمرأة متدينة وخيرة وكلما يتحدث عنها يقول: (الصلاح إمرأة)، كانت تحبه حبًا شديداً وإذا قدمت له طعامًا او حلوى تؤثره بها على نفسها، كانت تصر عليه أن يتناولها، وإذا طلب منها أن تتناولها هي، كانت تقول له: (وحياة من خلقني كان أكلتها أنت كأني أكلتها أنا) كان في مرات متفرقة يحدثني عن شفافيتها ودعواتها له بالتوفيق وبالخير. . وكانت دائما تتمنى أن يحضر وفاتها، إذا وافاها الأجل وتقول له: (أنت تحت راسي وترجع بى ناسي) وهو تعبير سوداني محلي، يعني أنت عند وفاتي تشرف على دفني تضع رأسي في القبر وترجع بالمشيعين لي. . . وقد كان لها فعلاً ما أرادت. . فقد حضر وفاتها وأشرف على دفنها وكان ذلك في عام 1948م. . كنت أعتقد دائمًا انه قد إستوعب حياتها في حياته، قال أيضًا: (أن ربي.جود قد رافقت زينب بنت حمزة وأنها قد تشربت الكثير من الصفات الخيرة منها).

هجرة الأطفال الثانية من القرية إلى المدينة:-

في القرية دخل الشقيقان محمود ومختار الخلوة ولم تكن في القرية وقتها مدارس ولهذا السبب عندما بلغا سن المدارس، عادت الأسرة مرة أخرى الى رفاعة وأستقروا في منزلهم القديم الذي ولدوا فيه. وإلتحق محمود ومختار بالمدرسة

الأولية وكانا يعودان للقرية للزراعة في موسم الخريف، ليزرعوا ويحصدوا من الذرة والخضروات مثل البامية الجافة وغيرها مايكفي حاجتهم لمدة عام كامل، وفي هذه الحالة قد يتغيبان عن المدرسة لفترة وكانت سلطات المدرسة لاتسألهم عن الغياب لأنها تعرف ظروفهم. وقد كان الأستاذ يقول لي: (عندما كنا صغاراً لم نكن منعمين مثلكم، فقد كنا أيتام. . كنا نعمل في سن مبكرة لنجمع قوتنا إذ لم يكن لنا أعمام ولا أخوال ولا شخص يشرف على تربيتنا)، كانت مثل هذه القصص تثير في نفسي العطف والحزن، وأحياناً كنا نبكي لما عانوه في طفولتهم، وكان هو يبتسم وهو يحكي لنا كأنه كان يرى أن تلك لم تكن معاناة. وكان أحياناً يقارن بين طفولتهم وطفولتنا عندما كنا مثلاً نبالغ في إختيار الأحذية ونأخذ وقتًا طويلاً في المحل التجاري لنختار الحذاء الذي يعجبنا يقول لنا أنهم كانوا أطفالاً(كباراً) لايلبسون أحذية ويمشون حفاةً كما قال: (انه كان من الطبيعي في ذلك الزمن أن ترى في القرية أولاداً كباراً يمشون في الطرقات "عراة ليس عليهم أي ملابس" وقد كان مثل هذا الحديث يضحكنا كثيرا. .

تقييم الأستاذ محمود لحياته الباكرة :ـ

للأستاذ محمود تقييمه الخاص لمسيرة حياته مبنى على نظرته التوحيدية ورأيه في مسألة التسيير والتخيير فقد سرد عليّ ملخصًا لحياته وحياة أخوته في إحدى زياراتي له في معتقله في منزل حكومي في شارع البلدية في الخرطوم*[7] عندما أعتقلته حكومة جعفر نميرى العسكرية في 9/ 6/ 1983 لمدة عام ونصف بدون

(7) فقد اعتقلت ومعي ثلاثة من الجمهوريات في عام 1983، واطلق سراحنا قبله في 28/ 2/ 1984 بعد 9 أشهر وعشرة ايام قضيناها في سجن امدرمان قبله، و كانت لي زيارات منتظمة له استطعت بتوجيهه ان انظمها مع مدير القسم العقائدي في جهاز امن الدولة.

محاكمة وذلك لمواجهته إحتواء نظام نميري لفلول الهوس الديني الذي أخذت السطلة تتجه نحوه، ثم أعلنت تلك القوانين الجائره التي أسماها ذلك النظام إسلامية ولم تكن كذلك. كانت لي زيارات منتظمة له في كل يوم خميس وأحيانًا يضاف لها يوم أخر في الأسبوع لزيارة الطبيب*[8] وكنت أنتهز كل فرصة ممكنه لزيارته، فقد كنت أحمل له وجبات الطعام، ففي فترة السجن هذه كان يجد متسعًا من الوقت يعيد فيه ذكرياته القديمة، وكذلك التأمل، فليس هناك زواراً مثلما كان في منزله، ولا فرصة للعمل العام.. كان يحدثني في تلك الزيارات أحاديثًا طويله كلها دروس عميقه وعبر مبنية على تجربته الروحية في الخلوة وفي الممارسة الحياتية، قال لي فى يوم الخميس في 1/ 11/ 1984 م: (أن كل إنسان يجب أن يجلس مرة ليراجع كل أحداث حياته السابقه (يقرأ أيامه).. فإذا إستطاع أي فرد منا أن يعيد الزمن لما وجد أن ماحدث له في الماضي، ما كان يمكن أن يحدث أحسن منه..)، وقد أسمى تلك المراجعة ب(قرآءة الأيام)، وقد سردت تفاصيل تلك المقابله في وقتها في إجتماع كبير للإخوان الجمهوريين وسُجلت على شريط في ذلك الإجتماع ونقلت على الورق تحت عنوان ـ قرآءة الأيام ـ سأوردها هنا جاهدة كما جاءت في حديثه. أعتذر للقارئ سلفًا إن كان هناك بعض التكرار، ولكن الغرض هو دقة المعلومة قال: (أنه رأي في منامه من يقول له درج (مسيكة)، ومسيكة هذه إمرأة كبيرة السن من أقرباء الأسرة كانت تزوره كثيراً في منزله، تشكو من روماتزم مزمنه، عوقت مقدرتها على السير، وقد رأها مقبله نحوه تمشى بطريقة عاجزة متعثرة، قال: (بعد تلك الرؤية أنه ركز على المعنى البعيد للعبارة..)، وهي كما

---

(8) انظر مذكرته لزيارة الطبيب

قال : (أن أدرج نفسي ، في السلوك ، والترقي) ، ثم أضـاف : (أن جـدتي لوالـدتي زينب بت حمزه كانت تسميني دراج ، ومعنى عبارة دراج هو الشخص الذى يأخذ بيد الضعفاء يقويهم ويساعدهم بالتدريج . .) ثم قال : (وكانت أمـي ربـي جـود أيضاً تناديني بدراج ، فقد سمعت تلك العبارة من جدتي زينب بت حمزة . .) ثـم أضاف : (والدتي فاطمة محمود حسين توفيت عام 1915 ، ولم أكن وقتها صغيراً كان عمري حوالي خمسة سنوات كان يمكن أن أتذكرها . . الغريب إنـي لا أذكـر عنها أي شيء ، كانت لها الرغبة أن تسمينى محمود على والـدها محمـود حـسين ، وكان والدي يريد أن يسميني عمر ، على شقيقه الذي مـات مبكـراً ، ولقـد كـان والدي محمد طه رجل قوي وصعب ، ولكن والدتي سبقته بإختيار الأسم ولذلك أسمتنى محمود وإنتصرت عليه . كان لوالدتي معاني محددة في ذهنها أسمتنا عليها ، فمثلا أخر أبنائها أسمته أحمد المصطفي وقد قالت : (أحمـد المـصطفى منـه الـولادة كفى) ، وهي تعني أنها سوف لا تضع طفلاً بعده ، وفعـلاً تـوفي بعـد وضـوعه ، وتوفيت هي بعده) ، ثم أضاف : (أنه عندما يتابع كل المسائل فى حياته ، يشعر أن هناك إرادة إلهية دقيقه وإختيارات كبيرة جداً ، فيها توفيق كبير ، تمت في حياتي ، لولاها لما كنت في موقفى هذا ، ومن تلك المسائل مـثلاً جـدتى زينـب بـت حمـزة زوجها محمود حسين جاء من مصر كان موظفًا في الحكومة التركية له شعور كـبير بعزته ، وله وضع إجتماعى محترم في أسرته ، وفي المجتمع حوله ، كانت له ساعات يتجول فيها مع زوجته متنزهًا . . ويراقبه الناس بـإحترام شـديد ، فمـن إجتمـاع المسائل الغريبه أن يأتى محمود حسين من مصر ، ويتزوج جدتي زينب . . إن جدتي زينب كانت تشعر بولاء شديد لزوجها محمود حسين . . أذكر أن جدتى كانت بعد الصلاة ترفع فاتحه طويله لروح زوجها ، وتدعو له أدعيه طويلـه وتـردد عبـارات

(فسحنى ونزهني)، تسرد عنه القصص الطويله وهي تدعو له في الـصلاة وتـسأل الله له المغفرة)، ثم واصل في الإختيارات والمسائل الغريبة التي حدثت وهي زواج والدته من والده محمد طه، قال: (هو جاء من حتة بعيدة جداً من الـشمالية وهـي من قرية صفيته غرب رفاعة قرية صغيرة ذات منازل متفرقة.

بعد الزواج إستقرت الأسرة في منزلها المعروف برفاعة، نفس المنـزل الـذي ولدتم فيه*[9]، حيث أنجبت الأطفال الأربعة). قـال: (أصـيبت والـدتنا فاطمـة بالسحائي عام 1915م وتوفيت في نفس العام وقد إنتشر السحائي في ذلـك العـام بصورة وبائيه وكان وباء خطيراً، فكل من المّ به إما توفى وإما ترك به عاهة مثل الطرش أو العمى أو الشلل وقد أسماه الناس(أبوفرار). وبعد موتها حدث تطور جديد في حياتنا فقد كره والدنا ذلك المنزل كما أنه لم يكن راضيًا عن أهل المدينة، لذلك قرر أن يأخذ أبناءه الي البادية، أخذني أنا ومختار وكلتـوم وبتـول، حيـث إستقرينا في الهجيليج)، ثم أضاف (أنا أعتقد أن الهجيلـيج لهـا أثـر كـبير علـى تنشئتي، وكان من المعروف في ذلك الزمان أن يأخذ الناس أبناءهم الى الباديـة.. يرضعوا فى البادية.. يتنفسوا الهواء هناك.. يكبروا ويمارسوا نوع الحياة هناك.. وأن لتنشئتى ونشأتى في البادية أثر كبير، ولو لا أن والدتى قد توفيت لما كنت قـد وجدت تلك الفرصة فكل المسائل تمت بتدبير إلهي..) ثم أضاف أنه (أثناء وجود الأسرة في الهجيليج، قد حدث جفاف شديد، قلت الزراعة وإرتفع سـعر الـذرة وقد سمى الناس تلك السنة(سنة أم خمسين)، حيث أصبح العيش بخمسين ريال، وهى تقريبًا سـنة مجاعـة، وقـد كنـا صـغاراً في ذلـك الوقـت ولكنـا كنـا أقويـاء

(9) يتحدث عن المنزل الذي ولد فيه هو واخوته, وهو نفس المنزل الذي ولدنا فيه نحن من بعدهم

(وملحلحين) جداً جداً، وكنا نعمل أعمالاً كثيرة. . كنا نزرع ونحصد الذرة ولقد كان لهذا أثر كبير على تنشئتي. . ثم تبع ذلك العام عام أخر كان عام رخاء، فقد كثر الذرة والدخن وقد سميت تلك السنة (سنة أم عشرين) فقد نزل سعر الذرة من خمسين الى عشرين ريال وقد مسحت تلك السنة أثار سنة أم خمسين، وقد زرع لنا والدنا عيشًا كثيراً، وحصد زراعته، ولكن قبل أن يستهلك ذلك العيش توفي عام 1920م. . وقد تركنا وحدنا لم يكن لنا من يرعانا، أنا ومختار وبتول وكلتوم، لم يكن لنا عم، ولا خال، كانت معنا فقط مربيتان ربي جود وزائد المال، وقد أصرت عمة لنا أسمها(بت المكي)، أن نذهب للمدارس، ولذلك رحلنا إلى منزلنا في رفاعة، ودخلنا المدرسة أنا ومختار عام 1924م، كانت تسكن معنا في المنزل مربتينا (ربي جود) و(زائد المال)، كنا نقضي أول العام في الدراسة، وفي موسم الخريف نذهب للزراعة أحيانا نتعطل عن المدرسة في الزراعة. وقد سألته هنا: (هل كنتم تأخذون إجازة قال لي: (لا، سلطة المدرسة تعرف أن الطلبة يشاركون في الزراعة، ولذلك لا قيد علينا في المدارس، وعندما كنا في الأولية لم نكن صغاراً وقد كان في المدرسة من هم أكبر منا سنا. . كنا نعرف كيف نزرع ونحصد ونخزن العيش ثم نرجع للدارسة). وعن هذه الفترة من عمره، حكى عنه بعض كبار السن الذين شهدوا تلك المرحلة أن طفولته كانت لها أشياء تميزها عن بقية الأطفال، فمثلاً عندما يبدأ الصغار اللعب في مجموعات، فى غيابه، ويأتي هو متاخراً، كان يقف بعيدا ويقول لهم: (أنا معاي منو؟) والمعروف عند الأطفال أن يقول أحدهم (أنا معاي منو؟). ثم حكي أن الأطفال في زمنه كانوا يصطادون الطيور، ولم يكن يفعل ذلك، بل كان كلما وجد فرصة لإطلاق سراح تلك الطيور من قبضة أقرانه، حين يصطادونها، يطلقها).

وقد شرح أن سير الأمور في حياتهم تظهر فيه الإرادة الإلهية، فقد جاءوا الى رفاعة ودخلوا المدارس بعد موت والدهم، ولولا أن والدهم قد توفى لما جاءوا إلى رفاعة، ولو أنهم لم يجئوا الى رفاعة لما دخلوا المدارس، وقد قال عن ذلك: (ولو بقيت في الهجيليج لما تعلمت، وكان من الممكن أن أكون صاحب كنتين في تلك القرية، ولكن حسن إختيار الله جعل الأمور تسير على ذلك النحو.. في أثناء فترة الدراسة لم يكن مختار يرغب في الدراسة كثيراً وكان أثناء المذاكرة يقول لي: "أحاكي لك صوت ماكنة العربة" ويفعل.. وقد كانت له رغبة شديدة في العمل اليدوي، ولذلك دخل الحياة العملية، وأجاد فيها كثيراً..). وقال عن والده: (بالرغم من أنه قد رحل من رفاعة وسكن في وسط قبيلة السدارنة في الهجيليج، إلا أنه كان غريبًا وسطهم، ولكنهم كانوا يحبونه كثيراً، وكانوا يكنون له ولاءً شديداً، اذكر انهم عندما مات تجمعوا وأخذوا يبكون عليه بالطريقة المعروفة في القرية بضرب النقارة، وهى عبارة عن "طشاته" كبيرة تملأ بالماء ويوضع عليها قرع، ثم تقرع وتحدث صوتًا عاليًا، وكانوا يبكون بكاء مريراً وحزينًا مع تلك الأصوات، يبكون ويرددون: (يا ابوي هوي يا ابوي هوي)، وقد جاء أهله الركابية ليأخذوه ليدفن في رفاعة، وقد أقدم أحدهم يمنعهم من ضرب تلك النقارة، فأقبل نحوه أحد رجال قبيلة السدارنة وقال لهم إنتوا (يعني الركابية) تبعدوا بعيد ومحمد طه مامنكم ولم يعش معكم.. محمد طه حقنا نحن، ونبكى عليه بالطريقة التى نختارها وإنصرفوا لحالهم). ثم عاد الأستاذ ليقول: (أن كل شى في حياته عندما يراجعه يجد فيه توفيق غريب.. مثلا الخروج من رفاعة الى الهجيليج 1920 ثم تلى ذلك الإنخفاض العالمي (Depression) سنة 1930، ثم العودة الى رفاعة مرة أخرى، ثم كلية غردون، ثم العمل في السكة حديد، ثم

الحياة العملية والسياسية والحياة الفكرية، ثم ظهور الخط للفكرة الجمهورية في الأربعينات، كل هذه الأمور كان فيها عناية إلهية واضحة كما تمت فيها إختيارات كلها كانت غريبة وأن كل شي حدث ما كان من الممكن أن يكون هناك خير منه).

وفي فترة الدراسة قال الأستاذ: (أنه في الإمتحان من المتوسط لدخول كلية غردون كان يمسك بالقلم ويكتب من غير توقف والمعلومات تتدافع تحت يده وكأن شيئاً مرسوماً أمامة، وقد كان نجاحه باهراً من غير أن يكون يعية في أثناء الكتابة). أحبه زملاء الدراسة وأعجبوا بصدقه وقد تأثر كثيراً وهو في مرحلة المتوسط لوفاة صديق له، وكتب مقالاً يرثيه بصورة مؤثرة وقوية، كما كان يشارك في الجمعيات الأدبية ويكتب المقالات. قبل دخول الكلية كان ينوي دراسة القانون لكن تم الأختيار لكلية الهندسة.

كان دائمًا يقول إن حياته كان فيها يتم شديد، وقد رد بذلك على أحد الصحفيين حين سأله عن حياته قائلاً: (حياتي كلها يتم). وقد كان لهذه العبارات أثر مؤلم على نفسي كلما سمعتها. وعندما إطلعت عليها لأول مرة وأبديت عدم إرتياحي لها، لاحظ هو شكل الحزن الذي بدأ عليَّ فقال لي: (ماعجبتك؟) ولم يزد عليها، وهذه من أدق الأشياء التي جعلت تعلقي به شديداً، أنا أنظر لليُتم من ناحية تثير الحزن والعطف، وهو ينظر لليُتم من ناحية إختيار إلهي ليقويه، ويحقق به درجات من التوفيق والنجاح، ليس من السهل أن تتحقق وسط الوالدين. ولذلك كان يقول كثيراً إن اليتم أحيانًا يساعد الأنسان على شق طريقه في الحياة، والنجاح نحو الهدف الذى يحدده. وقد حكى في أحدى المرات أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتيمًا، وقد ساعده ذلك في أن يحزم أمره

في أداء الرسالة، ففي بعض الحالات يحتاج الإنسان للنزول لرغبات الوالدين، أو قد يسبب الميل لرضاء الوالدين بعض التردد في الوصول للهدف بالسبب العاطفي.

في مرة لاحظت أن هناك أثراً لجرح قديم غائراً في قدمه اليمنى، فسألته عنه قال في طفولته: (حاول أن يقفز من فوق حائط فسقط على زجاجة مكسورة، تسببت في ذلك الجرح)، وأضاف أنه يذكر أن هناك إمرأة من نساء الحي كانت على قيد الحياة الي وقت قريب، قد أهتمت بتنظيف ذلك الجرح وتضميده وقد ظل الأستاذ يحفظ لها هذا الجميل، وعندما بدأ العمل كان يحسن إليها ويساعدها في تربية أطفالها ويجزل لها العطاء والهدايا، وقد ساعد وأشرف على تزويج جميع بناتها من الجمهوريين في وقت كان فيه عدم الزواج يشكل أزمة إقتصاديه للأسر في السودان.

1924ـ 1932 (مرحلة الدراسة و الحياة العملية):ـ

من الخير أن نبدأ هذا الجزء بالحديث الذي سرده الأستاذ محمود بنفسه في مقابلة لصحيفة الأضواء السودانية عندما سأله مندوب الصحيفة عن حياته. .
حيث قال: (سوداني من قبيلة الركابية، مولود برفاعة النيل الأزرق أوائل عام 1911م، هذا في أغلب الظن. بدأت تعليمي في الخلوة في زمن مبكر، ولكني لم أحفظ القرأن، بدأ تعليمي بالمدرسة برفاعة عام 1924 وفي نهاية عام 1931 أتممت المدرسة الوسطى. وفي أوائل عام 1932 دخلت مرحلة الثانوي كلية غردون قسم المهندسين، وتخرجت منه عام 36 وإلتحقت بمصلحة السكة الحديد في أوائل هذا العام حيث مكثت ست سنوات، وإستقلت في أواخر 1941،

وعملت بعض الوقت مع الجيش الأمريكي، ثـم عملـت مـع الجـيش البريطـاني الإدارة المدنية لحراسة أموال الأعـداء بأرتريـا، وفي مـشروع علـي قـدر الزراعـي كمهندس ري، وفي أواسط عام 44 بدأت الأعمال الحرة كمهندس ومقاول، ولم أباشر في المقاولات أي أعمال كبيرة، غير أني ومعي مهندس شريك، قد إشترينا أنقاضًا من مباني مخازن مؤقتة للجيش البريطاني بالقرب من بورتسودان، وكـان هذا عملاً كبيراً. .

وفي أواخر أكتوبر عام 45 نشأ الحزب الجمهوري، وكـان حزبًـا سياسـيًا. وقد أُنتخبت رئيسًا له في نفس الشهر وقد كتبت بيانه الأول. . كان يدعو إلى بعث الإسلام من جديد ولم نكن يومئذ نعرف تفاصيل ما يعني بعث الإسلام من جديد فإنصرفنا في عملنا الحزبي الى تصعيد المعارضة للأستعمار البريطاني في منـشورات بالرونيو توزع بالليل وبالنهارعلى المواطنين. . تسبب هذا الصنيع في إرسالي إلى السجن لمدة عام بدأت في شهر يونيو عام 1946م، ذلك لأنـه قـد طلـب مـني أن أمضي تعهداً بحسن السلوك والإقلاع عن التحـدث في الـسياسة لمـدة عـام، فلمـا رفضت قرروا أن أمضي العام في السجن أو أمـضي التعهـد، وفي أي وقـت يـتم الإمضاء، أخرج من السجن، لـم أقضي العام ولم أمـضي التعهـد، ومـع ذلـك ونسبة لمقاومتي لقوانيين السجن داخل السجن، ولمقاومـة الأخـوان الجمهـوريين خارج السجن، فقد خرجت بعد خمسين يومًا، بإستصدار عفو شامل من الحـاكم العام البريطاني، وموضوع المنشورات، الذي بسببه دخلت السجن كـان مقاومـة الإستعمار البريطاني للسودان.

بعد خروجي من السجن بشهرين وقع حادث برفاعة، حيث سُجِنت إمرأة، خفضت إبنتها خفاضًا فرعونيًا، لمدة أربعة أشهر وعشراً، فقاومت هذا السجن، وتحرك معي جمهور رفاعة ليخرجوا السجينة، التي صدرت براءتها، بعد هذا الصنيع، وأُخلِي سبيلها، ولكن ألقي القبض عَلَيَّ وعلى بعض المواطنين، وأُرسِلنا للسجن، للمرة الثانية لمدة عامين، أنفقت في السجن أربعًا وعشرين شهراً، تحنثت في أثناءها وأخذت بنهج الصوفية. وعندما خرجت منه، إعتكفت برفاعة لمدة ثلاثة أعوام واصلت فيها تحنثي، وإتضحت في هذه الأثناء في ذهني معالم فكرة التجديد.

في اكتوبر من عام 1951 تركت إعتكافي برفاعة، وواصلت نشاط الحزب من جديد، وكان قد نام مدة هذه السنوات الخمس. في عام 1946 ظهر المؤلف الأول بعنوان (قُل هذه سبيلي)، وتوالت المنشورات، والمقالات، والمحاضرات، والندوات، عن موضوع بعث الإسلام من جديد.. فى عام 1955 صدر كتاب (أسس دستور السودان)، وفى عام 1960 صدر كتاب (الإسلام) بالإضافة الى بعض الكتيبات التى كانت تصدر بين عامي(1952ـ1960)، كنت منذ عام 1954 قد أخذت في العمل الموسمي كمهندس (ري) في المشاريع الخصوصية، بمنطقة كوستى، مشاريع الطلمبات، أعمل كمقاول أقوم بالجانب الفني في المساحة وتصميم القنوات والتنفيذ على الطبيعة (الجانب الفنى فقط)، وأما العمال والمقاولون فأنه يدفع عنهم أصحاب هذه المشاريع.

الأستاذ محمود في الثلاثينات، كلية غردون

الأستاذ محمود مع بعض الأصدقاء في أيام الشباب بعد تخرجه من كلية غردون

صورة من الأربعينات والعمل كمهندس في شركة النو ر والمياه

صورة للأستاذ في العام 1952 وهو يعمل في شركة النور والمياه
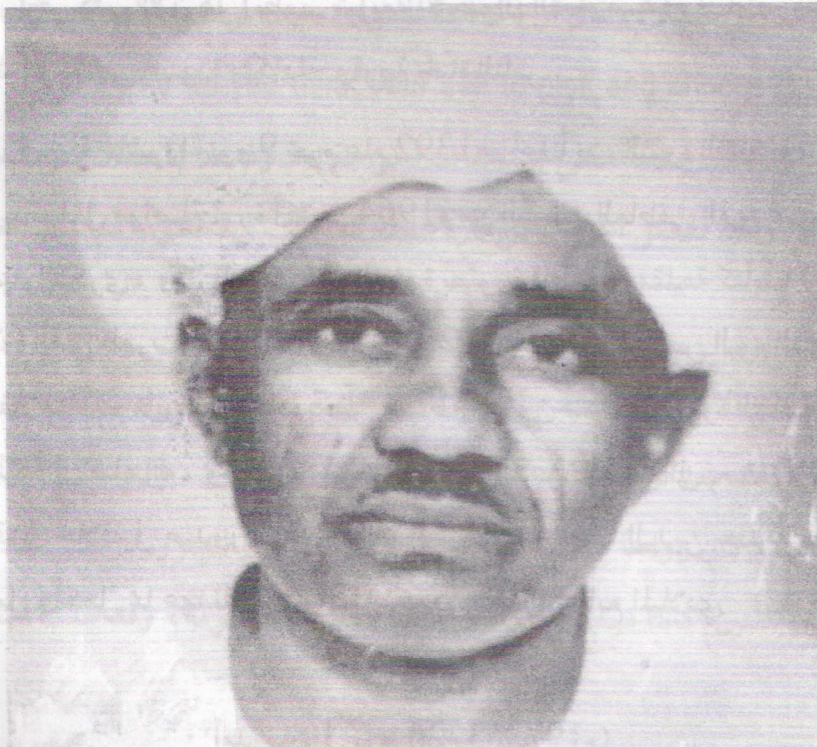
الأستاذ محمود في الستينيات

بقى أن أقول أنه بين عامي 1952ـ1954 قد كنت أعمل بالراتب الشهري كمهندس مدني لشركة النور والطاقة الكهربائية، (حاليًا الهيئة القومية للكهرباء). منذ ثورة أكتوبر عام 1964 وإلى اليوم توالت المؤلفات حتى قاربت العشرين مؤلفًا صغيراً وسعت فكرة البعث الإسلامي شرحًا وتفسيراً وتبسيطًا . .

في عام 1965 بدأت مرحلة التأليف الجاد وذلك بعد ثورة أكتوبر عام 1964 وكانت أعوام حكم عبود الذي قوضته هذه الثورة أعوام نشاط جم في الندوات والمحاضرات في الدور والأندية.

في عام 1966 تركت عمل الهندسة نهائيًا وتفرغت تمامًا للتأليف ونشر الفكرة الجمهورية.

أخر كتبى الأن هو (تطوير شريعة الأحوال الشخصية) وفيه تبرز فكرة البعث الإسلامي بصورة متكاملة وقريبة لحياة الناس.

في ليلة عاشوراء يوم 9 محرم عام 1392هـ أعلنا بدء الثورة الثقافية، وكنا ندعو دائمًا الى مواصلة ثورة أكتوبر 1964م من الصعيد العاطفي الذي تمت به إلى الصعيد الفكري، وقد ظهرت هذه الدعوة بصورة قاطعة في مقدمة كتابنًا (لا إله إلا الله) الذي ظهرت طبعته الأولى في يوم 25 مايو1969م في نفس اليوم الذي وقع فيه إنقلاب 25 مايو الذي قاده بعض ضباط الجيش. ستكون الثورة الثقافية شغلنا منذ اليوم إن شاء الله، وهي في جملتها تقوم على الدعوة الواعية الى بعث (لا إله إلا الله) قوية خلاقة في صدور الرجال والنساء، حتى يعود بها الدين جذعًا بأقوى وأشمل وأكمل مما عهدناه في شعاب (مكة) في القرن السابع الميلادي

محمود محمد طه

أمدرمان في يوم 26/ 3 /1973م)

إنتهت المقابلة التي أجرتها الصحيفة مع الأستاذ.

بعد تخرجه من كلية غردون كما ذكر أعلاه إلتحق بمصلحة السكة حديد بعطبرة، وفي فترة وجوده في عطبرة كان دائمًا يقف الى جانب العمال ويدافع عن قضاياهم ضد الانجليز، وشارك في الحركة الأدبية الواسعة من خلال نادي الخريجين، وصار العمل الفكري على هذا النحو الى أن حُلت اللجنة القديمة للنادى وأُنتخبت لجنة جديدة رئيسها الأستاذ ميرغنى حمزه*[10] وسكرتيرها الأستاذ محمود، عندها إشتدت الحركة الفكرية وقويت ثم فُتح الباب لكل المبدعين من أبناء عطبرة، وكان العمل كله في التوعية وتوجيه المواطنين الى حقوقهم، قال لي الأستاذ أن الأنجليز أحسوا بنشاطه ذاك وقد أقلقهم، فنقلوه من عطبرة الى كسلا ليبعدوه عن جمهورها، فرفض النقل وقال للخواجة: (سوف لن أنفذ هذا النقل ولن أذهب الى كسلا)، قال أن الخواجة المسؤل تعجب لرفض الأستاذ و رد عليه بقوله: (Who do you think your self to pick and choose?). وقد كان الأستاذ يضحك عندما حكى إستخفاف الخواجة به، وفعلاً إستقال من العمل الحكومي وأتجه للعمل الحر، فكل فترة عمله كموظف في الحكومه لم تتعد الخمس سنوات.

تزوج الأستاذ محمود من زوجته، أمنا، آمنة محمد لطفي عبد الله، في عام 1940 وذلك بعد اربعة أعوام من تخرجه، من كلية غردون، وقد حكى أهله عن زواجه، أنه كان زواجًا بسيطًا وجميلا أدخل الفرح والسرور، على أطراف العائلتين اللتين كانتا مرتبطتين سلفًا بالدم، فهم أبناء عمومة، وقد ظلت أمنا آمنة

---

(10) اجتمع الثلاثي الاستاذ محمود وميرغني حمزة وأمين صديق الذي اصبح سكرتيراً للحزب في هذه الفترة فى مدينة عطبره وكان أمين يعمل محاسباً في الدامر و يكثر من زيارتهم في عطبرة.

منذ تلك اللحظة رفيقة دربه ، قاسمته كل ظروف حياته ، بما فيها من مواجهات مع المستعمر وسجون وخلوة إختيارية ، ومواجهاته الفكرية مع خصوم الفكر الجمهوري ، ثم ظروف ومواقع عمله المختلفة ، وأنجبا ثلاثة أطفال هم ، محمد ، وفاطمة(أسماء) وسمية ، وظلت دائماً إلى جواره ، حتى لحظات المحكمة القاسية وما تبعها من أحداث مأساوية في عام 1985 .

الفصل الثاني

نشأة الحزب الجمهوري 1945م

نشأ الحزب الجمهوري في فترة الأربعينيات حين كانت الحركة الوطنية منقسمة على نفسها، بعضهم كان يدعو إلى الملكية وتبعية السودان إلى التاج البريطاني(حزب الامة)، والبعض الأخر يدعو إلى الوحدة مع مصر (حزب الأشقاء الذي أصبح فيما بعد الحزب الإتحاي). وقد نشأ هذان الحزبان في أحضان الطائفتين المعروفتين في السودان الأنصار والختمية، وذلك لكسب الولاء الشعبي الذي كانت تسيطر عليه الطائفية، فكان الحزب الأول تابعًا لطائفة الأنصار تحت قيادة السيد عبد الرحمن المهدي، والحزب الثاني تابعًا لطائفة الختمية تحت قيادة السيد علي الميرغني. في هذا الوقت نشأ الحزب الجمهوري خارج نطاق الطائفية، وأخذ يدعو إلى الجمهورية السودانية المستقلة وإلى الفدرالية كنظام للحكم، وكانت فكرة المدنية الإسلامية هي الأساس منذ البداية، وكان الإعداد لها يختمر في ذهن الأستاذ محمود، وبدأ بإعداد المسرح بإخراج المستعمر أولاً من البلاد، والمقاومة حتى مغادرة الإنجليز للسودان، إذ كان يقود زمام المبادرة في المقاومة.

وقد كتب الصحفي السوداني التجاني عامر، عن تاريخ الحزب الجمهوري في جريدة الصحافة الصادرة بتاريخ 3/ 7/ 1975م ما يلي: (الحزب الجمهوري قد يكون هذا الحزب من أقدم الأحزاب السياسية بحساب الزمن وهو أول حزب صغير يعمل خارج نطاق النفوذ الطائفي بل بمناجزة وصدام. . وإسمه يدل على المنهج الذي إنتهجه لمصير السودان. . ومؤسس الحزب هو الأستاذ محمود محمد طه الذي كان من أبرز الوجوه الوطنية في مستهل حركات النضال، حينما كان مهندسًا بالسكة حديد بعطبرة. ولعل سلوك محمود الصارم في القضايا العامة

وشجاعته العنيفة التي دفعته إلى التخلي عن الوظيفة هو نفس السلوك السياسي الذى جعل الحزب الجمهوري في فترة من فترات الإحتلال عبارة عن جمعية إرهابية تضرب وتحرق وتخرب ولكن في سبيل المصلحة العامة بنوايا نقية وذمة طاهرة. . وشيئا فشيئا تملص عن محمود الأعضاء الذين يؤمنون (بالتُقية) وجماعة (حُب السلامة)، وتركوه يناضل الإدارة البريطانية مع جماعة من الشباب المغامرين أمثال أمين محمد صديق وغيره. . وقد تعرض محمود للسجن الطويل في خصومات إيجابية مع الإنجليز منها حادث (الطهارة الفرعونية) في رفاعة وهو حدث إجتماعي رفعه محموداً إلى مستوى المساس بالدين والوطن. . ولأن محمود زاهد في المكاسب وراغب عنها فإن حزبه لم يدخل معارك السياسة في غير النضال القومي العام، وبالتالي لم يكن فيه من إغراءات الطموح السياسي ما يدفع الناس إلى عضويته الجادة عن ماديات الحياة، والتي لا يقبلها الإنسان إلا إذا كان سيفه بيمينه وبطانيته على كتفه ليدخل السجن) إنتهى[1]. وهكذا قاد الأستاذ محمود زمام المبادرة لإخراج المستعمر، فكان أول سجين سياسي في تاريخ المقاومة الوطنية. كما هو واضح لم يكن هم الأستاذ الوصول إلى كرسي الحكم بل كان يعمل اولا لإصلاح المجتمع فالمجتمع الصالح هو مجموعة أفراد صالحين، كان يقول نحن لن نحكم البلاد إلا إذا إختارنا الشعب ونلنا 50+1 من الأصوات لذلك كرس وقته للتوعية والثورة الثقافية.

الإجتماع الأول للحزب الجمهوري:

تم الإجتماع الأول للحزب في 26 اكتوبر عام 1945، ثم عُقد إجتماع إنتخاباته في يوم 31 من نفس الشهر وقد أُنتخب الأستاذ محمود رئيساً للحزب

(1) جريدة الصحافة 3/ 7/ 1975

بالإجماع وقد أصدر منشورين أولهما بالعربية تحت عنــوان (قـل هـذه سـبيلى) والأخر بالإنجليزية (Islam The Way Out) "الإسلام هو الحل". وفى 26 اكتوبر صدر(السفر الأول) الذي رسم طريق النهج الإسلامي والنظام الفدرالي في الحكم الذى يدعو له الأستاذ راجع (السفر الأول).

وتكونت اللجنة التنفيذية للحزب وقد شملت عدداً من الرعيـل الأول مـن الجمهوريين. وقد حكى لي الأستاذ ذات مرة أن بعضهم إبتعد عن الحزب عنـدما خرج المستعمر وظهرت المرحلة الدينية للدعوة، وبعدهم أقبلت عـضوية جديـدة وأخذت تزداد كل حين. قال لي أيضا أن العديد من الإجتماعات كانت تقـام في حديقة المقرن في ملتقى النيلين في الخرطوم، وكان لهم مكان محدد يتوافدون عليـه كل يوم إجتماع. وقد كان شُغل الأستاذ الشاغل في تلك المرحلة هو إشعال حماس السودانيين لإجلاء المستعمر عن ديارهم.. وقد قال لي: (أن بعض السودانيين من الصحفيين ورجال الدين كانوا يهابون المستعمر)، وحـين كـان الأسـتاذ يقـاوم، كانت نصيحة رجال الدين أن يثبطوا همم الناس ويخذلونهم عن المقاومة بقـولتهم المشهورة: (لا تلقوا بأيـديكم في التهلكـة)، قـال أيـضًا: (أن الجمهـوريين كـانوا يتعاملون بحزم مع الصحفيين الذين كانوا يرفضون نشر البيانـات والمقـالات الـتي كـان يـصدرها الحـزب الجمهـوري، في حـين كـانوا ينـشرون بيانـات الحكومـة وغيرها...، وقد كان له مواقف مشهودة مع أؤلئك. كان غرض ذلك الحزم هو إيقاظ ضمائر الذين يحملون الأقلام الـصحفيه ويحتلـون مناصـب مـؤثره، (كـان الأستاذ يريد أن يشعل روح الحماس فـيهم، وفي عامـة الـشعب، حتـى يـشعروا بالعزة، ويتحرروا من إذلال المستعمر، ويخرجونه مـن ديـارهم، وكـان الأسـتاذ

يحمل الكثير من الود لأحد الصحفيين من الذين تعامل معهم بحزم، اذكر فى فترة السبعينبات ان ذلك الصحفي قد مرض فزاره الأستاذ أثناء مرضه و ذهب إلى عزاء أسرته بعد وفاته . .)

مواجهة الإستعمار:ـ

بدا الاستاذ مقاومة الاستعمار باصدار المنشورات ضد المستعمر . فكان يقيم الندوات ويكتب المنشورات ويوزعهـا هـو والجمهـوريين ويقيمـوا الإجتماعـات ويصلون أماكن التجمعات يتلون الخطب، ويثيرون الشعب ضد المستعمر، وقـد أثار ذلك حفيظة الإنجليز، وهبوا لإسكات صوت الأستاذ بالإستدعاء والتحقيـق معه في مكاتب البوليس، ثم إقتياده للسجن مرة أخرى، ولكن هيهات فقد صمد ولم يبال بسجونهم، فهو يعلـم أن هنـاك دائمًـا فـاعلاً غـير مباشـر يعمـل وراء الأحداث والأعداء، هذا الفاعل هـو الله، وهـو علـى ثقـة أن الله لاينـوي بـه إلا الخير، وأنه على موعد لتحقيق غـرض أسمـى وراء ذلـك العـذاب فقـد توالـت الإستدعاءات من البوليس والقضاء، أورد فيما يلي إستدعاء البوليس ثم قاضـي الجنايات للإستاذ للتحقيق معه :

CID\36.H
CRIMINAL INVISTIGATION DEPARTMENT
B.O. BOX : 288

Khartoum, 24 March 1946
Mahmoud Mohamed Taha,
Merchant,
Omdurman,
Dear Sir,
You are hereby required to attend at the C.I.D. office at 9.a m \25\3\46 to answer questions respecting some circulars purporting to have been issued by the Republicans.

Please acknowledge receipt of the letter,
Yours faithfully,
(G.E.S .price)
Superintendent، C.I.D.

وبعد خمسة أيام تبع هذا الخطاب خطاب أخر من قاضي الجنايات ، يطلب من الأستاذ المثول أمام المحكمة ، لمواجهة الإتهام بالنشاط السياسي وتوقيع تعهد بالكف عن ممارسة النشاط ضد الحكومة هذا نصه :

Summons on information of a probable Breach of the Peace.
(See sections 81 and 84)
To Mahmoud Mohamed Taha, Contractor,
Omdurman.
Whereas it has been made to appear to me by credible information that you have issued a pamphlet which is deemed to be likely to excite feelings of disaffection to the government and to lead to a breach of the peace or to disturb the public tranquility .
You are hereby summond to attend in person at the police Magistrate's court on the 2nd day of June, 1946 at 8:45 am to execute a bond for Ls 50 and also to give security by a bond of one surety in the sum of Ls 50 that you will keep the peace and refrain from illegal acts likely to disturb the public tranquility for the period of two years or to show cause why you should not execute such bond and give such security.
Dated this 29th day of May, 1946.
W.C McDowall
Police Magistrate, Khartoum.

كان الإستدعاء الثانى أشد لهجة وأكثر تحديداً للإتهام ، فبعد أن بُين للإستاذ في الطلب الأول بأنه قد أصدر منشوراً من المحتمل أن يثير الأمن العام والكراهية ضد الحكومة ، طُلب منه في الطلب الثاني الحضور أمام محكمة الجنايات ليوقع على كفالة مالية بواسطة ضامن (قدرها خمسون جنيها) ، وأيضًا يوقع على

كفالة أخرى قيمتها خمسون جنيهًا، على أن يحفظ السلام ويمتنع لمدة سنتين عن القيام بالأعمال غير المشروعة، والتي من المحتمل أن تُخل بالطمأنية العامة، او ان يوضح سبب رفضه توقيع التعهد. . الخ.

تابعت الصحف السودانية ذلك الحدث بإهتمام كبير فقد أوردت جريدة الرأي العام الصادرة بتاريخ 3/ 8/ 1946 مايلي: (مَثل الأستاذ محمود محمد طه، المهندس، أمس أمام قاضي الجنايات، المستر مكدوال، متهمًا من بوليس الخرطوم تحت قانون التحقيق الجنائي، لتوزيعه منشورات سياسية من شأنها الإخلال بالأمن العام، وقد أمره القاضي أن يوقع على صك بكفالة شخصية بمبلغ خمسين جنيها لمدة عام، لايشتغل خلالها بالسياسة ولا يوزع منشورات، أو يودع السجن لمدة سنة إذا رفض ذلك. . ولكن الأستاذ محمود رفض التوقيع، مفضلاً السجن، وقد أُقتيد لتوه إلى سجن كوبر. .).

1946 فترة السجن والاعتقال الثاني:

حدثني الأستاذ عن تلك الفترة بأنه تم إعتقاله في عام 1946م بواسطة المستعمر، وذلك لأنه قد حرض أهالي رفاعة ليخرجوا في معارضة لقرار الحكومه الإنجليزية بإعتقال إمرأة سودانية خفضت إبنتها على الطريقة الفرعونية. وقد كان يحدث الناس ويجهزهم للثورة ضد المستعمر بإشعال الحماس والشعور بالكرامة، وضمن ذلك إلقاء الخطب في المساجد. أورد فيما يلي طرفًا من الخطبة التي ألقاها بمسجد رفاعة في يوم الجمعة من شهر سبتمبر 1946م محرضًا فيها الناس للثورة قائلاً: (ليس هذا وقت العبادة في الخلاوي والزوايا، أيها الناس، وإنما هو وقت الجهاد، فمن قصر عن الجهاد وهو قادر عليه ألبسه الله ثوب الذل وغضب عليه

ولعنه . . أيها الناس :ـ من رأى منكم المظلوم فلم ينصفه ، فلـن ينـصفه الله مـن عدوه . . ومن رأى منكم الذليل فلم ينصره فلن ينصره الله على عـدوه . . ألا إن منظر الظلم شنيع . . ألا إن منظر الذل فظيع ، ومن رأى مظلوماً لاينتـصف مـن ظالمه ، ومن رأي ذليلاً لا ينتصر على مذلة . . فلـم تتحـرك فيـه نخـوة الإسـلام ، وشهامة الإسلام إلى النصرة ، والمدافعة ، فليس له من الإيمـان ولا قلامـة ظفـر) . فإستجاب له الجمهور وإستطاع أن يخرج المدينة عن بكرة أبيها في مظـاهرة هـادرة إلى مقـر المركـز في مدينـة الحصاحيـصا وحـين وصـلت الجمـوع مـن رفاعـة إلى الحصاحيصا وجدوا أن الحكومة قد سحبت المراكب ومنعت العبـور إلى الـشاطئ الأخر حيث المركز ، وقد حكى لي أنه قد تعاون معهم بعض االعمال والـصيادين بتشغيل مراكبهم الخاصة ، حيث كانوا يشدون بعضها مع بعض في شـكل كـبري إستطاعت الجموع العبـور عـن طريقهـا إلى الحصاحيـصا ، وأمـام تلـك الحـشود وجدت الحكومة نفسها مرغمة على مقابلتهم ، وقد طلب منهم مفـتش المركـز أن يختاروا ممثلين لهم وفعلاً إختاروا من بينهم ممثلين قابلوا المفتش مع الأستاذ محمود ، وقد تحدثوا مع مفتش المركز بلهجة شديدة ، ومزقوا ورقة طَلَـب مـنهم أن يكتبـوا عليها أسمائهم وردوا عليه بقولهم : (كلنا محمود) ، وقـال أن المفـتش بـدأ خائفـاً ومرتجفاً ومحمر الوجه ، وقد أسرع بإستصدار قرار بإطلاق سراح المرأة .

بعد إطلاق سراحها ، أخذوها معهم إلى رفاعـة ، وكـان الفـرح شـديداً في أوساط أهل المدينة ولكن بعد أن إنفضت الجموع تم إعتقال الأستاذ حيث ورد في جريدة الرأى العام الصادرة بتاريخ 25/ 9/ 1946م مـايلى : (تم إعتقـال بعـض الناس من رفاعة ، والحصاحيصا منهم الأستاذ محمود محمـد طـه ، وشـقيقه مختـار

محمد طه، فوضعوا في سجون رفاعة والحصاحيصا ومدني . .) وقد كانت ردود الفعل قوية في أوساط أهل المدينة، فقد تكتمت الحكومة الإنجليزية على الخبر حتى لاتتسرب الثورة إلى باقى أجزاء البلاد، وأصاب الشعب نوعٌ من الجسارة والشعور بالعزة، وهذا ما كان يسعى إليه الأستاذ.

وفي قمة ذلك الحماس كتبت إحدي النساء قصيدة في مدح الأستاذ محمود، تعتبر من أجمل أغاني التراث الشعبي أسمتها (خال فاطمة) وقد ظل يتغنى بها الناس إلى يومنا هذا، شاعرة هذه القصيدة هي الحاجة فاطمة الزبير أبو شوارب، من قرية الهجيليج ريفي الجنيد[2]، فيما يلي نص القصيدة :ـ

(تسلم لي خال فاطمة ليهم بلالي، البدرج العاطلة.

اب كريق في اللجج سدد حبس الفجج.

خال فاطمة ليهم بلالي.

عاشميق حبل الوجج.

انا أخويا مقلام الحجج.

خال فاطمة ليهم بلالي.

ياخريف الرتوع اب شقة قمر السبوع.

خال فاطمة ليهم بلالي.

فوق بيتو بسند الجوع، ياقشاش الدموع.

خال فاطمة ليهم بلالي، البدرج العاطلة.)[3]

---

(2) الأستاذ معتصم، المصدر السابق

(3) هذه القصيدة في المدح كتبت بالدارجة السودانية، والكثير من كلماتها محلية، وفي مجملها تعني، الشجاعة، والكرم، وقوة المنطق، على سبيل المثال، اب كريق هو التمساح رمز للقوة، ومقلام الحجج في قوة المنطق، وخريف الرتوع الخريف الغزير المطر المثمر،

في يوم 7/ 10/ 1946 أوردت جريدة الرأى العام مايلى : (جاءت قوة كبيرة من البوليس من مدني، برئاسة مفتش المركز. وفي نفس الوقت عسكر خارج رفاعة البلك الرابع من فرقة الهجانة، بقيادة الصاغ أحمد عبد الله حامد الذي دخل إلى رفاعة برفقة ضابط سياسي، وقابل المفتش، وقمندان البوليس، ورجع إلى مقر فرقته. . وأُعتقل الأستاذ محمود محمد طه، وأُحضر إلى المركز. . وأثر ذلك تحرك جمهور كبير نحو المركز، وفي الحال نُقِل الأستاذ محمود إلى معسكر البلك الرابع، خارج المدينة وتحركت فصيلة من البلك الرابع لتعزيز قوة بوليس مركز رفاعة. . كان إطلاق الرصاص بأمر مفتش المركز، عندما رفض الجمهور إطاعة أوامر البوليس المتكرره بأن يتوقفوا عن تقدمهم صوب المركز، وقد أطلق البوليس دفعة فوق رؤوس الجمهور وهم على بعد 40 ياردة تقريباً من المركز، ولما لم يقفوا، أطلق دفعة أخرى على الأرض أمام أقدامهم، في وقت كانت فيه مقدمة الجمهور على بعد 25 ياردة من المركز) إنتهى.

وورد أيضًا في نفس الجريدة بتاريخ 10/ 10/ 1946م مايلي : (علمنا أن الأستاذ محمود محمد طه رفض أن يقبل محاميًا للدفاع عنه، وأنه أعلن بأنه لن يدلي بأية أقوال للتحقيق إلا على أساس مناقشة قانون منع الخفاض. ثم تابعت الرأي العام الأحداث إلى أن وصلت القضية إلى المحكمة الكبرى التي عُقدت للإستاذ محمود، فنشرت بتاريخ 17/ 10/ 1946م مايلى : (حكمت محكمة كبرى بودمدنى برئاسة القاضي أبورنات، بسنتين سجنًا على الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري، بتهمة إثارة الشغب في رفاعة. . كما حُكم عليه بوضعه تحت المراقبة لمدة سنه أخرى بعد إتمام مدة سجنه) إنتهى. عُقدت تلك المحكمة

برئاسة القاضي أبورنات والجدير بالذكر أنه قد رفض عدد من القضاة تولي تلك المحاكمة . . أيضًا حضر عدد من المحامين من الخرطوم للدفاع عن الأستاذ منهم أحمد خير المحامي ومبارك زروق وأخرون، وقد رفض الأستاذ مبدأ أن يقف له محاميًا، وقد شكرهم وأوضح لهم أن تلك القضية سياسية وسوف يتولى الدفاع عن نفسه. وقد حدث ذلك فعلا ووقف الاستاذ مدافعًا عن موقفه امام محكمة ابو رنات نجتز اجزاء من تلك المرافعه التى بداها بقوله: (أهالي رفاعة جميعهم ابرياء . . وزملائي الذين سجنوا ابرياء وأنا برئ والمسألة في الحقيقة سلسلة أخطاء من الإدارة من أولها إلى أخرها . . كلما أخطأت الإدارة مرة، وتمسك الناس بحقهم إعتبرته مساسًا بهيبتها، فإستعلت وأخذتها العزة بالإثم فقفزت في خطأ آخر هو في زعمها يعيد لها هيبتها في نفوس الناس . . وما علمت أن إجتماع الأخطاء، لاينتج منه ولا صواب واحد. الوضع الصحيح المجمل لهذه المسألة هو أن الإدارة قد ضربت أهالي رفاعة فصاحوا من ألم الضرب بصوت خفيض، ثم ضربتهم فصاحوا ثم ضربتهم فصاحوا، فإستاءت من أن يصيح المضروب المتألم، فقدمتنا للمحكمة فكانت هذه المحكمة . . ولو كنا نملك ما تملك لقدمناها نحن لهذه المحكمة، ولكنا لانملك جيشًا ولابوليسًا ولاسجونًا ولاقيودًا، ولو ترك القطأ ليلاً لنام) ثم واصل (قلت بالأمس إني وبالمثل اي عضو من أعضاء الحزب الجمهوري لا أنكر تهمة الإثارة لمجرد أنها تهمة إثارة، إنما أنكر تهمة الإثارة بالنقد الذي لايحترم الحقائق وبالتشويش المغرض . . ولقد كان من دواعي الشرف لي ولحزبي لو صح أني أنا الذي أثرت أهالي رفاعة، لأنها من القضايا التي نقدنا فيها الحكومة وسننقدها إلى أن تقلع عنها . . ولكن للأسف فإن الإدارة قد سبقتني إلى هذا الشرف فأثارت أهل رفاعة وأثارتني معهم فلننظر) . . . إلى أن قال: (قالت

الحكومة في بيان رسمي في الصحف لا أعرف تاريخه ما يلي: (حصلت أخيراً في رفاعة حادثة أدينت فيها إمرأة لخفضها إبنتها خفاض غير مشروع وحكم عليها بأربعة أشهر سجنًا وقد قدم إستئناف لمدير المديرية فرفضه وحبست المرآة في السجن ومع ذلك فالحكومة تقول أن باب الإستئناف مفتوح !! وهذا الإستئناف رفض مع أن المرأة مسجونة بغير أدلة كافية للإدانة، وفيما أعلم لم يخبر المستأنفون ولانحن مندوبي الهيئات الذين قابلنا المفتش برفض هذا الإستئناف، وإنما أعيدت المرأة للسجن والسلام . . فإن لم يكن هذا سوء النية والإستخفاف بالناس فماذا عساه يكون ؟؟ . . . إلى أن قال (إن في تصرف المفتش هذا ما يجعل ما قمت به أنا في الجامع وما قام به الناس بالمركز، شيئًا مفروضًا علينا في واجب الدين وواجب الأخلاق وواجب الحياة نفسها، بل أن الناس قد سلكوا سلوكًا يستحق الثناء وقد شرحنا تفصيله للمحكمة . . ثم واصل الأستاذ حديثه في المحكمة إلى أن قال: (قالت الحكومة في النشرة الرسمية التي أشرت إليها بتاريخ 2/ 10 مايأتي: " قبض على هؤلاء المساجين نفر قليل من المسئولين دون مساعدة الجيش او البوليس" فمن هؤلاء المسئولين؟ كيف كان قبضهم على المسجونين ؟ رأى أهالي رفاعة بعد حوادث الضرب أن يكونوا لجنة ليحملوا عن الحكومة مسئولية القبض على من تطلبهم، خوفًا من أن تأتي بتصرف كسابقه في العنف والبطش بالناس . . والحكومة إنما أرادت بهذا القول ان تظهر للناس ان المسئولين من أبناء رفاعة لادخل لهم بهذه القضية . . وهذه دسيسة خبيثة ولعل من الخير للحكومة ان تعرف جيداً أن هذه الحركة لم يقم بها نفر دون آخر من أبناء رفاعة بل أن كل الآهالي كباراً وصغاراً، المسئول منهم وغير المسئول ، هبوا هبة الرجل الواحد . . يربطهم الشعور بالكرامة المعهودة وغيرة على الأعراض الممتهنة . . والحكومة

تفهم جيداً ولكنها تستخف بالحقائق وتستخف بالناس فإن لن يكن ذلك كذلك فهلا طلبت هذه الحكومة من هؤلاء المسئولين الذين تعتد بهم وتزعم أنهم في صفها . . هلا طلبت منهم القبض على من تريدهم قبل أن تحشد قواتها وتأتي بقوة وتحاصر المدينة الآمنة؟!) نكتفي بهذا القدر من مواجهة الآستاذ للمحكمة التي قضت بسجنه سنتين . . وقد قال لي إنه في فترة سجنه تلك كان يعتبر عند الحكومة سجينًا سياسيًا ، ولكن من جانبه كان يرى أنه على موعد مع القدر لعمل روحي كبير سيره الله له لإنجاز أمر معين . وقد عمل للإستفادة من السجن كخلوة للبحث عن الحقيقة داخل نفسه وللإنقطاع للعبادة والتأمل . . قال أنه كان يصلى كثيراً . . كان دائمًا على طهارة مستمرة ، غسل ، ووضؤ ، مستمرين ، كان يغتسل في اليوم عدة مرات ويتوضأ لكل صلاة ، ولصلاة النوافل ، يكاد لاينام الليل بل يقضيه يصلي . . كل الليل إما راكعًا أو ساجداً ، ينام قليلاً ثم ينهض للصلاة . كما كان يكثر من الصيام الصمدي ، (صيام المواصلة) لايفطر عند غياب الشمس بل يواصل ويفطر بعد ثلاثة أيام متواصلة وأكثر . . كان هذا الصيام عند الإنجليز يفهم إضرابًا عن الطعام ، وكان الجمهوريون في الخارج يعلنونه للناس كذلك ، ويخطبون في المقاهي والمنابر العامة ، يحرضون الشعب ضد الإنجليز ، ويخبرونهم عن حال الأستاذ وعن المقاومة ، والإنجليز لايعترضونهم ، وقد قال مفتش المركز لأمين صديق[4] : (إننا لا نريد أن نخلق منكم أبطالاً) .

وأهتمت الصحف بأخبار الأستاذ وكانت تلك الأخبار تزكى روح الحماس والنضال في الشعب ، كما تشعل شعورهم ضد المستعمر . ورد في جريدة الرأي

---

(4) سكرتير الحزب

العام الصادره بتاريخ 24/ 10/ 1946 ما يلي : (بهذا اليوم أتم الأستاذ محمود محمد طه، رئيس الحزب الجمهوري السجين، سته أيام من صيامه، وقد أغلقت أمس أندية الخريجين في مدني، والأندية الرياضية دُورها، إحتجاجًا على سؤ معاملته . . وتتوالى برقيات الحزب الجمهوري، والمواطنيين على السلطات بالإحتجاج) إنتهى . وظهرت كتابات كثير من المواطنين في الصحف بالإحتجاج على تلك المعاملة ويسألون السلطات كيف يعاملون سجينًا سياسيًا معاملة المجرمين؟ . .

كما اشاد الكثيرون بشجاعة الأستاذ ومواقفه لنصرة المظلوم فقد كتب الشاعر محمد المهدى مجذوب مشيداً بثورة رفاعة بقيادة الأستاذ محمود في قصيدته إلى الله، نورد جزءاً منها :

(هي أدت عن شعبها الدين — يارب وللحق في الشعوب ديون

رفعت طرفها إلى الله والأدمع — في خدها رجاء حزين

ليس تشكو إلى سواه لقد — اعرض سودانها وقل المعين

أين محمودها الذي دفع الضين — القيد في يده رنين

عربي يثور للعرض والدين — ولكنه الغداة سجين . . .)

أما في السجن فقد واصل الأستاذ صيامه وقيامه، وقد حكى لي أنه نتيجة لهذه التجربة الروحية كان يرى رؤى غريبة، سرعان ما تتحقق في يقظتة فمثلاً كان يرى في نومه أن ضابط السجن الإنجليزي يدخل عليه ويسأله : (هل تريد الذهاب إلى الحديقة؟)، فيرفض الأستاذ . . وعندما يستيقظ يدخل عليه الضابط ويسأله نفس السؤال ويرد عليه الأستاذ بنفس الرد . . كما يرى أن ضابط السجن دخل

عليه في الغرفة ولكن الأستاذ لم يقف له كما هو المطلوب من المساجين. . ويشتاط الإنجليزي غضبًا ويحمر وجهه وتستدير عيناه. . وفعلاً عندما يستيقظ يحدث نفس المشهد. . وفي مرة رأى في منامه رجلاً يجلس على كرسي ويلتف حوله عدد من الناس يتناولون طعامًا وشرابًا فخمًا ويغنون ويتمايلون والأستاذ يجلس على مقربة منه يأكل كسرة سودانية وطبيخ بسيط ، وقد فسر تلك الرؤية بأن هؤلاء القوم ومعهم الدجال هم طلاب الدنيا وأنه لن يكون بشاكلتهم ، كما رأي مرة في منامه ان معه جمع من الناس وجاء نحوهم ثورٌ هائجًا ، جرى الناس إلى اماكن مختلفة وبقي هو ولم يجد طريقًا فقابل الثور وفرد له اصبعه وهو يقول : (ربي الله) فهدأ الثور وضحك ، وفسر الاستاذ تلك الرؤية بأن تلك هي عوادئ الدهر والخوف منها وعندما يواجهها سوف تزول ، ولذلك كان دائمًا يقرأ الآيات الكريمة : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ (سورة آل عمران) ، ومنذ ذلك الوقت هذه الآية تتصدر بعض كتابات ومنشورات الجمهوريين وقد اوصى الأستاذ بحفظها ، كما رأى رؤى كثيرة تحقق بعضها عند خروجه من السجن. ظل طوال فترات سجنه لايقف لضباط السجن ، وقد حكى لي أن ضابط السجن الإنجليزي كما ورد سابقًا كان يغضب بشدة لعدم وقوف الأستاذ له حتى يظهر ذلك على وجهه وعينيه ، وفي ذلك الصدد قد صدر بيان من مكتب السكرتير الإداري في جريدة الرأي العام الصادرة بتاريخ 26/ 6/ 1946 يشرح ذلك السلوك جاء فيه : (بيان رسمي من مكتب السكرتير الإداري عن رئيس الحزب الجمهوري : ظهرت بيانات في

الصحف المحليه بخصوص محمود محمد طه الذي هو الأن تحت الحراسة بالخرطوم بحرى نتيجة لرفضه أن يمضي كفالة المحافظة على الأمن . . وهذه البيانات قد إحتوت على بيانات غير دقيقة ، والحقائق كالآتى : لمدة يومين رفض محمود محمد طه أن يشتغل ، وهذا يخالف قوانيين السجن ، فلم يعمل له أي شيء في اليوم الأول ، أما في المرة الثانية ، فقد حكم عليه بالبقاء ثلاثة أيام (بالزنزانة) والأكل الناشف ، ولو أنه رفض أيضًا أن يقف عند الكلام مع ضابط السجن ، فإن العقوبة التى نالها الآن لم تعط له للمخالفة لنظام السجن ، وبهذه المناسبة يجب أن يعلم أن كل المساجين مهما كانت جنسياتهم يجب أن يقفوا إلى ضابط السجن إنجليزيًا كان أو سودانيًا) ، إنتهى . . .

في فترات صيامه المتواصل في السجن ، كانوا يحضرون له الطعام فكان يهدية لمساجين الدرجة الثالثة الذين كانوا يفرحون بذلك كثيراً ، فطعام السجناء السياسين كان أفضل بكثير من طعام عامة السجناء ، وقد نشأت بينه وبين مساجين الدرجة الثالثة صداقة حميمة ، وكان يشير عليهم بالمطالبة بتحسين أوضاعهم ، كما كان يحسهم على عصيان بعض الأوامر المذلة في السجن ، كان دائمًا يوصيهم بالعصيان بحذر حتى يجنبهم التعرض للعقوبات من إدارة السجن في حالة عصيان الأوامر بطريقة صارخة ، وبدأوا ينفذون وصاياه ، وقد شعر الإنجليز أن سلوك الأستاذ بدأ يوثرعلى الساجين . .

بالرغم من أن سبب ذلك الإعتقال كان تحريضه لأهالى رفاعة ليتحركوا لإطلاق سراح المرأة التي إعتقلتها الحكومة الإنجليزية لأنها خفضت إبنتها على طريقة مخالفة للقانون الذي أصدره الإنجليز(لم يكن الأستاذ مؤيداً لعادة الخفاض

ولكنه إستغل تلك الحادثة إستغلالاً سياسيًا حتى ينهض همة الشعب لمقاومة الاستعمار) ورأيه أن العادات الضارة ومنها الخفاض، لاتقاوم بسن القوانيين وإنما بنشر وزيادة الوعي، وأن فرض القانون مع عدم العمل في التوعية، قد يساعد على إنتشار هذه العادة في السر، وقد ورد في بيان الأستاذ الأول ما يلى: (لا نريد بكتابنا هذا، أن نقف موقف المدافع عن الخفاض الفرعوني، ولا نريد أن نتعرض بالتحليل للظروف التى أوحت به لأهل السودان، والضرورة التى أبقته بين ظهرانيهم إلى يومنا هذا، ولكننا نريد أن نتعرض لمعاملات خاصة، وأساليب خاصة، وسنن خاصة سنتها حكومة السودان، أو قل إبتدعتها إبتداعًا، وأرادتنا أن ننزل على حكم إبتداعها إرغامًا. من الأيات الدالة على سؤ القصد، في هذه الأساليب ، إثارة مسألة الخفاض الفرعوني في مثل هذا الظرف. . وأساليب الدعاية التي طرقتها له، والطرق التي رأتها مناسبة لابطاله، والقضاء عليه، ولقد جاءت هذه الآيات دليلاً واضحًا على التضليل المقرون بسبق الإصرار). ولم يكن من أهداف ولا برامج الحكومة البريطانية نشر الوعي، وإلا لكان من أهم واجبات تلك المرحلة أن يتوسع التعليم بفتح المدارس، وأن يغادر الإنجليز البلاد ثم يعمل السودانيون على معالجة مشاكلهم الإجتماعية والسياسية وليس تحت سيطرة المستعمر.

1948ـ1951 الإمتداد الإختياري للخلوة برفاعة:ـ

أمضي الأستاذ محمود في السجن أربعًا وعشرين شهراً، وبعد خروجه منه، إعتكف برفاعة في المنزل لمدة ثلاثة أعوام، قال عن تلك الفترة: (وإعتكفت برفاعة لمدة ثلاثة أعوام واصلت فيها تحنثي وإتضحت في ذهني معالم فكرة التجديد) وعلى نفس النسق كان في تلك الفترة الإختيارية، كثير العبادة، الصلاة، الصوم

والتأمل. . وحتى في خلوته كان يكتب ويشارك بالرأي في أمور البلاد، وفي الأحداث الخارجية، حتى لفتت كتاباته إنتباه الكثيرين، وأخذ بعضهم يكتب في الصحف يسأل عنه من يكون ذلك الرجل؟ فكتب في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 27/ 11/ 1951 متحدثًا عن برنامجه وفلسفته وراء الإعتكاف بما يلي:

(حضرة صاحب جريدة الشعب

ص. ب 226 الخرطوم. .

تحيه طيبة ، ،

وبعد. .

فقد إطلعت في عددكم السابق على كلمة من الأخ سعيد يتساءل فيها عني. . . إلى أن قال: (وبينما أنا في حيرة من أمري إذ قيض الله مسألة فتاة رفاعة تلك المسأله التى سُجنت فيها عامين إثنين. ولقد شعرت حين إستقر بي المقام في السجن، أنى قد جئت على قدر من ربي، فخلوت إليه. . حتى إذا ما إنصرم العامان، وخرجت، شعرت بأنى أعلم بعض ما أريد. . ثم لم ألبث، وأنا في طريقي إلى رفاعة، أن أحسست بأن عليّ أن أعتكف مدة أخرى، لإستيفاء ما قد بدأ. . وكذلك فعلت فهل حبسنى إبتغاء المعرفة؟

لا والله ولا كرامة. . إنما حبسني العمل لغاية هي أشرف من المعرفة. . تلك الغاية هى نفسي التى فقدتها بين ركام الأوهام، والأباطيل. . فإن علي لأن أبحث عنها على هدى القرأن أريد أن أجدها. . وأريد أن أنشرها. . وأريد أن أكون في سلام معها، قبل أن أدعو غيرى إلى الإسلام. . ذلك لامعدى عنه. . فإن فاقد الشىء لا يعطيه. . فهل تريدون أن تعلموا أين أنا من ذلكم الآن؟ إذن فأعلموا:

أني قد أشرفت على تلك الغاية ، ويوشك أن يستقيم لي أمري على خير ما أحب . .) ولقد ظفر بما اراد فكتب في موقع آخر : (إعتكفت برفاعة لمدة ثلاثة أعوام واصلت فيها تحَنُّثى ، وإتضحت في هذه الأثناء في ذهني معالم فكرة التجديد) . إنتهى .

كان عمله في تلك الفترة كما قال ، تجويد العبادة من وضؤ ، وصلاة ، وإكثار التأمل وكان أحيانًا يخرج إلى شاطئ النهر الذى كان قريبًا من المنزل ، حيث يسير على قدميه إلى مسافات طويلة يتأمل فيها ثم يعود إلى المنزل ، وكان يزوره أثناء فترة الإعتكاف هذه أمين صديق وكثير من الدراويش ، وكبار السن من أهل المدينة ، وبعض أهله . وقد ذكر لي أن من أكثر زواره في تلك الفترة رجل متصوف كبير السن من أهالي رفاعة (الجزء الشرقي من المدينة ، من حي إسمه ـ ديم الجلاد ـ) ، يدعى عبد اللطيف الدباغ ، وكان للإستاذ إحترام وتقدير خاص للرجل ، وكأن له إلمام خفي بسر إعتكاف الأستاذ (1948ـ1951) ، في هذه الفترة كما ذكرت تابع الأستاذ الأحداث وكتب العديد من المقالات في الصحف (أنظر باب دوره في السياسة الدولية في هذا الكتاب) .

1951 نهاية فترة الإعتكاف:ـ

في اكتوبر من هذا العام أنهى فترة الإعتكاف الإختياري الذي فرضه على نفسه وعاد إلى الخرطوم ، حيث عمل مهندسًا مدنيًا في شركة ـ النور والقوة الكهربائية ، الآن الهيئة القومية للكهرباء ـ بعد نهاية الإعتكاف طاف على جميع من قدم عملاً لأسرته أوصرف عليهم مبلغًا من المال ، فسدد جميع ديونه ، حتى الحلاق الذي قام بقص شعره قبل إعتقاله مباشرةً قد وصله وأعطاه ثمن الحلاقة . ثم بدأ نشر الدعوة الإسلامية الجديدة .

في عام 1952م ظهر المؤلف الأول (قل هذه سبيلى)، وتبعه عدد من المنشورات الصغيرة. في الفترة (1953ـ 1954) بدأ نشاط الحزب الجمهوري بودمدني وهي من أكبر مدن السودان التي إحتضنت الفكر الجمهوري بعد العاصمة. .

في عام 1954 أسس جريدة (الجمهورية)، وقد ظهر العدد الأول منها في هذا العام وقد كانت طفرة في عالم الصحافة من حيث الجدية ورصانة اللغة، وقد ورد في افتتاحيتها النص الشهير الذي يحمل البشارة إلى المجتمع الذي يدعو إليه، والذي إتخذته شعاراً لجناحي الخاص في معرض الزهور السنوي الذى يقام في الخرطوم وقد أسماه: (خلق الجمال) يقول النص: (نحن تُبشر بعالم جديد، وندعو إلى سبيل تحقيقه، ونزعم أنا نعرف ذلك السبيل معرفة عملية. . أما ذلك العالم فهو عالم يسكنه رجال ونساء أحرار قد برئت صدورهم من الغِل والحقد، وسلمت عقولهم من السخف والخرافات، فهم في جميع أقطار هذا الكوكب متآخون، متسالمون، متحابون، وقد وظفوا أنفسهم لخلق الجمال، في أنفسهم، و فيما حولهم من الأشياء، فأصبحوا بذلك سادة هذا الكوكب، تسمو بهم الحياة فيه سمتًا فوق سمت، حتى تصبح وكأنها الروضة المونقة، تتفتح كل يوم عن جديدٍ من الزهر وجديدٍ من الثمر. .

محمود محمد طه

الجمعة 10 جمادي الأول 1373هـ الموافق

15 يناير 1954 جريدة الجمهورية العدد الأول)

كما أعلن في هذه الصحيفة الثورة على الدعاة السلفيين قائلاً: (وأني لشديد الثقة بأن هذا الشعب لن يتحرر مهما بلغت محاولاته إلا عن طريق الإسلام، وأبادر فأطمئن الشباب المثقف، أني لا أعني الإسلام الذي إحترفه المجلببون بجبب شرف الإنجليز، إنما أعني الإسلام الذي يقوم على روح القرأن ويستنبطه الذين يعلمونه. ولقد وظفت نفسي للدعوة إليه، ولن يهدأ لي بال حتى أرى الإنسانية قاطبة وقد قام مابينها وبين ربها على الصلاة، وبينها فيما بينها على الصلة، وعلى الله قصد السبيل).

وقد كتب في هذه الجريدة عدد معتبر من الكتاب المرموقين، و كان له في هذه الفترة نشاط صحفي واسع، فقد كتب مقالات عدة في عدد من الصحف السودانية المعروفة في ذلك الوقت مثل(السودان الجديد) و(أنباء السودان) و(جريدة الشعب) ناقش فيها مواضيع شتى في القضايا المحلية والعالمية*[5]

1954م، في هذا العام توفى إبنه محمد غرقًا في نهر النيل وهو في التاسعة من عمره طالبًا في مرحلة الأساس، كان قد ذهب لقضاء إجازته السنوية في رفاعة وقد حزن الأستاذ لفقده، ولكنه كان راضيًا بقضاء الله وقدره وقد كتب الكاتب السوداني الدكتور منصور خالد مقالاً بعد تنفيذ حكم الأعدام على الأستاذ معلقًا فيه على إيمان الأستاذ القوي بالله حتى في أشد ساعات الفقد مشيراً في ذلك إلى موقفه بعد وفاة إبنه، فقد نقل عنه أنه قال لمن جاء لتعزيته: (أن إبنى قد ذهب إلى أب أرحم) وقد ضمن منصور خالد ذلك المقال إدانه قوية لنظام جعفر نميري، سوف أورد أجزاء منه في المكان المناسب. .

---

(5) راجع دار الوثائق السودانية ثم كتاب(رسائل ومقالات) للاستاذ محمود.

حكى لي الأستاذ افي بعض أحاديثه معي أنه في فترة الخمسينيات تلك بدأ الحزب الجمهوري يأخذ الطابع الديني وذلك بعد أن إكتملت الفكرة الدينية للتغيير في ذهنه، قال لي في تلك المرحلة تخلف عدد كبير من الجمهوريين القدامى الذين شاركوا في تأسيس الحزب في مرحلته الأولى، وذلك لأنهم كانوا يريدون أن يكون الحزب علمانيًا ولا يريدون الإتجاه الدينى، أعترض هؤلاء وتخلوا عن الركب وواصل الحزب مسيرته، يدعو إلى النهج النبوي والبعث الديني الجديد وظل الأستاذ رئيسًا له .

1955ـ 1956 وما بعدها:ـ

في هذا العام أحضر كل الأسرة من رفاعة إلى الخرطوم حيث إستقرت في منزل بحي الملازمين بأمدرمان، وبدأ في إدخال البعض في المدارس مرحلة الأساس، وبعد فترة ظهر أنه يحتاج إلى منزل أكبر فقد كان العدد كبيراً . . فإستاجر منزلاً أوسع في حي بيت المال وهو من أقدم أحياء مدينة أمدرمان فتحولت الأسرة من حي الملازمين إلى بيت المال . . المنزل الجديد يقع بالقرب من شاطئ النيل، كان منزلاً كبيراً، يتكون من صالون وثلاثة غرف بصالات كبيرة، مقفلة على الطراز القديم ومطبخ وحمامات، وبه حديقة كبيرة بالقرب من الصالون، وأمام كل غرفة فناء واسع ملئ بالأشجار كان فعلاً مكانًا مناسبًا لأسرة كبيرة بذلك الحجم، وكان به قسم خاص بالرجال حيث كان مكان راحته ومكتبه وضيوفه، الكل منا كان يجد مجالاً للإستذكار واللعب والراحة، كما أن الضيوف الذين يفدون من مدن السودان المختلفة، وخاصة من مدينة رفاعة كانوا يجدون مكانًا لراحتهم، كما وجد هو مكانا للتأليف ففي عام 1955 أصدر كتابًا يعتبر من

الكتب الأساسية تحت عنوان (أسس دستور السودان). . وقد دعا في هذا الكتاب إلى حل مشكلة الحكم في السودان بإقامة الحكم الفدرالي وتقسيم السودان إلى خمس ولايات هي: (الولاية الشمالية، والولاية الشرقية، والولاية الغربية، والولاية الجنوبية، ثم الولاية الوسطى حيث حكومة المركز). وتكلم فيه عن السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية شرح في هذا الكتاب معنى الدستور، ومعنى القانون الدستوري، وكذلك شرح علاقة هذه السلطات ببعضها البعض وتكلم عن كيف أن الحريات تبنى، والديمقراطية تقوم من المجالس التحتية إلى القمة.

لجنة الدستور القومية:-

بعد إعلان الإستقلال. . وفي عام 1956 كونت الحكومة لجنة قومية لوضع الدستور الدائم للبلاد، وقد وجهت الدعوة للأحزاب والهيئات لتنتدب ممثليها، وقد تم تكوين اللجنة. وشارك الأستاذ محمود فيها كرئيس للحزب الجمهوري، وفي أول إجتماع للجنة ظهر أن الحكومة قد حاولت الهيمنة على اللجنة والتأثير على قراراتها، فقد عينت رئيسها وإختارت أعضائها المعينين المستقلين، فإعترض الأستاذ على سيطرة الحكومة هذه وتجاوب معه رئيس اللجنة نفسه وبعض الأعضاء. وتقدم الأستاذ محمود بإقتراح بأن تكون لجنة الدستور مستقلة إستقلالا تامًا عن الحكومة تعين رئيسها وأعضائها وتتخذ ماتشاء بعيداً عن الحكومة. وقد سسقط الإقتراح، وبإسقاط اللجنة لهذا الإقتراح إنسحب الأستاذ من اللجنة وأصدر خطابًا نشرته جريدة الرأي العام بتاريخ 26/ 1/ 1957م فيما يلي نصه:

(حضرة السيد رئيس لجنة الدستور القومية، والسادة أعضاء اللجنة المحترمين . .

تحية طيبة،

وبعد:

يؤسفنا أن نبلغكم إنسحابنا من اللجنة القومية للدستور، وذلك لإنهيار الأساس الذي قبلنا به الإشتراك فيها . . فقد جاءت فكرة تكوين هذه اللجنة عقب رغبة حقيقية أعلنها الرأي العام السوداني، كيما تساعد على إبراز الرأي المعبر عن مُثُل الشعب الإنسانية، ليصاغ منها دستوره، وقامت الحكومة بتنفيذ فكرة تكوين اللجنة بإعتبار أنها أصلح من يقوم بمثل هذا العمل . . وما كنا لنبخس الحكومة حقها في شكرها على أدائها هذا العمل لو سارت فيه السير الصحيح . . ولكن مع الأسف كونت اللجنة بصورة يصدق عليها أن تعتبر لجنة حكومية، وليست قومية، فإستحلّت الحكومة لنفسها أن تعيّن رئيسها، وتعيّن أعضاءها المستقلين، حسبما يروقها، وهذه من أخص حقوق اللجنة التي ما كان للحكومة أن تتغوّل عليها . . وكان أملنا أن تسترد اللجنة حقوقها المسلوبة، ولكن اللجنة نفسها، خذلتنا عندما أسقطت الإقتراح الذي تقدمنا به في هذا الصدد فارتضت لنفسها بذلك وضعاً مهيناً، لا نشعر بالكرامة في قبوله، والإستمرار فيه . . وقد قال بعض أعضاء اللجنة، أن اللجنة عينتها الحكومة، وعينت لها اختصاصاتها، وليس من حق أعضائها أن يعيدوا النظر فيما حددته الحكومة، بل لا يتورّع بعض الأعضاء من أن يعلن أن الدستور منحة تمنحها الحكومة للشعب الذي هي ولية أمره فيفصح بذلك عن كفرانه بالشعب أصل الدساتير، كل هذا يقال داخل اللجنة، واللجنة تقبله.

وبذلك وضح أن الحكومة تريد أن تجعل هـذه اللجنـة مخلـب قـط في يـدها وتتخذ منها أداة لعمل تلبسه ثوب القومية . . وإزاء كل هذا لا يسعنا إلا أن نعلـن إنفصالنا من هذه اللجنة . . وختاما تفضلوا بقبول فائق الاحترام .)

في هذا العام أُصيب الأستاذ بحمي ملاريا وقد أُرسل إلى أحـد الأطبـاء ممـن تربطهم أواصر قربى ونسب بالأسرة ، وقرر الطبيب العلاج والراحة ولزم الأستاذ السرير . . أصابنا جميعًا حُزن شديد لمرضه ، وأذكر كيف ونحن صغاراً كنـا نحـيط بسريره ، نغادر إلى المدرسة من غرفته حيث كنا نتناول معه الشاي في الصباح ، ثـم نعود من المدرسة إلى غرفته لنطمئن على حاله ، أذكر أننـى عنـدما كنـت آوى إلى سريري كنت أحس بألم وقلق شديدين على حالته الصحية ، وسرعان مـا شـفى وقد سعدنا كثيراً لإستعادة صحته ونشاطه . كانت تلك المرة الوحيدة الـتي رأيتـه يصاب فيها بالحمى وقال لي أن أخر ملاريا أصابته كانت قبل 24 عامًا من ذلـك التاريخ . . المعروف عنه أنه لايعاني من أي مرض ، غـير أنـه فقـط كـان يـصاب بالنزلة في فصل الشتاء والحر الشديد .

بالرغم من مشغولياته الكثيرة إلا أنه كان يعطينا أطول وقت من زمنه ، كان برنامجنا اليومي يبدأ معه ، فهو محور حياتنا ، كنا نحس أن لـيس لـه عمـل غيرنـا ، وكان يشعرنا بذلك ، يبدأ يومنا بتناول الشاي معه ثم الخروج إلى المدارس ، وبعـد العودة من المدارس ننتظر عودتـه مـن العمـل وأحيانًـا نقابلـه أمـام بـاب المنـزل الخارجي ، ثم نجتمع حوله لتناول وجبة الغداء . قد يخرج في المساء إلى مكتبه أو إلى أى أعمال أخرى وينتظره بعضنا إلى وجبة العشاء ، كنا نتناول معه الوجبات على هذا النحو ، إلا في أحيان قليلة عندما يكون هناك بعض الضيوف عير المعتـادين .

فقد حدث في ذات مرة أن كان معه ضيف وعندما حضرنا للطعام، رفض الضيف ذلك الطعام قائلاً: (إنه لايجب أن تَأكُل معهم البنات)، وقد حدثه الأستاذ حديثًا طيبًا ورقيقًا عن البنات، وأوضح له أن وجودنا معه في وقت الطعام مُهم له.

كان يحب دائمًا أن يتناول الأطفال وجباتهم قبل الكبار، وبصورة أكثر إنتظامًا.. وكان في بعض الأحيان لايخرج في المساء، وفي مثل هذه الأمسيات يستذكر معنا الدروس، ويهتم كثيراً بمتابعة تحصيلنا في المدارس، وقد حظيت سمية بالقدر الأكبر في مذاكرة الدروس معها، لآنها كانت أصغرنا سنًا. فقد أولى تعليم البنات إهتمامًا زائداً وإمتد هذا الإهتمام حتى شمل الجمهوريات اللائي إنتمين إلى الفكرة الجمهورية لاحقا فقد تولى مهمة تعليم الكثيرات منهن..

أذكر عندما كنا في مراحل الأساس من التعليم كان يحضر لنا كتب الأطفال، فقد قرأت كل سلسلة محمد سعيد العريان، وكامل كيلاني، وكان يخلق بيننا جواً من المنافسة ويمنح جائزة لأول من يكمل الكتاب، وأسرع من يقوم بتلخيصه كتابة. وأذكر أننى قد قمت بتلخيص (ساندرلا)، و(كتكت المدهش)..
كان يهتم بتقوية اللغة والتعبير العربي الصحيح بأن يطلب من الواحد منا أن يقرأ له الصحف اليومية، وكثيراً ماكنت أقرأها له، ويتابعني بتصحيح أخطائي، وكان هذا الجهد أقوى مما يقدم لنا في المدارس.. وفي مرحلة الأساس كانت لنا جريدة حائطية اسبوعية في المنزل إسمها (المستقبل)، يكتب فيها جميع الأطفال، وتعلق في الصالون، وكنت رئيسة تحريرها، وتلك كانت أكبر وسيلة للمساعدة على تجويد اللغة والتعبير، وبعد إكمال الثانوي العالي كنت أكتب له بعض الخطابات التي يريد إرسالها لمن يكاتبونه، ولا يرسلها إلا بعد مراجعتها.. وبعد ذلك بسنوات كان يملىء على الكتب التي يؤلفها كما سيظهر ذلك في الصفحات القادمة..

إلى جانب هذا الإهتمام كان يحفزنا إلى إحراز المزيد من التقدم بتقديم الهدايا عند التفوق . . أذكر عندما إجتزت الإمتحان إلى مرحلة الثانوي العالي أهدي لي ساعة وشمعدانًا أنيقًا وقد كانت تلك فرحة عظيمة ورغبة في المزيد من التفوق .

في هذا الوقت كان المنزل مليء بالأطفال ، وكان هو شديد الإهتمام والرعاية لهم . . كثيراً ما يُرى في ليالي الشتاء البارد يطوف يضع الأوسدة تحت رؤسهم . *(6) وكان عندما لايجد غطاء بجوار أحدهم يأتي بالفرش المعد للغيار ويغطي الأطفال من البرد مما لايرضي بعض الأمهات اللائي أعددن الفرش للغيار .

في هذه الفترة كانت الأسرة تسكن حي بيت المال في أمدرمان بالقرب من شاطئ النيل ، أذكر في الإجازات الصيفية ، وفي مواسم الأعياد كان الأطفال في الحي والأحياء المجاورة يحضرون للسباحة في نهر النيل ، وكان بعضهم يموتون غرقًا في النهر وتَحضُر أُسرهم ويبقون على الشاطئ أحيانًا لفترة ثلاثة أيام يبكون حتى يتم العثور على جثمان الغريق ، كان في مثل هذه الظروف يأخذ لتلك الجموع إناء الشاي في الصباح الباكر ، ثم وجبات الطعام ، كما يحمل لهم الأغطية التي تقيهم البرد في الأمسيات ، كما أن بعض أمهات هؤلاء الغرقى يقضين الليل معنا في المنزل ، وكان المنزل في مثل تلك الظروف يتحول إلى مأتم . هذه المواقف كان لها أثر طيب في نفوس أهل المأتم ، كما بَقى لها أثر عميق في نفسي كرمز للشهامة والخلق السوداني الأصيل . .

---

(6) الناس فى السودان ينامون فى فناء المنزل ويسمى بالحوش .

الأعوام 1957ـ1967 (العمل في المشاريع الزراعية):ـ

كانت هذه الأعوام هي سنوات عمله الموسمي كمهندس ري في مشاريع النيل الأبيض الزراعية، حيث كان تواجده في منطقة كوستي، الرنك، والجبلين وماحولها، وكان يستأجر منزلاً في مدينة كوستي، كان هذا المنزل مقراً للفقراء والدراويش والمداحين والشيوخ من رجال الطرق الصوفية، فقد كان يهتم بهؤلاء يخدمهم بنفسه، ويستجيب لطلباتهم ويقوم بعلاج المرضى منهم ويشرف عليهم بنفسه، ويتفقد أحوالهم وأحوال أسرهم، ويساعدهم مساعدات مالية متصلة ويشعرهم بإنسانيتهم، وقد ظلوا يزورونه حتى بعد أن أوقف الذهاب إلى تلك المناطق (أنظر الصور). كانت له عربة لاندروفر رمادية اللون، تشاهد دائمًا مليئة بهؤلاء، وقد كانوا يسمون تلك العربة "الغبيشة" تصغيراً وتدليلاً إشارة لمحبتهم لها. كان يقيم معه في هذا المنرل سائق عربته والطباخ والجنزرجي الذى يعمل معه، ثم يزوره العديد من سكان مدينة كوستي، والشباب المتطلع للمعرفة، حيث نشأت بينه وبينهم علاقات صداقة ومودة قوية، ومن بين هؤلاء طلبة الثانوية العليا الذين كانوا يطرحون عليه العديد من الأسئله العرفانية والسياسية، كما يستفسرون منه عن محتويات البعث الإسلامي الجديد، الذي يدعو له، وكان يقوم بالإجابة عليها*[7] وبعد تنفيذ حكم المحكمة الجائر عليه، كان بعض هؤلاء الطلبة قد أصبحوا أساتذه في جامعة الخرطوم وقد كانوا من طليعة من أصدروا المنشورات، وتقدموا مواكب الإحتجاج على الحكم، وبعدها ظلوا يقيمون الإحتفالات السنوية في جامعة الخرطوم، تكريماً لذكرى وقفته القوية ضد الطُغاة ومحاكم التفتيش.

---

(7) انظر كتابه (رسائل ومقالات)

كما نشأت بينه وبين أبناء الجنوب، في فترة تواجده في منطقة النيل الأبيض، علاقة مودة ورحمة، ومنهم من كانوا يعملون معه ويزورونه في منزله في كوستي، وكان يرعى ويُحسن إلى الكثيرين منهم وظلت هذه الصلة بينه وبينهم قائمة، يكاتبونه ويصلونه حتى بعد أن إستقر في الخرطوم، وكان البعض منهم يكتب له الخطابات باللغة الإنجليزية، أذكر أنه أطلعنى على أحد هذه الخطابات، كانت ودية وطيبة، وقال لنا أنه نصح أبنائه من الجنوبيين أن يأخذوا باللغة العربية، لأنها أقرب إليهم من الإنجليزية. وقد إهتم بمشكلة الجنوب وكتب عن حلها(أصدر منشور (حل مشكلة الجنوب في حل مشكلة الشمال) وكتاب باللغة الإنجليزية والعربية أسمه (مشكلة الجنوب)، ووقف ضد الحرب، حتى أصدر المنشور (هذا.. او الطوفان)، الذي أغتيل بسببه، والذي دعا فيه لحل المشكلة سلميًا ووقف الحرب. وفي نفس المنشور دافع عن المسيحين وقال أنهم سيضارون بتطبيق الشريعة، وكان يحب المسيحيين، وله أصدقاء كثيرون منهم، يزورنه في منزله، ولعلمهم بتصديقه بالسيد المسيح وفهمه الموحد للأديان، فالدين عنده كله واحد من لدن آدم في قوله تعالي: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الشورى)، ففي كتاب الرسالة الثانية من الإسلام، تكلم الأستاذ محمود عن وحدة الأديان، وأن اليهودية هي درجة من النصرانية، ولذلك تسمى بالعهد القديم، والإنجيل يسمى بالعهد الجديد، ففي التوراة جاء في القصاص (العين بالعين، والسن بالسن)، وفي الشريعة(الرسالة الأولى من الإسلام) قال تعالي في كتابه العزيز: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ ﴾ (سورة الشورى)، ويقابل هذا من المسيحية (من لطمك على خدك الأيمن، فأدر له الأيسر كذلك)، وكان السيد المسيح يقول لاتقاوموا الشر، وفي أصول القرآن (الرسالة الثانية من الأسلام) جاء: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ ﴾، فالإسلام في أصوله، يتقدم درجة على المسيحية، بالأمر بالعفو، ثم الإصلاح للمعتدي، وكان الأستاذ يردد كثيراً الحديث النبوي: (كيف أنتم إذا نزل فيكم إبن مريم، حكمًا، مقسطًا، يملأ الأرض، عدلاً، كما ملئت، جوراً). والذي يجري الآن من خلافات بين الأديان، يعزى إلى أنه في مرحلة العقيدة تتفرق الأديان (كل حزب بما لديهم فرحون)، وفي مرحلة العلم الذي قدمه الأستاذ محمود تتوحد الأديان (إن الله بالناس لرؤوف رحيم)، ولهذا الفهم الواسع الذي قدمه الأستاذ محمود، أحبه المسيحيون. أذكر في نهاية السبعينيات، زُرت مع الأستاذ، كاردينال، الكنيسة الإيطالية في الخرطوم، وقد دار بينهما نقاش طيبٌ، وأهداه الأستاذ مجموعة الكتب الأساسية، التي قام بتأليفها، وقد تقبلها بكل سرور، وكان مقدراً للهدية والزيارة، وقد إنتشر خبر تلك الزيارة، وكان لها أثراً طيبًا في أوساط المسيحيين، داخل السودان وخارجه، ففي أثناء زيارتي لإنجلترا وجدت المسحيين يذكرون تلك الزيارة، وقد قصاها عليّ أحدهم)، ولهذا الفهم الواسع أحبه المسحيون. كما كانت له علاقات وطيده مع السياسين المسيحيين من أبناء الجنوب*[8]، وقد كان هؤلاء أكثر الناس حزنًا بعد تنفيذ الحكم عليه، يظهر هذا في كتابات الدكتور بونا ملوال وأخرين.

---

(8) تبنى قضيتهم وكتب كتاباً عن حل مشكلة الجنوب وطالب بحقوقهم وبوقف حرب الجنوب في المنشور الذي كان سبب المحاكمة

هنالك قصص كثيرة تحكي عن كرمه وإحتماله لـزواره مـن شـتى طبقـات المجتمع في منطقة النيل الأبيض. ومن الحكايات اللطيفة التي حدثت أثناء وجوده في مدينة كوستي (وقد كان معه بعض الضيوف) جاءه لص في منزلـه هـذا وأخـذ حقيبة بها أشياء قليلة الأهمية، وقد شعر به الأستاذ وأخذ بعض النقـود وأسـرع وراء اللص يناديه "هذه الحقيبة لاتفيدك بشيء تعـال وخـذ هـذه النقـود"، وعـاد الرجل وأعطاه مبلغ ثلاثة جنيهات، وقد بكى اللص في حضرة الأستاذ وقيل أنـه قد ترك السرقة منذ ذلك اليوم وأخذ يعمل ويزور الأستاذ في بعـض الأوقـات. . وقد تكرر نفس المشهد عندما جاء لص في المنـزل في أمـدرمان تبـع اللـص يقـول له: (تعال لاتخف قل لي مامشكلتك وسوف أحلها لك)، وعندها وقـف اللـص وأعطاه الأستاذ بعض النقود، وفى مرة قدم لأحدهم عشاء.

في تلـك الـسنوات عنـدما يكـون موجـوداً في الخرطـوم كـان يـصحبنا إلى السينما، وكان يتحين الأفلام الجيدة والهادفة، كما كان يأخذنا إلى حدبقة المقـرن حيث كنا نقضي كثيراً من الأمسيات هناك، وقد عرفت منه مؤخراً أن العديد مـن إجتماعات الحزب الجمهوري في أيامه الأولى كانت تعقد في تلك الحديقة كما ورد سلفًا. أيضًا كان يأخذنا في العطلات وأيام الجمع إلى حديقة الحيوان، وكان يقول إن الإنسان إذا زار تلك الحديقة أثناء وقت تقديم الطعام للحيوانات، فسوف يرى سلوك الحيوان على حقيقته. . وقد شـاهدنا تلـك اللحظـات فهـي تجـسد الهلـع والأنانية كما تثير الضحك، من الجانب الأخر تَدفع الإنسان إلى السلوك الإنساني والتنائي عما يقربه من الحيوان. . وقد كان دائمًا يقترح على بعض أصـدقائه مـن المرضى، وكبار السن زيارة حديقة الحيوان ويقول لهم أن الحيوانات تحمل العلـل عن المرضى خاصة مثل فرس البحر وغيره. .

1958 ـ 1964 الحكم العسكري الأول وثورة أكتوبر:ـ

في هذا العام (1958) قام الإنقلاب العسكري الأول في السودان بقيادة الفريق إبراهيم عبود، حيث حُلت جميع الأحزاب السياسية وحُظر نشاطها، وكان نشاط الجمهوريين مستمراً في التوعية، وقد كان حتى تلك الفترة الأستاذ محمود هو المتحدث الوحيد، يقيم الندوات والمحاضرات خدمة لقضية التوعية. في الفترة 1963 وما بعدها كان وقته مقسمًا بين عمله في كوستي ورعايته لنا في أمدرمان.

وفي أغسطس 1958 كتب خطابًا للرئيس جمال عبد الناصر، في مجمله نصيحة للرئيس عبد الناصر، أن يكف عن التدخل في شئون الدول العربية وأن يقبل على الإسلام ليجد فيه المذهبية التي ستمثل الكتلة الثالثة التي ستنقذ العالم من خطر الشيوعية العالمية، وأن يترك الدعوة للقومية العربية فإنها دعوة عنصرية. . كما كتب قبله خطابًا للرئيس محمد نجيب. في هذه الفترة كانت ترد إليه في كوستي وفي الخرطوم العديد من الأسئلة، من عدد من أصدقاء الفكر الجمهوري وبعض المواطنين وكان يرد عليها في شكل خطابات خاصة لهم، وكذلك عبر الصحف اليومية، وبعد سنوات جمع هذه الأسئلة والأجوبة، وأصدرها في أربعة كتب(أسئلة وأجوبة الأول والثانى، ثم رسائل ومقالات الأول والثانى)، وبقى العديد منها لم ينشر حتى الأن.

1959ـ1969 (رعاية الأسرة):ـ

بالرغم من مسؤليات الأستاذ محمود الكثيرة كما ذكرت إلا أنه كان يولي أمر أسرته الكبيرة المكونة من زوجته وإبنتيه وأبناء اخيه مختار محمد طه ، كل العناية. .

ثم ابناء أخ له من أبيه مقيمًا برفاعة، قام بتعليمهم ورعايتهم حتى تم توظيفهم. . . هذا إلى جانب أعداد أخرى من أطراف الأسرة الممتدة ومن أبناء أصدقائه، يرعى تعليم من يرغب في التعليم ويبحث عن عمل لكل من ليس له عمل، كما كان يرعي بعض أبناء المعتقلين من معارفه، وهناك أسر كثيرة يقوم بمساعدتها المادية ولايعلن ذلك لأحد. أذكر أن هناك رجلاً من أقربائه أسمه أحمد المكي كان يسكن ويعمل في الخرطوم ولايصل الأستاذ منذ سنوات، وقد حدث أن توفى هذا الرجل في مستشفى أمدرمان وجاء به إثنان من الأطباء في منتصف الليل بإسعاف، وقالا للإستاذ أن المرحوم في لحظات حياته الأخيرة قال أنت المسؤل عنه، وها نحن قد أتينا لك بالجثمان وذكرا إسمه "هل تعرفه حقيقة ؟ "، فرد عليهم "أي بالحيل"، شكرهم الأستاذ على مجهودهم وقضى الليل بجوار المرحوم يقرأ عليه القرأن وجهزه بنفسه وأقام عليه مراسم الدفن والمأتم. . هذا واحد من أمثلة كثيرة لأشخاص رعاهم أحياء وأمواتاً، كما أنه لايحدثنا عن أعماله التي لم نشهدها لكن أصحابها يتحدثون.

تعليم البنات والتعامل داخل إطارالأسرة:-

أولى تعليم البنات إهتمامًا خاصًا في نطاق الأسرة، وعلى المستوى العام، ففي نطاق الأسرة كان يشجع البنات على القراءة والإطلاع ومواصلة التعليم من مرحلة إلى أخرى، أذكر أني بعد إمتحان الشهادة العليا فكرت في الإشتغال بالتدريس مثل بعض الزميلات اللائي كن يرغبن في العمل، وإتصلن بوزارة التربية وملأن الأرانيك للعمل في التعليم. فإندفعت وراء سلوكهن ذاك وكتبت له أستشيره، وقد كان وقتها في كوستى فرد عليَّ في خطاب يوصيني بترك فكرة

العمل، أذكر في إحدى عبارات ذلك الخطاب قوله: (واصلي تعليمك الجامعي فليس في سودان الغد مكان لأنصاف المتعلمين وأنصاف المتعلمات)، وفي نفس الوقت كان يحرص أن تلم البنات بالعمل المنزلي.. وفي تجربتي الخاصة كان يؤثرني بأهتمام خاص في أمر التعليم (لعله لمس رغبتى في التعليم) كان دائمًا يوصيني ألا أتوقف أبدًا عن مواصلة التعليم إلى أخر مراحله، ففي فترة تواجده بكوستي كان يكتب لي يوصينى بالإجتهاد في الدراسة وأن أقوم بمساعدة الأخريات في الأسرة حتى يتقدمن في التعليم*[9]. لايفوتني أن أذكر أنه في فترة غيابه في كوستي كان يكتب لنا العديد من الخطابات وكنا ننتظر البريد الأسبوعي بفارغ الصبر، فقد كانت خطاباته مصدر سعادة عظيمة لنا.. في حين كان يخطط لتعليمي ألا يتوقف ويوصينى أن أواصل إلى أعلى المراحل، في نفس الوقت أشركني معه منذ وقت مبكر في إدارة شئون الأسرة، وكان يطلب من مربيته ربى جود (التي مازلت حتى تلك اللحظة تقوم بالكثير من أمور الأسرة) كان يطلب منها ومن الأمهات في الأسرة أن يتركوا لى أمور الطبخ وإدارة المنزل في الإجازات وأيام الجمع.. وقد كنت أقوم بالطبخ ونظافة وترتيب المنزل في العطلات، وقد ألمت ومنذ وقت مبكر بجميع أعمال الطبخ وشئون المنزل وكنت حريصة، على إقتناء الجديد من كتب الطهي وتطبيق كل ما يرد فيها، وكذلك ما نأخذه من حصص التدبير المنزلي في المدرسة كان يشعرني بأهمية كل عمل أقوم به ويسألني كيف أديته، ولذلك كنت أشعر بقيمة كل عمل أقوم به مهما كان صغيراً، كان هذا يحفزني للمزيد ويدخل السرور على نفسي.. وقد حفز كل بنات الأسرة للتعليم ونهل المزيد منه، حتى يعرفن قيمتهن (كإنسانات) في المقام الأول،

---

(9) انظر الخطابات في أخر الكتاب.

وكان يرى أن من أوجب واجبات الدين هي نصرة المظلوم، وأن المرأة هي أكبر من ظلم وقد طبق أرائه تلك عمليًا في الأسرة ثم أهدي كتابه(تطوير شريعة الأحوال الشخصية) إلى النساء حيث قال: (إلى أكبر من أستضعف في الأرض، ولايزال.. إلى النساء.. ثم إلى سواد الرجال، وإلى الأطفال.. بشراكم اليوم!! فإن موعود الله قد أظلكم. "ونريد أن نمن على الذين أستضعفوا في الأرض، ونجعلهم أئمه ونجعلهم الوارثين".

كان يطلب من الأولاد في الأسرة أن يقوموا بغسل ملابسهم وترتيب فراشهم بأنفسهم، وأن لايسندوا تلك المهمة إلى البنات، ومن المتعارف عليه في السودان أن هذا العمل من إختصاص البنات في الأسر، وكانت تلك بداية (التحرير) والشعور بالمساواة بصورة عملية... وعندما أنشأ المجتمع الجمهوري إهتم بتعليم كل من كانت في سن التعليم ولم تعلمها أُسرتها، بل أدخل بعضهن المدارس وهن في سن متقدمة، وكن يحكين عن الحرج الذي كُن يقابلِنه وهُن يدرسن مع طالبات يصغرنهن سنا...

كان يهتم بأدق الأشياء في الحياة اليومية، مثلاً عندما يدخل إلى مكان إعداد الطعام ويجد بقايا الطعام على الأرض، أو حبات الذرة كان يجلس على الأرض ويجمعها بيديه ويقول: (لا تلقوا بالنعمة على الأرض فإن من شكر النعمة إحترامها، وأن عدم شُكر النعمة يؤدى إلى زوالها وأنه سيجيء زماناً يبحث فيه الناس عن هذه الحُبيبات ولايجدونها)، وفعلاً حدث ذلك.. ففي 1982 حدث الجفاف وبحث الناس في بعض مناطق السودان عن حبات الذرة في شقوق الآرض.

وكان يراعي كذلك أدق تفاصيل حياتنا اليومية وضمان سلامتها ، على سبيل المثال عندما كنا طلبة في المدارس في الستينيات لم يحدث أن تغيبت عن المدرسة ، ففى ذات صباح ماطر منعنا من الذهاب إلى المدارس ، وعندما حضرت إلى المدرسة في اليوم التالي سألوني عن سبب غيابي وقد أصابتهم الدهشة عندما عرفوا السبب ، إذ لم تتغيب أي طالبة لأن والدها منعها بسبب الأمطار . .

في مجال التربية كان يضع نظامًا للسلوك العام في الأسرة ، فكل من يخرج من المنزل يجب أن يعود قبل الساعة التاسعه مساء ، ولا يسمح لأي شخص أن يعود بعد ذلك (وهؤلاء دائمًا الأولاد) ، أما نحن البنات فلاتخرج أي واحدة منا منفردة إلى أي مكان ، كنا نخرج دائمًا مع الأمهات في الأسرة أو معه وكان دائمًا يوصي حتى بعد قيام المجتمع الجمهوري ، أن لايخرج أي شخص منفرداً ، كل شخص يخرج في معية أحد الأخوان ، وقد عرفنا مؤخراً أن هذا الوضع سليم أمنيًا . . كما كان يهتم كثيراً بحالة كل من يشكو شيئًا أو ألمًا في الأسرة ، يشرف على إعطائهم الدواء ويحفظ مواعيد الدواء أكثر من المريض نفسه ، وفي تجربتي كان يهتم بإعطائي الدواء ولذلك كان عندما يصاب بالنزلة كنت أتغيب عن الدراسة او العمل حتى يشفى .

كان لا يميل إلى العقوبات البدنية ولا يفعلها إلا في حالة الضرورة القصوى . أذكر عندما كنا أطفالاً ، شكت له أمنا ربي جود من أثنين من الأولاد لخطأ إرتكباه فجلدهم . وكنت أنا وإحدى البنات في المنزل نضحك عليهم وهم يبكون ، دعانا إلى الصالون وجلدنا بمسواك أراك وأصبحنا نبكي جميعًا . . . فكأنه قد أقام العدل بيننا ، وكانت تلك أخر مرة لمثل هذه العقوبة ، عندما تقدمت السنوات بدأت أفكر

في الدقة والعطف والحزم والعدل الذي جمع به جميع أطراف هذه الأسرة الممتدة الكبيرة، وقام برعاياتهم وترشيدهم وتربيتهم بكل الحكمة والمحبة في آن معًا وهو أمر في غاية الصعوبة، فكان كثيراً مايتدخل لفض النزاعات بين الأسر عندما تلجأ إليه أذكر أنه قد نشب ذات مرة خلاف بين بعضهم ورفعوا الأمر إلى الأستاذ وكان على رأس الأسر المتنازعة رجل وقد لاحظ الأستاذ ميل ذلك الرجل إلى جانب دون الآخر فكتب له قائلاً: (كن رجلاً وكن محايداً فوق الجميع) وقد شعرت من قوة تلك العبارة ان عدم الحياد يقلل من وزن (الرجل).

في خلال تلك السنوات كنا أحيانا نخرج معه وهو يقود عربته اللاندروفر، و في ذات مرة توقف عند إشارة المرور وقد كان الطريق خاليًا تمامًا، وهنا قال له أحد إخوتى: (واصل السير فليس هناك رجل بوليس) فرد عليه الأستاذ: (ولكن الله دائمًا موجود..)، في هذه الفترة عندما يكون موجوداً في الخرطوم(في فصل الخريف) يأخذنا باللاندروفر(الذي كان كثير الأعطال) إلى المدارس، وفي ذات يوم تعطل اللاندروفر وطلب منا أن نتقدم سيراً على الأقدام، وبعد دقائق قام بإصلاح العطل، فركبنا ثم تعطل مرة أخرى، ونزلنا لمواصلة السير ثم ركبنا مرة أخرى، وتكرر هذا المشهد عدة مرات مما دعانا للضحك... كل تلك الأيام كانت أيام سعادة لانحس فيها إلا بالفرح والمزيد من السعادة في معيته.

1962ـ1963 إستمرار الحركة والوفود:-

في خلال هذه الأعوام وما بعدها كان وقت الأستاذ محمود مقسمًا بين العمل في كوستي، وبين رعاية الأسرة في أمدرمان، والتبشير بالدعوة.. أذكر في هذه الأعوام في أحد الأيام، وبعد عودتي من المدرسة، ترك لي مذكرة مع أمنا ربي

جود مفادها أنه قد حدث له خلاف مع السلطات . . وأنـه قـد لايعـود إلى المنـزل اليوم يرجو مني أن أشرح هذا لأهلي وألا ننزعج لذلك وقد ترك في الظرف مبلـغ خمسة جنيهات لنتصرف بها في المنزل، وقد كانت تلك أول ورقة، في أمـر هـام، يكتبها لي . . وقد شعرت بالخوف والحزن والمسؤلية في آن معًا، وكان ذلك شعوراً غريبًا . . لم يصل الخلاف مع السلطات إلى المدى الذي توقعه الأستاذ، وعاد بعد نهاية اليوم العملي وكانت أيضًا فرحة كبيرة ثم أخذ مني الورقة . . وبعد سنوات من ذلك الحدث شرح لـي أن سـبب تلـك الورقـة أنـه كـان قـد أقـام عـدد مـن المحاضرات في نادي الخريجين بالخرطوم تحدث فيها عن تطوير التشريع الاسـلامي وعن الصلاة، تناول أحد الصحفيين المعارضين تلك المحاضرات تنـاولاً مـسفًا، إدعى فيه أن الأستاذ محمود قد أسقط التكاليف والصلاة ونتيجة لهذا أراد الأستاذ أن يوضح للناس حقيقة ما قال فذهب إلى جامع أمدرمان الكـبير في رمـضان بعـد الصلاة والخطبة إستأذن من الإمام وإعتلى المنصة، قال لي(بدأت حديثي للمصلين بقولي أنا محمود محمد طه سمعتم عني الكـثير ولكـن لم تـسعموا مـني) وأراد أن يشرح موضوع الصلاة فلم يستمع الناس بل أخذوا يتصايحون وساد المكان الصياح والهرج، قال إنه كان وحده، وقد كان الهرج شديداً، ولم يبال به، وقام بعضهم للإعتداء عليه، وأخذوا يشدون أطراف بدلته، قال لي إنه لم يأبه بهم، وأما شـد بدلته كان يحس به كجذب أطفال صغار يمسكون بأطراف بدلته . وإستدعي له إمام الجامع وكان آذاك الشيخ عوض عمر، البوليس وذهبوا بالأسـتاذ لمركـز البـوليس حيث طلبوا منه الحضور في صباح الغد إلى وزارة الداخلية، وبعد هذا السرد قـال لي : (لهذا السبب كتبت لك تلك الورقة) .

حز نشاط الأستاذ الفكـرى في نفـوس المعارضـين والفقهـاء الـسلفيين مـن أدعياء الدين، فكتبوا عريضة للحكومة ينبهونها لخطر الجمهوريين. وطلبـوا مـن الحكومة إيقاف المحاضرات وفعلاً إستجابت لهم السلطات فأوقفت نشاط الأستاذ الخارجي ومُنع من المحاضرات في الانديه، كان كلما يذهب لتلبية دعوة نادي مـا للمحاضرة يجد أن البوليس احاط بالنادي ومنعت المحاضرة، فعكف الاستاذ على إقامة الندوات في منزله ومنازل بعض الجمهوريين والأصدقاء، وقـد كانـت فـترة مليئة بالعمل الدؤوب. وكان بعض المثقفين من زملاء الأستاذ في كليـة غـردون، ومن المتعاطفين مع الحركة قالوا للحكومة ان هذه المحاضرات لا تسبب أي مشاكل وأنها تقوم في المنازل ويحضرها جمهور كبير لذلك من الأسلم امنيا ان تقام في الأندية والاماكن العامه وفعلاً نشطت الحركة فى تلك الفترة .

إستطاعت الفكرة الجمهورية في تلك الفترة أن تركز النواة في قلوب وعقول الكثيرين، ومنهم من التـزم الفكـرة الجمهوريـة، وكـذلك كـان العمـل في مـدن السودان مثل مدني ورفاعة وكوستي وبورتسودان، وفي هذه الفترة أيضاً إسـتطاع أن يؤلف العديد من الكتب، كما كتب عدداً من المقالات في الصحف اليومية وقد تنبه أعداء الفكر الجمهوري لهذا النشاط. . وسرعان مـا أصـدرت وزارة الثقافـة والإعلام منشوراً سريًا منعت فيه الصحف من نشر مقالات الأستاذ.

كان يعود إلى الخرطوم من كوستي في موسـم الخريـف. وفي طريـق العـودة يطـوف علـى بعـض المـدن يقـيم المحاضـرات مبـشراً فيهـا بالبعـث الإسـلامي الجديد. . . كان يقضي في هذه المدن أسبوعًا أو أكثر وقبل تحركه من كوستي، يتم الإتصال بالأندية الثقافية في تلك المدن، حيث يتم تنظيم هذه المحاضرات وإعـداد برنامجها الزمنى.

قبل عام 1969 لم نكن نصحبه في تلك الجولات بل نقيم في المنزل في أمدرمان مع الأسرة الكبيرة التى كانت تشمل الوالدة الكبيرة ربى جود، التى قامت بتربيته ثم العمات وأمهاتنا والعديد من كبيرات السن من أطراف الأسرة اللآئي فضلن أن يعشن في كنف الأستاذ، ثم أبناء العمومة وأخواتي المتزوجات واللآئي يأتين لقضاء الإجازات معنا، وكذلك أبناء بعض أصدقائه صغار السن، الذين يدرسون في المدارس تحت رعايته، ويقيمون معنا في المنزل، ثم يعودون إلى أهلهم بعد نهاية العام الدراسي . . .

كان يصحبه في تلك الجولات التثقيفية والدعوية بعض الجمهوريين ممن يقربونه سنًا أو يزيدون أو أقل. طاف على معظم مدن السودان مثل مدني، كوستي، الأبيض، بورتسودان، طوكر، جبيت، سنكات، سواكن، هيا، رفاعة، سنار، الحصاحيصا، القضارف، كسلا، الدمازين، سنجة، السوكي والروصيرص كلوقي، تلودي، العباسية، ام روابة، الدلنج رشاد، ابوجبيهة، ود عشانا، تندلي، الدويم، الكوة، ود المجذوب، أربجي، بربر، الدامر، عطبرة، العبيدية، الحاج عبد الله . . إلخ*[10] . . وله أصدقاء في كل هذه المدن يحبونه ويحترمون أفكاره وإن إختلفوا معه في الرأي . .

في هذا العام حدث له حادث حركة وهو يقود عربته اللاندروفر ومعه بعض الأقارب وقد كان عائداً من كوستي إلى مدني فإنجرف به اللاندروفر إلى جانب أحد الترع الزراعية في الطريق، وأوقف حجر كبير العربة من السقوط في الترعة، وكانت تلك عناية إلهيه كبيرة ولم يصب أحد بأذى، ولكن هذا الحادث سبب لنا

(10) أنظر قائمة المدن التي زارها محاضراً وناشرا لدعوته.

جميعًا ألمًا وإنزعاجًا شديدين ، فهو دائمًا يقود هذه العربة منفرداً ليلاً ونهاراً والأخطار متوقعة ، حكى بعض الذين كانوا يرافقونه في تلك السفرية ، أن البوليس حاول أن يجري له إختباراً للسُكر ، لما عهده البوليس في مثل هذه الحوادث ، ولكن الأستاذ رمقه بنظرة إستنكار جعلته يعدل عن ذلك الإجراء . .

1964 (الرحيل إلى مدينة الثورة بأم درمان):-

في هذا العام إكتمل تشييد منزله في مدينة الثورة بأمدرمان المنزل رقم 242 الحارة الأولى ، الذي تبلغ مساحته 300 متر مربع فقط ، تحصل عليه عن طريق خطة إسكانية عامة كانت قد طرحتها حكومة الفريق إبراهيم عبود ، ضمن برامجها لحل مشكلة الإسكان . . . (انظرالصور) إستغرق تشييد ذلك المنزل المتواضع مدة خمسة أعوام وذلك لعدم توفر المال اللازم في وقت واحد ، ولقلة تواجد الأستاذ المنتظم في الخرطوم لإشتغاله في المشاريع الزراعية بكوستي ، وإنشغاله بأمر الدعوة من نشاط صحفي وإلقاء المحاضرات والتأليف ، إلى جانب مشغولياته الأخرى الكثيرة . كان كلما يتقدم البناء و يأتى الخريف ويتلف بعضه ، ويعاد تكسير ذلك الجزء التالف ثم يواصل بناء ذلك المنزل ويقف لقلة المال من جديد ، وهكذا . . .

المنزل مبني من الطين علي الطريقة السودانية البسيطة ومجهز بطريقة هندسية جيدة ، يتكون من ثلاثة غرف وصالون وحمامين ومطبخ وعدد من الصالات المشيدة بالحديد والخشب ، وله بابين خارجين ، وعدد من الأشجار أمام المنزل لتقي المنزل من الحرارة والرياح . . خصص الأستاذ الصالون للضيوف وكانت تقام فيه الجلسات الفكرية والندوات والإنشاد الديني ، وخصص أحد الغرف له ، وغرفة لي وكان يسميها(غرفة بتول) ، كنت أضع فيها كتبي وملابسي ثم أقضي جُل

وقتي معه، كان الأستعمال الأكثر للصالات وفناء المنزل وذلك لحرارة الطقس.
حتى ذلك الوقت كان الأستاذ محمود مازال يمارس عمله في هندسة المشاريع الزراعية بين كوستي والرنك والجبلين، ويكتب ويؤلف ويقوم برعاية الأسرة الكبيرة والأقارب.

الفصل الثالث

ثورة أكتوبر 1964م
ودور الأستاذ محمود في تلك الثورة

في هذا العام تجمعت سحب الغضب الشعبي ضد الحكم العسكري الدكتاتوري الذي خيم على البلاد لمدة ست سنوات (1958ـ1964)، فإندلعت ثورة أكتوبر الشعبية التي أطاحت بالحكم العسكري، وقد كانت ثورة بيضاء من غير سلاح، ولم تُرق فيها الدماء، وقد أعطى الأستاذ تلك الثورة التقييم الذي تستحقه فقد قال: (أن ثورة أكتوبر ثورة فريدة في التاريخ وهي لم تجد تقويمها الصحيح إلى الآن لأنها لاتزال قريبة عهد، ولم تدخل التاريخ بالقدر الكافي الذي يجعل تقويمها تقويمًا علميًا ممكنًا.. ولقد يكفى أن يقال الأن أنها ثورة فريدة في التاريخ المعاصر تمكن بها شعب أعزل من أسقاط نظام عسكري إستأثر بالسلطة مدي ست سنوات.. ثم كانت ثورة بيضاء، لم ترق فيها الدماء وكانت إلى ذلك ثورة بغير قائد ولامخطط وبغير خطباء، ولا محمسين للجماهير وتم فيها إجماع الشعب السوداني، رجالاً ونساء وأطفال بشكل منقطع النظير، ولكأنها ثورة كل فرد من أفراد الشعب تهمه بصورة مباشرة وشخصية.. ولقد كانت قوة هذه الثورة في قوة الإجماع الذي قيضه الله لها.

ومهما يكن من الأمر، فإن شعب السودان، في ثورة أكتوبر قد كان قويًا بوحدته العاطفية الرائعة، قوة أغنته هو عن إستعمال العنف، وشلت يد خصومه عن إستخدام العنف، وتم بذلك إلغاء العنف من معادلة التغيير الماركسي.. إذ قد تم التغيير بالقوة من غير عنف وهذا في حد ذاته عمل عظيم وجليل..

وثورة أكتوبر ثورة لم تكتمل بعد، وإنما هي تقع في مرحلتين نفذت منها المرحلة الأولى ولا تزال المرحلة الثانية تنتظر ميقاتها. . المرحلة الأولي من ثورة أكتوبر كانت مرحلة العاطفة المتسامية التي جمعت الشعب على إرادة التغيير، وكراهية الفساد، ولكنها لم تكن تملك من إرادة التغيير فكرة التغيير حتى تستطيع أن تبنى الصلاح بعد إزالة الفساد، من ذلك إنفرط عقد الوحدة بعيد إزالة الفساد وأمكن للأحزاب السلفية أن تفرق الشعب وأن تضلل سعية حتى وأدت أهداف ثورة أكتوبر تحت ركام من الرماد مع مضي الزمن).

(والمرحلة الثانية من ثورة أكتوبر هي مرحلة الفكر المستحصد العاصف الذي يتسامى بإرادة التغيير إلى المستوى الذي يملك معه المعرفة بطريقة التغيير. . وهذه تعني هدم الفساد القائم ثم بناء الصلاح مكان الفساد وهي ما نسميه بالثورة الفكرية. . فإن ثورة أكتوبر لم تمت ولا تزال نارها تضرم، ولكن غطى عليها رُكام من الرماد، فنحن إنما نُريد أن تتولى رياح الفكر العاصف بعثرة هذا الرماد حتى يتسعر ضرام أكتوبر من جديد، فتحرق نارها الفساد، ويهدي نورها خطوات الصلاح، وليس عندنا من سبيل إلى هذه الثورة الفكرية العاصفة، غير بعث الكلمة (لا إله إلا الله) جديدة دافئة، خلاقة، في صدور النساء والرجال، كما كان العهد بها في القرن السابع الميلادي). .

بعد هذا التقييم لثورة أكتوبر أصدر الأستاذ العديد من المنشورات التي تشرح المعاني الأساسية لمبادئ العمل السياسي الفعال من تلك المنشورات (الديمقراطية ماهي؟ . .) (الإشتراكية. . ماهي؟) (ماذا نريد؟ . .) (حل مشكلة الجنوب في حل مشكلة الشمال. .).

وكما قال فإن ثورة أكتوبر قد حققت إجماعًا عاطفيًا كبيراً في أوساط المواطنين على مختلف طبقاتهم في مدن السودان المختلفة. حيث خرج الناس على قلب رجل واحد، وأسقطوا النظام العسكري بقوة الإجماع ولكن سرعان ما إنفض ذلك الإجماع وما زال السودان ينتظر الثورة الفكرية التي تملك المقدرة علي التغيير بتقديم النظام الصالح للحكم..

وقد شارك الأستاذ محمود مشاركة فاعلة في ميلاد ودعم ثورة أكتوبر، حتى تصل إلى غاياتها فقد شارك في موكب شعبي كبير نظمته جميع الأحزاب وقطاعات الشعب والمهنيين من قضاة ومحامين وأطباء، ذهبوا لتقديم عريضة للفريق إبراهيم عبود، وعندما وصل الموكب منطقة سوق الخرطوم، تصدى البوليس للموكب بالهراوات والغاز المسيل للدموع، بنية فضه، وعندها تفرق الناس في كل الإتجاهات وتشتت جموعهم.. لم يغادر الأستاذ منطقة الموكب، ومنذ ذلك اليوم قرر ألا يشارك هو ولا الجمهوريون في مسيرة أو موكب تنظمه جماعات أخرى قائلاً: (أننا إذا خرجنا لأي غرض لا نولي هاربين ولا نرجع إلا إذا حققنا الهدف الذي خرجنا من أجله). وقد ظل هذا ديدنه، فلم يشارك منذ ذلك اليوم في أي موكب جماهيري نظمته الأحزاب أو أي جهة أخرى. وكان كل ما ذكر هذا الموقف يربطه بقصة حكاها الكاتب الإنجليزي بيرنارد شو عن نفسه حيث قال: (أنه إشترك في مظاهرة في لندن قوامها 2000 شخص وهجم عليها البوليس، وفر جميع المتظاهرين، وظل بيرنارد شو وحيداً يمشي في صالات المحلات التجارية، وقال أنه سوف لايشترك مع أي مجموعة ليس لها هدف، إذ إن البوليس كان له هدف، لذلك إستطاع أن يفرق مظاهرة بهذا العدد الكبير)، ففي إعتقال الأستاذ الأخير

في (يناير 1985) بعد صدور الحكم عليه، و قبل التنفيذ بأقل من أسبوع وعندما قررت الهيئات النقابية في السودان تسيير المواكب ضد الحكم عليه، أوصاني في إحدى زياراتي له في السجن أن لا يخرج الأخوان الجمهوريون في المواكب التى ينظمها الأخرون، لأنهم إذا خرجوا معهم في المواكب العامة، فسوف لا يلتزم هؤلاء بالأدب الجمهوري في المواكب، وسوف يفرون عندما يعترضهم البوليس، وهذا مالا نفعله نحن الجمهوريين، وكانت وصيته في الفترة الأخيرة أن يخرج الجمهوريون في مواكبهم الخاصة، وأن يجلسوا على الأرض إذا هاجم البوليس مواكبهم. . ولكن لم يحدث شيئًا من ذلك فقد بدأت الصورة تتغير.

1965 (بداية مرحلة جديدة من التأليف):-

في هذا العام تم الإستقرار في منزله، بمدينة الثورة بأمدرمان مع كل الأسرة وفي العطلة الصيفية بدأ في تأليف كتاب (رسالة الصلاة) تمت كتابة ذلك الكتاب في غرفته الخاصة، وهي غرفة مجاورة للصالون، إجتهدت كثيراً في السنوات الأخيرة، أن أجعلها نظيفة ومنظمة حتى توفر له الراحة. كان يُملي عليَّ ذلك الكتاب، قال لي أنه يفضل التحدث ففي التحدث تجئ الأفكار متسلسله، ولا يريد أن ينشغل عنها بالكتابة، ولذلك إقترح علي أن أجلس ليملئ عليَّ مايريد كتابته، وأعد لي مكانًا للكتابة علي مقعد كبير، ومنضدة مستديرة الشكل إلى جوار سريره[1] وبدأت الكتابة، هو يملي علي وأنا أكتب، وكان يسألني بعد كل فترة قصيرة عما كتبناه، فاقرأ عليه، وأحيانًا يأخذ الورق ينظر فيه ثم يعيده بعد مراجعته. . قد نبدأ عنوانًا جديداً أو نواصل فيما كتبناه. . كانت طريقته إما أن يُمليٌ وهو جالس على سريره أو يُملئ وهو يتمشى في الغرفة ذهابًا وايابًا، كان

---

(1) أنظر صورة المنزل.

يتشدد في صحة كتابة الآيات القرآنيه فكلما يورد آية وهو متأكـد مـن حفظـة لهـا لايكتبها إلا بعد مراجعتها من المصحف، ويأمرنى بنقل الأية مـن المـصحف كمـا هي، وكان ينصحني أن أدقق في الأيات، وأن لا أكتب النص إلا إذا تأكدت مـن صحته، وقد كنت أحس بتوقيره وإحترامه الشديد للمصحف، ترك ذلـك تعلقًـا في نفسي بالمصحف. . كان أيضًا عنـد مراجعتـه للكتابـة يتـضايق مـن أخطـائي الإملائيـة ويقـول لـي: (إذا ترددتـي في تهجئـة أي كلمـة أسـألينى عنهـا قبـل كتابتها. .).

كنا نكتب منذ الصباح وحتى السابعة مساء لانتوقف إلا للـصلاة وأوقـات راحته التى كانت دائما بين الحادية عشرة والواحدة ظهـراً كمـا كنـا نتوقـف عنـد حضور الضيوف، أما إذا كان الضيف من الجمهوريين كان يعطيه بعض الوقت ثم يواصل الكتابة وقد يشارك معنا للإستماع للإمـلاء امـا إذا كـان الـضيف غريبـاً فتتوقف الكتابة تماماً، ويلتفت الأستاذ إلى ضيفه، وربما إنـصرفت أنـا إلى بعـض الراحة او قضاء بعض الحاجيات وكنت افرح كثيراً بهـذه اللحظـات إذ أن عـبء الكتابة المتواصلة كان مجهداً.

إكتمل كتاب رسـالة الـصلاة وصـدرت طبعتـه الأولى في الأول مـن ينـاير 1966م، وقد أحدث إزعاجاً كبيراً للجهات السلفية والمتعـصبين الـدينيين، ممـا أقلق هذه الجهات، إن الكتاب قد تناول موضوع الصلاة بطريقة جديـدة ومختلفـة عما ألفه الناس من قبل، فقد جعـل الـصلاة جلـسة نفـسية ووسـيلة يـصل بهـا الإنسان إلى معرفة الحقيقة الكامنة في داخله، وقد اوضح ان الصلاة وسيلة وليست غاية (والوسيلة دائمًا من جـنس الغايـة. . فهـي طـرف منهـا، والإخـتلاف بـين

الوسائل وغاياتها إختلاف مقدار، وليس إختلاف نوع، ولايمكن لدى النظر السليم التوسل إلى الغايات الصحائح بالوسائل المراض. .) الصلاة هي وسيلة إلى المقام الذي يكون فيه الفرد في صلة تامة وجمعية شاملة بربه، راجع "كتاب رسالة الصلاة" وتبعه بفترة كتاب تعلموا كيف تصلون وكُتيب صغير تحت عنوان "(صلوا !! فإنكم اليوم لاتصلون. . هذا الحديث يساق إلى كل المسلمين، ، ويساق بصورة خاصة إلى الذين يعمرون المساجد ويستشعرون الرضا عن أنفسهم . . . صلوا !! فإنكم الآن لاتصلون . . ولا تغرنكم هذه الحركات التي تؤدونها فإنها لاروح فيها . . إنها جثة بلاروح بدليل أن أخلاقكم ليس أخلاق المسلمين ولم يقل النبي الكريم الدين العبادة وإنما قال الدين المعاملة)، وقد كان مثيراً للإهتمام، كما أنه في نفس الوقت أثار حفيظة أدعياء الدين الذين إستعاضوا عن محتوى الصلاة بالتسبيحات والهمهمات. . وعلى النقيض في الجانب الأخر حبب الصلاة لنفوس الكثيرين من المثقفين والأذكياء، ومنهم من بدأ يصلي بعد الإطلاع على ذلك الكتاب. .

1965 (فتنة معهد المعلمين العالي، وحل الحزب الشيوعي):-

في هذا العام نشبت فتنة دينية في البلاد أثر حديث لطالب بمعهد المعلمين العالي، بعد ندوة شاركت فيها إحدى زعيمات الأخوان المسلمين وكان مفاد تعليق الطالب هو إستنكار لعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قُيم حديث ذلك الطالب بأنه إساءة للنبي الكريم، وأنه خروج علي الاسلام، ولما كان الطالب شيوعياً فقد نسب هذا الموقف لإنتمائه اليساري، وقد إستغل الأخوان المسلمون ذلك الحدث وصعدوه إلى المدى الذى وصلوا به إلى الجمعية التأسيسية،

وحلوا به الحزب الشيوعي ، وطردوا بسببه أحد عشر نائباً من الجمعية التأسيسية ، هم نـواب الحـزب الـشيوعي المنتخبـون ، وقـد كـانوا مـن خـيرة أبنـاء الـشعب السوداني ، ولعل وجودهم في الجمعية كان يمثل إزعاجًا دائمـاً لرجـال الأحـزاب الطائفية الذين يقلون عنهم ذكاء وإخلاصاً لخدمة الشعب .

فقد نشط الأخوان المسلمون والطائفيون في تلك الفترة لتصعيد ذلك الموقف ضد الحزب الشيوعي لحله ، والخلاص من منافسة أعضائه ، وقد واجهـت الـبلاد فتنة دينية وفوضى إذ نـشطت النـدوات الـتي كانـت تنتهـي بـالعنف والـشغب ، وعندها تحرك الأستاذ محمود في مقابلة قادة الحزب الشيوعي والجهـات الأخـرى ، لدرء الفتنة وحقن الدماء ، وقد كان موقفه محترماً ومقبولاً عند كـل الأطـراف . . وإثر ذلك النشاط تكون مؤتمر للدفاع عن الديمقراطية ، شارك فيه الأسـتاذ محمـود وتحدث في الندوات العامة التى أقيمـت في الجامعـة و في دور الأحـزاب والأنديـة العامة . . وأكد موقفه في الدفاع عن الديقراطية ، وأدان حل الحزب الشيوعي كما أكد أن حل الحزب خرق معيب للدستور . . وقد وجه نقداً شديداً للدكتور حسن عبد الله الترابي ، حين صرح الترابي أن تعديل الدستور لحـل ذلـك الحـزب عمـل جائز ، وأن مادة الحريات في الدستور من أكثر المـواد قابليـة للتعـديل ، وقـد نقـد الأستاذ محمود هذا الفهم نقداً شديداً وأكد أن مادة الحريات (المادة 5/ 2) في دستور السودان تمثل عظم الظهر للدستور ، ولا يمكن تعديلها إذ أن تعديلها يعني إلغـاء الدستور ، وبالتالى إلغاء الحرية ، وقد ضمن الأسـتاذ هـذه الأراء في كتـاب تحـت عنـوان : (زعـيم جبهـة الميثـاقي الإسـلامي[2] في 1ـ ميـزان الإسـلام 2ـ والثقافـة

---

(2) زعيم جبهة الميثاق الإسلامي هو الدكتور حسن الترابي

الغربية)، وقد وجد هذا الكتاب وقتها رواجاً كبيراً، ووقف الأستاذ محمود مدافعاً قوياً عن مبدأ الحريات وقال معلقاً عن مشكلة طالب معهد المعلمين العالي أنها مشكلة لاتحتاج أن تصل إلى ذلك المدى، "فهو طالب وقد يحتاج للترشيد والتوجيه السليم ولا يرقى أمره لحل حزب وطرد نوابة من البرلمان"، كما أوضح أن الأمر قد أستغل وألبس ثوب الدين للتخلص من الحزب الشيوعي كمنافس قوي للجهات الدينية، كما أكد أن الأفكار مهما كانت لاتحارب بالقمع والأساليب الدكتاتورية وأن الرأي لايهزم إلا بالرأي، وأن الفكرة الماركسية لايهزمها ويوضح باطلها إلا الفكر الإسلامي الواعي وأن أسلوب القمع الذي أتبعته الأحزاب الطائفية قد يطيل من عمر الماركسية ويكسبها عطف المواطنين، كما قد يعطيها أيضاً فرصة العمل في الخفاء، وقد حدث فعلاً ما قاله الأستاذ، فقد ظهر الحزب الشيوعي بعد تلك الفترة في السودان ولفترة محددة أقوى مما كان عليه قبل تلك الأحداث . .

وقد أكد الأستاذ محمود أن هذا الأسلوب الذي إتبعته الأحزاب الطائفية في حل الحزب الشيوعي سوف يسري على جميع الأحزاب المعارضة وقد تحققت نبؤته تلك بالنسبه للحزب الجمهورى فقد قُدمِ الأستاذ لمحكمة تسمى محكمة الردة فى نوفمبر عام 1968 بإدعاء أن أفكاره خروج على الأسلام راجع كتاب(بيننا وبين محكمة الردة) . . وفي عام 1985 ذهب الأمر إلى أبعد من محاكمة الأفكار بل تآمرت عليه الجهات السلفية بالتضامن مع السلطات في حكومة جعفر نميري الدكتاتورية ولجاؤا إلى تصفيته الجسدية للخلاص منه، بعد محاكمة جاهلة جائرة أعادت عهود الظلام ومحاكم التفتيش كما سنرى في الصفحات القادمة . .

فترة الستينيات وزيارة الأستاذ محمود لأضرحة الأولياء بالسودان:-

كان الأستاذ محمود يعمل لنشر الفكرة الجمهورية بطرق واضحة تخاطب العقل مباشرة، وطرق أخرى يصحبها بعض الخفاء ففى الستينيات (1965) قام بجولة واسعة، بصحبة بعض الجمهوريين وبعض الأصدقاء، لزيارة أضرحة الأولياء والصالحين المقبورين في السودان والذين كان لهم دور واضح في توعية الناس ونشر الوعي الديني وخدمة البسطاء في كل بقاع السودان. . في نفس الوقت وفي أوقات متفرقة، قام بزيارات عديدة لرجالات الطرق الصوفية ومشايخ الطرق، شارحاً لهم وسيلة البعث الاسلامي الجديد، والذي يختلف تماماً عما ألفوه، كان يدعوهم إلى ترك ما هم عليه من طرق متفرقة وإتباع طريق النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يتوحدوا ويجتمعوا على قلب رجل واحد، ويتم الإصلاح على أصل الدين بإتباع النبي الكريم محمد، وكان يؤكد أن من إتبع النبي صلي الله عليه وسلم فقد أسلم نفسه لقيادة نفس هادية ومهتدية وقد دعا جميع الأمة المسلمة إلى هذا النهج في كتابه (محمود محمد طه يدعو إلى طريق محمد). . وقد ورد في مقدمة طريق محمد ما يلى: (أما بعد فإن الزمان قد إستدار كهيئته يوم بعث الله محمداً داعياً إليه ومرشداً ومسلكاً فى طريقه، وقد إنغلقت اليوم بتلك الإستدارة الزمانية جميع الطرق التي كانت فيما مضى واسله إلى الله، وموصلة إليه، إلا طريق محمد) إنتهى*[3]. . كما جاء أيضاً في ذلك الكتاب قوله: (إن محمداً هو الوسيلة إلى الله، وليس غيره وسيلة منذ اليوم، فمن كان يبتغي إلى الله الوسيلة التى توسله و توصله إليه ولا تحجبه عنه، أو تنقطع به دونه، فليترك كل عبادة هو عليها

(3) راجع كتاب طريق محمد الطبعة الثامنة.

اليوم، وليقلد محمداً في أسلوب عبادته، وفيما يطيق من أسلوب عادته، تقليداً واعياً، وليطمئن حين يفعل ذلك أنه قد أسلم نفسه لقيادة نفس هادية ومهتدية)، كما جاء قوله: (أن على مشايخ الطرق منذ اليوم أن يخرجوا أنفسهم من بين الناس ومحمد، وأن يكون عملهم إرشاد الناس إلى حياة محمد بالعمل وبالقول، فإن حياة محمد هي مفتاح الدين.. هي مفتاح القرآن، وهي مفتاح (لا إله إلا الله) التي هي غاية القرآن وهذا هو السر في القرن في الشهادة بين الله ومحمد (لا اله الا الله محمد رسول الله) وحياة محمد مرصودة في كتب الأحاديث وخصوصاً صحيح البخاري) إنتهى*[4].. لم يرض هذا الكتاب الكثيرين من شيوخ الطرق، إذ كانوا يرون لابد من وجود الطرق، إما لسبب إستفادتهم من الأتباع، أو لكسل البعض عن التقليد الجاد..

أنشأ الأستاذ مبدأ ثابتاً لوفود الأخوان الجمهوريين التى كان يبعثها إلى مدن السودان المختلفة مبشرين بالدعوة الإسلامية الجديدة وهى ان يبدأوا اولا بزيارة الرجل الصالح المقبور في المدينة كان يقول لهم أن مفتاح المدينة عند الرجل الصالح المقبور فيها، ففي مدينة رفاعة كانوا يبدأون بزيارة الشيخ طه أحمد البدوي وفي مدينة كسلا يزورون السيد الحسن الأكبر.. كان يؤكد دائماً أن الصوفية هم السلف الصالح الذين تعلقوا بالإسلام وعاشوه ونشروه بالصدق وحسن الخلق وهم الذين كانوا على سنة النبي الكريم، وفي هذا المضمار يتحدث كثيراً عن السيد الحسن الأكبر وعن الشيخ ادريس ود الأرباب، كان يثني على تقواهم ويقول لو كانوا أحياء لأصبحوا جمهوريين، ولذلك كانت وفود الجمهوريين إلى

---

(4) نفس المصدر.

مدينة كسلا تبدأ وتنتهى بزيارة السيد الحسن، حيث يلتفون حول ضريحه ويرددون القصائد الدينية التي ألفها تلاميذه، مثل قصيدة ابن المتعارض الشهيره "شئ لله ياحسن" وقصائد أخرى.

كنت ألاحظ حبه وتقديره لقدامى الصوفية، ففي حوالي 1969ـ1971 زرنا معه أنا وبعض الأخوات الجمهوريات مدينتي كسلا وسواكن، وقد زرنا معه ضريح السيد الحسن وأضرحة السادة الميرغنية عديد المرات. . وفي السبعينات أخذني معه لزيارة ضريح الأمام محمد احمد المهدي، وقف طويلاً وفي هدؤ أمام الضريح وكأن هناك سراً بينه وبين صاحبه. . وقد علق بعد انصرافنا بقوله: (المكان ليس خالياً) وقد حدثنا ذات مرة في مجلس ضم بعض الأخوان والأخوات الجمهوريات أن المهدية دعوة غريبة وليست سهلة الفهم لكل الناس قال أن أحد مشايخ الطرق الصوفية في السودان قال: (ان المهدية تحتاج لفهم يغرق الدانة ويطفح المسحانة) يعني يحتاج لفهم يجعل الحجر يطفو فوق سطح الماء ويجعل الريشة تغطس. . وقال فمثلا بالرغم من أن الخليفة عبد الله قد قتل الكثيرين إلا أن قبره في قدير مازال مزاراً وأن ترابة يتداوي به الناس من بعض الأمراض الجلدية، كما قال: (على الرغم من أن الناس قد عانوا من المهدية إلا أنها دعوة قد سخر الله من قاموا بها لإظهار قدرة وحكمة بعينها يعلمها هو. .). وصحبته في السبعينبات أيضًا إلى زيارة ضريح السيد علي الميرغني وكان يحب السيد علي كثيراً وقد قال لي: (أنه في الستينيات وفي أثناء مقابلاته للشيوخ ورجال الدين في السودان قام بزيارة السيد علي الميرغني وشرح له طريقة التبشير بالإسلام من جديد علي نهج الفكر الجمهوري والدعوة إلى طريق محمد وقد كان السيد علي مرتاحاً لذلك النهج

وقد إستمع بسعة صدر وأمن علي الحديث . . وقد ذكر لي أن أحد الخلفاء كان حاضراً في المجلس وفي بداية المقابلة كان يبدو عليه الضيق والغضب مستنكراً كيف أن أحداً يجرؤ على أن يكلم السيد علي في أمر الدين ولكن عندما رأى إقبال السيد علي، على الإستماع لحديث الأستاذ، هدأ غضبه وإستبشر بالحديث، وكنت دائماً أطرب عندما أسمع منه سير الصالحين، فقد كان يتحدث عنهم بطريقة تحبب المستمع فيهم، وكان عندما يذكرهم تبرق عيناه وأحس بتقديره الكبير لهم مما جعلني أحب جميع من يتحدث عنهم، وقد ألفته دائماً يتحدث عن الناس بأجمل مافيهم والحقيقة إنى لم أسمعه قط يذكر أحداً بسوء . .

1966 (دار الحزب الجمهوري بأم درمان حي الموردة):ـ

في عام 1966 إفتتح دارالحزب الجمهوري بالموردة، أحد أحياء مدينة أم درمان العريقة في منزل مستأجر، وقد ظلت تلك الدار منارة فكر وإشعاع نور في المدينة يتولى فيها الأستاذ محمود تقديم المحاضرات أسبوعياً بنفسه، وتقام فيها يوميًا إجتماعات الجمهوريين، كما تستعيرها بعض الجماعات الثقافية والطلابية الأخرى، لإقامة نشاطاتها. من أكبر النشاطات التي أقيمت في تلك الدار بأمدرمان بعد فترة من افتتاحها هو مهرجان (الرسالة الثانية من الإسلام) دارت المحاضرات حول كتاب الرسالة الثانية من الإسلام وكان الأستاذ يقول أنه الكتاب الأم للفكرة الجمهورية. سبق هذا المهرجان إعلان كبير له فى جميع أنحاء العاصمة كما خصصت دعوات مكتوبة للمثقفين، ولأساتذة الجامعة الإسلامية، (وكان معظم أساتذة تلك الجامعة في ذلك الوقت من مصر وبالتحديد من خريجى الأزهر) وقد وجهت الدعوة لرجال الدين كافة، ولكل من يدعي العمل بالدين كما

شملت الدعوة المشايخ، ورجال الشئون الدينية . . إستمر المهرجان أسبوعاً كاملاً، شرح فيه الأستاذ شرحاً وافياً معني الرسالة الثانية من الإسلام ومعنى الأصول والفروع ومعني الشريعة والسنة وهي المرتكزات الأساسية لدعوته كما بين الضرورة الملحة لتطوير التشريع الإسلامى ليواكب العصر ويحل مشكلة الأنسان المعاصر وقد ركز على أمور محددة مفصلة في أبواب وهي :-

1) **الجهاد ليس أصلاً في الإسلام:-**

(الاصل في الاسلام ان كل انسان حر، إلى ان يظهر، عمليًا، عجزه عن إلتزام واجب الحرية) فالحرية حق يقابله واجب هو حسن التصرف فيها، وكل من يسيء التصرف تصادر حريته بقانون دستوري، وقد ورد شرح القانون الدستوري في مكان آخر من هذا الكتاب. . وتبعًا لهذا بدأت الدعوة بالإسماح في مكة لمدة ثلاثة عشر عامًا ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(سورة النحل) وتخرج على هذا المستوى الكثير من الدعاة ولكن ظل الأعراب على عبادة الحجر ووأد البنات وأذى المسلمين، ولذلك نسخت آيات الإسماح وأذن للمسلمين بالقتال وهو الجهاد في سبيل الله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سورة الحج) وعندما يرتفع الناس إلى مستوى الحرية تعاد آيات الإسماح مرة اخرى.

2) **الرق ليس أصلاً في الإسلام:-**

(فالأصل في الإسلام الحرية، ولكنه نزل على مجتمع الرق فيه جزء من النظام الإجتماعي والإقتصادي) فمجتمع مثل هذا المجتمع لايحسن التصرف في الحرية

ولذلك جعل له ان يعيش تحت وصاية غيره حتى يتمكن من حسن إستعمال الحرية .

3) الرأسمالية ليست أصلاً في الإسلام:

(فالأصل في الإسلام ان المال مال الله والناس فيه شركاء على الشيوع ، ولكن الإسلام نزل على قوم يعتقدون ان المال مالهم ولايعطونه لغيرهم ، ولذلك فرضت عليهم الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (سورة التوبة) وقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم ، وحده مستوى شيوع المال ، ﴿ . . .وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ . . .﴿٢١٩﴾﴾ (سورة البقرة) .

4) عدم المساواة بين الرجال والنساء ليست أصلاً في الإسلام:

(والأصل المساواة بين للرجال والنساء أمام القانون ﴿ . . .لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ . . .﴿٣٢﴾﴾ (سورة النساء) وقد قال النبي الكريم(النساء شقائق الرجال) .

5) المجتمع المنعزل رجاله عن نسائه ليس أصلاً في الإسلام:

فالأصل في الإسلام المجتمع المختلط بين الرجال والنساء ، وهو مجتمع مبرأ من عيوب السلوك التي تعاني منها المجتمعات الآن ، واما عدم الإختلاط الذي شرع في الشريعة هو تدرج بالمجتمع إلى ان يبلغ مستوى العفة .

6) تعدد الزوجات ليست أصلاً في الإسلام:

والأصل في الإسلام الزوجة الواحدة للرجل الواحد لأن الأصل العدل في ميل القلب ، الآية الكريمة ﴿ . . .فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟

فَوَٰحِدَةً . . .﴿٣﴾ (سورة النساء) وفي موضع اخر جاءت إشارة تؤكد صعوبة العدل في قوله تعالي : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ . . .﴿١٢٩﴾ (سورة النساء) .

7) الطلاق ليس أصلاً في الإسلام:

فالأصل ديمومة الحياة الزوجية لأن زوجتك هي إنبساق نفسك عنك خارجك هي صنو نفسك الآية : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ . . .﴿٥٣﴾ (سورة فصلت) وحتي يصل الناس بالرقي الفكري والروحي لهذه المرحلة فقد جاء تشريع الطلاق كتشريع ضرورة مرحلي .

8) الحجاب ليس أصلا في الإسلام:

والأصل في الإسلام السفور(لان مراد الإسلام العفة . . وهو يريدها عفة تقوم في صدور النساء والرجال ، لاعفة مضروبة بالباب المقفول والثوب المسدول) والسفور غير التبرج والتبرج لامكان له في الأسلام والعفة المطلوبة هذه لاتقوم إلا بتجربة الحجاب فقد قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ . . .﴿٢٦﴾ (سورة الأعراف) .

كانت هذه بعض رؤس المواضيع التي نوقشت في مؤتمر الرسالة الثانية .

لم يحضر هذا المهرجان من رجال الدين إلا القليل (المبعوثين من الأزهر إلى معهد أمدرمان العلمي الذي سمى مؤخراً بالجامعة الإسلامية) ، وكانوا دائماً ينسحبون في جماعات أثناء الحديث . . ومنظرهم أثناء خروجهم بقفاطينهم السوداء وأحزمة البطن وعمامة الرأس المعروفة كان واضحاً وملفتاً للإنتباه . وحتى الذين حضروا من رجال الدين هؤلاء لم يشارك منهم في النقاش سوى

شخص او شخصان وهؤلاء ممن ليس لهم سابق تجربة مع النقاش في محاضرات الأستاذ . . كانت ردود الأستاذ القوية الواضحة التي تظهر جهلهم، تحرجهم أمام الجمهور، ولذلك كانوا يتفادون نقاشه ويتركز جل النقاش مع المثقفين والطبقات المستنيرة من الحضور. وكان دائماً حضور الجمهور في تلك المحاضرات من عامة الشعب كبيراً مما أقلق أدعياء الدين وجعلهم يتجهون للحكام لإستعمال السلطة والقوة لإسكات صوت الإستاذ كما سنرى في الصفحات التالية من هذا الكتاب.

في تلك السنوات تم إفتتاح دار الحزب الجمهوري بمدينة ودمدني 1967، في يناير من هذا العام صدرت الطبعة الأولى من كتابه (الرسالة الثانية من الإسلام) وكما ورد سابقًا في الحديث عن مهرجان الرسالة الثانية من الإسلام، قد تناول هذا الكتاب كل القضايا الأساسية التي تتعلق بالفكرة الجمهورية والطريقة المثلى لعودة الإسلام من جديد. . في هذا العام جرى من الأحداث في العالم، ما أبرز دور الأستاذ محمود في السياسة العربية والعالمية.

1967 دور الأستاذ محمود في السياسة العربية والعالمية:ـ

في بداية هذا العام وهو مازال يمارس العمل الهندسي (مهندس ري حر) في منطقة كوستي والجبلين، وهو نفس العام الذى ترك فيه العمل الهندسي في كوستي، وتفرغ لأمر الدعوة، في هذا العام جد من الأحداث ما جعل دوره أكثر بروزاً في الساحة العربية، فقد قامت الحرب بين العرب وأسرائيل تحت قيادة الرئيس المصري جمال عبد الناصر . . وقد كان الأستاذ ضد تلك الحرب منذ الوهلة الأولى وأصدر كتيبًا ينذر فيه من مغبة تلك الحرب تحت عنوان (التحدي الذي يواجه العرب)، صدر هذا الكتاب في عام 1967 كإستدراك ومعالجة سريعة

للحرب التي كان يدور رحاها بين العـرب وإسـرائيل ، وكـان كمقدمـة لكتـاب موسع لقضية فلسطين أسمه(مشكلة الشرق الأوسط ، تحليـل سياسـي ، إسـتقراء تاريخى ، وحل علمي) . وقد أكد في هذا الكتاب (التحدي) على الخطر الشيوعي الذي أخذ يبسط نفوذه ووصايته على البلاد العربية ، موهمًا إياها بحمايتهـا قـولاً وليس فعلاً ، فقد دخل العرب في ثلاثة حروب مع الغرب وإنهزموا فيها عـسكريًا ودبلوماسيًا ، وكلها كانت تحت تضليل الروس ، الحرب الأولي 1948 ، والثانية بعد تأميم قناة السويس ، والصورة التي تم بهـا التـأميم ومـا تبعهـا مـن العـدوان الثلاثي على مصر في يوليو 1956 ، ونتيجة لعجـز الـدول العربيـة عـن مواجهـة الدول الغربية جنحت نحو روسيا لحمايتها ، ومنذ ذلك الحين دخل العرب منطقـة الحرب الباردة والصراع مع الغـرب ، وفي 1967 إنـدلعت الحـرب مـع إسـرائيل وإنهزم العرب للمرة الثالثة ، ولم تعطي روسيا العرب من السلاح ولا الدعم ، ما أعطته الدول الغربية لصديقتها إسرائيل ، ومع ذلك تورط العرب أكثر في صـداقة الروس ، والروس لايريدون ان يدخلوا انفسهم في مواجهة عسكرية مع امريكـا ، ولاحرب ذرية لايملكونها ، ولكنهم إستمروا في خداع العـرب وفي نـشر نفـوذهم العقائدي في بلادهم ، وهذا الإتجاه نحو الشيوعية ابعد العرب عن الله ، وحولهم إلى دول قاصرة يمثلها الروس ويتحدثون بإسمها في المحافل الدولية ، وقد قدم الأستاذ في كتاب التحدي ، حلولاً عاجلة وآجلة ، الحل العاجل وقف الحرب والتفـاوض مع إسرائيل ، والآجل هو الرجوع إلى الدين لبناء فردياتهم ودولهـم ، والـتخلص من التبعية العمياء للشيوعية ، وبذلك يخرجون من منطقـة الـصراع ، وقـد فـصل الأستاذ ذلك ، تفصيلاً شاملاً في كتابه (مشكلة الشرق الأوسط) .

وقبل صدور هذين الكتابين وهو في طريقه من كوستي إلى الخرطوم أخذ يحاضر عن مشكلة الشرق الأوسط مبيناُ ضرورة الحل السلمي للمشكلة وإنهاء الحرب . . وكان في تلك المحاضرات يهاجم الزعماء العرب والسياسة العربية بزعامة الرئيس عبد الناصر ويبين كيف أن هؤلاء الزعماء يضللون الشعوب العربية ويخفون عنها الحقائق يحدثونهم عن التقدم والإنتصار في الحرب ، وهم مهزومون ، وأتهمهم بعدم الصدق مع شعوبهم كما هاجم الإزدواجية في التحدث للغرب بلسان وللشعوب العربية بلسان آخر . . كان يؤكد في كل المحاضرات أن لإسرائيل حق في الأرض كما للعرب ، وذهب للجذور التاريخية لوجود إسرائيل في المنطقة . . وقد قال لي ذات مرة أن تلك المحاضرات كانت تتم وسط جو من الهرج والصخب والمعارضه الشديدة من الحضور (حتى يكادوا لا يسمعون ما أقول) ، وفي ذلك الوقت كان الحماس شديداً للحرب وعواطف الشعوب العربية كلها متجهة نحوها ، وكان تضليل الزعماء العرب بالتقدم الكبير نحو النصر شديداً في أوساط الناس وخاصة السودانيين الذين كانوا يعتقدون أن الحديث عن الحل السلمي والمفاوضات عماله وخيانة للقضية العربية ، وأتهموا الأستاذ بالعمالة لإسرائيل (وكادت بعض المحاضرات أن تنتهى بالعنف) ، ولكن الأستاذ لم يكن يبالى بتلك العاصفة كان يؤكد لهم دائماً أنه سيجئ يومًا يطلب فيه العرب الحل السلمى بعد أن يكونوا قد خسروا كل شئ ، الأرض والحرب والسلام ، وهذا ما حدث فعلاً راجع كتابي (مشكلة الشرق الأوسط ، والتحدي الذي يواجه العرب) . بعد أن صدر كتاب (مشكلة الشرق الأوسط) ، وزع توزيعا كبيراً ، وقد ركز الكتاب على أمرين أساسين هما (1) الحل العاجل (2) والحل الأجل لمشكلة الشرق الأوسط الحل العاجل هو إنهاء حالة الحرب فورا والدخول في

مفاوضات مع إسرائيل ، وسيكون هدف التفاوض هو إنسحاب اليهود من الأراضى التي إحتلوها في حرب 15 مايو 1948 ، وحرب 29 اكتوبر 1956 ، وحرب 5 يونيو 1967 ، ثم يعاد توطين اللاجئين العرب في أراضيهم وإعادة الأرض التي سلبت في عامي 1948 و 1967 وتعويضهم عن جميع ممتلكاتهم التي فقدوها وتوطينهم في الأراضي التي حددها لهم تقسيم عام 1947 وتنفيذ مبدأ التقسيم بضمان كل الدول الكبري ويتبع ذلك وقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وتعط إسرائيل ، حق المرور البري في الممرات المائية خليج العقبة وقناة السويس ثم يأتى بعد هذه المرحلة الحل العاجل والحل الآجل هو أن يبني العرب دواخلهم على الأسلام وأن يمتلكوا لباب العلم والحضارة الغربية إذ أنهم االيوم يعيشون على قشور من كليهما .

ما زالت المعارضة والإتهامات بالتواطؤ مع إسرائيل والعمالة ، مستمرة ضد الأستاذ إلى أن ظهرت الهزيمة بعد أعوام ، وفقد العرب حتى الذي كان تحت سيطرتهم قبل فترة ، وعادوا يبحثون عن الصلح والتفاوض مع إسرائيل ويوقعون المعاهدات والصلح ، كل دولة على حده ، وذلك بعد أن بدأ الوعي بالحقيقة يتبلور ولكن هيهات بعد فوات الأوان . . ومن الغريب أن كتاب الشرق الأوسط شمل نعيا للرئيس جمال عبد الناصر ، قبل وفاته بسنوات لأن جمال عبد الناصر قد آن له أن يذهب . . وهو ذاهب ، ما في ذلك ريب إلى أن قال : (جمال ذاهب لآن حكم الوقت الحاضر يتطلب ذلك) ثم ختم قوله : (فليذهب وليبارك الله له وللعرب في ذهابه وفي عواقب ذهابه . . فقد كان حسن النية ولكن حسن النية وحده لايكف لإسعاد الشعوب ، ولابد من سعة الثقافة ودقة الفكر وقوة الخلق) (راجع كتاب

مشكلة الشرق الأوسط ص 76 – 77) وقبل هذا التاريخ وبعده لعب الأستاذ محمود دوراً كبيراً بالرأي الصائب في القضايا العالمية فقد ناقش في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 27 يناير 1951 ، السيد أحمد لطفي السيد في مقال عن آرائه : (في التربية بين السياسة والعلم) ، وفي ذلك المقال لفت إنتباه السودانيين إلى عدم التبعية للغرب وإعترض على عبارة أحمد لطفي السيد التي تقول " فالنصيحة العملية أنكم في السودان تسلكون السبيل المطروق ، " فهي تعني السير نحو الغرب ، وتعني عدم ثقة الساسة العرب في أنفسهم ، وقد نبه الأستاذ السودانيين إلى النهج الآصيل الذي يكمن في الإسلام ، وفي آصالة السودانيين وذلك بعبارتة الشهيره : (أنا زعيم بأن الإسلام هو قبلة العالم منذ اليوم . . وأن القرأن هو قانونه . . وأن السودان إذ يقدم ذلك القانون في صورته العلمية ، المحققه للتوفيق بين حاجة الجماعة إلى الأمن ، وحاجة الفرد إلى الحرية المطلقة ، هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب . . ولا يهولن احداً هذا القول ، لكون السودان جاهلاُ ، خاملاُ ، صغيراً ، فإن عناية الله قد حفظت على أهله من آصايل الطبائع ما سيجعلهم نقطة إلتقاء أسباب الأرض بأسباب السماء) . . وفي يوم 2/ 3/ 1951 نشر له مقال في جريدة الرأى العام ناقش فيه خلاصة كتاب الأستاذ خالد محمد خالد (من هنا نبدأ) وإنتقد رأى خالد محمد خالد في مسألة الدين والدولة ، فخالد يري في الحكومات الدينية تجربة فاشله ، وقد رجع به الأستاذ إلى تاريخ الإسلام ، وفصل التجربة الدينية في عهد الخلفاء الأربعة إبتداء بأبى بكر ثم عمر وعثمان وعلي ، ثم أكد لخالد محمد خالد أن أي حكومة لاتقوم على أسس دستورية واضحة ثم تدعى الدين ، وتطمع في الدنيا ، وتستغل البسطاء تحت ستار الدين ، هي ليست حكومة دينية وهذه هي الحكومات التي ينتقدها صاحب من هنا نبدأ . .

خطاب الأستاذ محمود للسيد/ محمد نـجيب رئيس الحكومة المصرية:ـ

وفي 18/ 8/ 1952 كتب خطاباً للرئيس المـصري محمـد نجيـب مـع فجـر إندلاع الثورة المصرية يحدثه فيه عن التوفيق الذى تم بإزالة الملك والفساد في عهـد الملك ولكن تلك ليست خاتمة المطاف فيجب على النظام الجديد تحقيق الإسـتقرار للشعب وإجتثاث الفساد الذي ليس سببه النظام الملكـي فقـط، وإنمـا جـذوره في الحياة المصرية، وطلب منه البحث عن الطرق التى يعين بها الشعب المصري لينهل من المعين الصافي الذي بعدوا عنه، كما لفت نظره إلى ضرورة تبرئة علاقـة مـصر بالسودان من الطمع المستخفي والعطف المستعلن، (فإنها قائمة ولاتزال تقوم على فهم سيء . . فإن أنت إستقبلتها بعقل القوي فتستطيع أن تبرئها مما تتـسم بـه الآن من الطمع المستخفي، والعطف المستعلن، فإن السودانيين قوم يـؤذيهم أن يطمـع طامع فيما يحمون، كما يؤذيهم أن يبالغ في العظف عليهم العاطفون . .).

والآن وبعد مرور كل تلك السنوات ظهر الطمع المصري في السودان الـذي حذر منه الأستاذ وهذه أيضًا نبؤة . . أيضا كتـب الأسـتاذ إلى الـرئيس جمـال عبـد الناصر خطابا يحذره فيه من التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية، كما حذره من الدعوة للقومية العربية، ثم أوضح له السبيل الـصحيح إلى الحيـاد الإيجـابي، وحذره من السير نحو المعسكر الشرقي والماركسيه، وقد أتضح أن هذا الخطاب وما قبله، من مواقف الأستاذ قد أغضب الحكومة المصرية فقد ظهر أن الأستاذ محمـود ممنوع من دخول مصر، بعد أن منعت السلطات المصرية رجلاً مـن مدينـة رفاعـة يحمل أسم محمود من دخولها، وقد بذل الرجل مجهوداً كبيراً ليثبت لهم أنه لـيس محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهـوري، وقـد تم نـشر هـذا الخـبر في وقتـه في الصحف السودانية.

في عـام 1953 كتـب إلى الـدكتور تـوريز بوديـت، مـدير عـام منظمـة اليونسكو، عبر جريدة صوت الشعب عن الوسيلة السليمة لإعـداد إنـسان حـر يعيش في مجتمع عالمي، تحدث في هذا المقال عن إمكانية قيام حكومة عالمية، وعـن تعديل قوانين منظمة الأمم المتحدة القائمـة الآن لقـوانين عالميـة. ويبـشر بقيـام حكومة عالمية في المستقبل، تكون لها مركزية، وتـصبح جميـع دول العـالم بمثابـة ولايات تابعة لها، تعيش تحت قانون عادل موحد يحقق لشعوب العـالم الـسعادة والرخاء.

أيضًا في نفس العام 1953 كتب مقالاً في جريدة الشعب السودانية، في الرد على المحامى العام في باكستان، عن جائزة عرضها الأخـير متحـديًا مـن يجـد لـه دستور في القرآن، وقد أوضح له الأستاذ محمود الكيفية التي يمكن أن يستنبط بهـا دستوراً من القرأن . . ونقد له جميع الأراء التي تتحدث عن الدسـتور الإسـلامي الذي تتدعيه بعض الدول الآن، كما إنتقد الثورة الإسلامية في إيران وسفك الدماء الذي قام به الخميني، وعدم وضوح الرؤية لقيام حكم إسلامي وقد أسماها (فتنة إيران) وأخرج كتابًا تحت عنوان (الخميني يؤخر عقارب الساعة).

من المعروف أن للأستاذ رأي صريح وواضـح في الـنظم العربيـة والـساسة العرب، وقد صرح بذلك الرأى في الكثير من المحاضرات، وفي كتـاب (مـشكلة الشرق الأوسط)، كما له موقف واضح ضـد النظـام الملكـي في المملكـة العربيـة السعودية، ويرى أنها دولة تقوم أساسًا على خرق للقواعد الإسـلامية إذ جـاء في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ . . .إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ

أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ (سورة النمل)، كما إعترض على قانون العقوبات، بقطع يد السارق في السعودية، إذ أن الإسلام ليس العقوبات والتعذيب، وإنما هو الرحمة وإصلاح حال الناس أولاً، ومن نفس هذا المنطلق عارض قوانين سبتمبر 1983 التي سميت إسلامية في السودان. . كما هاجم الشيوعية الدولية في عديد المنشورات، منها (خذوا حذركم الشيوعية الدولية هي الإستعمار الجديد)، ثم قيم الماركسية في كتابه (الماركسية في الميزان).

أصدر كتابًا عن السادات مشيّداً بمواقفه ضد الهوس الديني ٰ وموقفه من دعوة السلام في الشرق الأوسط، وقد أيد السادات في موقفه من كامب ديفيد، وشجع إتجاهه للإتجاه السلمي لحل مشكلة الشرق الأوسط. كما تحدث عن التكامل بين مصر والسودان في كتيب، قيم التكامل بين البلدين والأخطاء التي قد تقع فيها، إذا نفذ والسودان في وضع غير متكافئ مع مصر.

1967 التفرغ من العمل الهندسي في المشاريع الزراعية:-

في هذا العام قرر التخلي نهائيًا عن العمل الهندسي في المشاريع الزراعية، في كوستي، والإستقرار في الخرطوم والتفرغ للعمل في نشر الفكرة الجمهورية. . في هذه الفترة تم طباعة عدد من الكتب الأساسية وبدأت كتبه تصل إلى القراء في أقاليم ومدن السودان المختلفة، وكان عائدها يكفي لحياة بسيطه للأسرة وإعادة طباعة الكتب. . . في هذه الفترة بدأ يشركني بصورة مباشرة في إدارة المنزل والنواحي المالية، كان يطلب مني أن أسجل يوميًا إحتياجات المنزل بعد التشاور

مع من تقوم بالعمل في ذلك اليوم*[5]، وكنت احصل من مسئول المال على المبلغ الذي قد عرضته عليه . . أحيانا يتعدى الصرف المبلغ المحدد وذلك لكثرة الضيوف الذين يأتون من غير سابق ميعاد، ومع ذلك كان يشدد علي أن لا أسرف في الصرف على الطعام ويقول لي : (أن أموال الكتب هذه ليست ملكنا وحدنا ويجب أن نكون أقل الناس صرفًا منها) ولذلك كان صرفنا دائما يقف في الحد الأدنى، حينما كان الصرف أكثر على المحتاجين والفقراء الذين يؤمون منزله كثيراً (انظر اوراق الصرف اليومي مع الملحقات)، كان له أسلوب معين في تقديم المساعدة للمحتاجين، لايعطي من يسأله أمام الناس بل ينهض ليودعه خارج المنزل، وفي الطريق يقدم له ظرفً بداخله المبلغ الذي يريد أن يعطيه إياه. كان يقضي كل اليوم في منزله في مدينة الثورة يكتب للصحف، ويؤلف الكتب، ويتابع تقارير الوفود التي يرسلها لحمل الكتب والدعوة لأقاليم السودان المختلفة. ويقيم الجلسات السلوكية، ويستقبل الجمهوريين والضيوف وطلاب المعرفة الذين يقضون معه الساعات، يناقشونه ويسألونه عن مستقبل الدعوة، ومستقبل الإسلام في العالم الجديد، وبذا كان الأستاذ رمزاً للحرية والقكر يطلبه طلاب المعرفة وينقاشونه ويستفيدون من النقاش معه ، إلى جانب هؤلاء كان يقصده من يطلبون الشهرة، فكل من يريد أن يكتب في الصحف اويقابل في الأجهزة الإعلامية يدعي انه قابل الأستاذ وحاوره.

(5) العمل في المنزل كانت تقوم بتنفيذه كل يوم واحدة من أهل المنزل مؤخراً اصبحت تشارك فيه المقيمات فى المنز ل من الجمهوريات

إلى جانب هذا كانت له لحظات تأمل طويله . . يقضي وقتًا طويلاً في المصلاة ليل نهار وخاصة في الثلث الأخير من الليل . . . يزداد عدد زواره كل يوم خاصة من كبار السن ، من بينهم عدد كبير من منطقة كوستي والنيل الأبيض ، ممن عرفوه وتعلقوا به أثناء فترة عمله بتلك المنطقة ، ينتمي بعضهم إلى طرق صوفية ودينية مختلفة ، كل الذي يبدو لي من هؤلاء أنهم غير علماء وغير متمكنين من ثقافة العصر ، ولكنه كان يستمع إليهم بإهتمام ويرعاهم بكثير من الإحترام والصبر . . كنت أحيانًا أجلس معه وأستمع إلى أحاديثهم ولكن سرعان ما أشعر بالملل وأنصرف ، ولكنه لايضيق بهم ولا يحرجهم بتصحيح نقص معلوماتهم وأحاديثهم المتناقضة ، إلا حين يكون التصحيح ضروريًا ويجري ذلك بلطف شديد ، أذكر أنه قد زارته امرأة كبيرة السن ذات عقيدة قوية في المهدية ، وقالت له : (يا أستاذ أن سيدي الهادي المهدي لا يأكل إلا القرض ويصوم كل الوقت) فضحك الأستاذ معها بلطف وقال لها : (أن السيد الهادي يأكل أشياء كثيرة طيبة ، ولكنك لاتعلمين) وقد أضحك قولها هذا الكثيرين من الحضور . كان يستجيب لكل طلبات زواره من هؤلاء الدراويش ، وقد كان بعضها مرهقًا ماديًا .

1968 تصعيد العمل الفكري:-

شهد هذا العام تصعيداً فكريًا كبيراً وإنتشاراً في المحاضرات شرحًا وتوضيحًا للفكرة الجمهورية ففي يوم 24ـ9ـ1968 قدم محاضرة لطلبة المعهد الفني كلية الفنون الجميلة والتطبيقية تحت عنوان (الإسلام والفنون) شملت توضيحًا لموقف الإسلام من الفنون في الماضي والحاضر ، وكيف أن النحت كان محرمًا في الشريعة لأن الأمة كانت حديثة عهد بالإسلام وقبلها كانت وثنية تعبد

الأصنام، وعبادة الأصنام والنحت يذكرهم بالآلهة من الأصنام التي كانوا يعبدونها، ولكن الآن في هذه المرحله وقد تطور المجتمع بالعلم والمعرفة أصبح الفن والنحت غير محرم، ثم أوضح صلة الفنون بالحياة وبالدين منذ نشأة الحياة وظهور الأديان، كما شرح صلة الفنون بالنفس البشرية، ودرجات تطورها السبعة، الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية ثم الكاملة، أبرزت هذه المحاضرة جانبًا من دعوته التي قام على أساسها تقسيم الفكر الإسلامي إلى أصول وفروع، شريعة وسنة، ففي مستوى الشريعة، حرمت الفنون لأسباب تاريخية تم بيانها في المحاضرة، ثم شرح كيف أن الفنون من العلوم التي تعبر عن ملكة التعبير التى هي الحياة، وهي ليست محرمة في أصول القرأن، كما اوضح أنها ليست أجود وسائل معرفة النفس البشرية، وإنما الدين في نقائه وأصل أصوله هو الوسيلة لمعرفة الحقيقة. . في هذا العام ظهرت هذه المحاضرة في كتاب أخذ نفس عنوان المحاضرة (الإسلام والفنون) وقد حل هذا الكتاب إشكالاً حقيقياً في فهم علاقة الإسلام بالفنون لكل المتطلعين للمعرفة.

واصل الأستاذ تقديم المحاضرات في أنحاء العاصمة المختلفة فقدم سلسلة منها تحت عنوان (الإسلام برسالته الأولى، لايصلح لإنسانية القرن العشرين)، وملخص هذه المحاضرات، أن الإسلام رسالتان، رسالة أولى قامت على فروع القرأن، ورسالة ثانية قامت على أصول القرآن. . . فروع القرآن هي القرآن المدني وأصوله القرأن المكى، الرسالتان موجودتان في المصحف، وقد بلغهما النبي صلى الله عليه وسلم. . . الرسالة الأولى تقوم على الجهاد ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة التوبة)، والرأسمالية تقوم على الآية الكريمة: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (سورة التوبة)، والتفرقة بين الرجال والنساء على قوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (سورة النساء)، وبين المسلمين وغير المسلمين على الآية ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة التوبة) قد فسرها بن كثير ذليلين حقيرين، وهذه التفرقة لاتصلح لإنسانية القرن العشرين، وإنما تصلح أصول القرآن التي تدعو إلى المساواة في الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الحجرات) وللدعوة للإسلام بالإقناع، وليس بالسيف ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (سورة النحل)، وهذا المستوى في الرسالة الثانية من الإسلام، وقد صدرت هذه المحاضرة في كتاب أخذ نفس عنوان المحاضرة راجع كتاب (الإسلام برسالته الأولى، لايصلح لإنسانية القرن العشرين).

وقد أثار عنوان هذا الكتاب الكثيرين من رجال الدين السلفيين، الذين لم يعطوا أنفسهم فرصة فهم تلك العبارات، ولا حتى الإطلاع على الكتاب . .

تدخل السلطات في محاضرة الإسلام برسالته الأولي، لايصلح لإنسانية القرن العشرين:

تزامن مع تلك الأحداث أن تقدمت الجبهة الإشتراكية الديمقراطية بمعهد المعلمين العالي بدعوة للأستاذ محمود ليقدم محاضرة في دار إتحادهم تحت عنوان الإسلام برسالته الأولي لا يصلح لإنسانية القرن العشرين، فإنزعج بعض الفقهاء لخبر تلك المحاضرة وإتصلوا بالسيد/ إسماعيل الأزهري رئيس الوزراء آنذاك، لمنع تلك المحاضرة، ويبدو ان السيد/ الأزهري قد إستجاب لطلبهم وقد تم إبلاغ الأستاذ بعدم إقامة المحاضرة، ورفض الأستاذ الأمر، وقال أنه سيقيم المحاضرة لأنه إلتزم مع الطلبة بإقامتها، وهو على وعده ولن يتخلى عنه إلا إذا جاء الرفض من قبل الطلبة، وأصر الطلبة من جانبهم على إقامة المحاضرة، لذا اصبح من الواضح أن المحاضرة سوف تقوم في موعدها المقرر وأن الأستاذ سيتحدى السلطات. . . وقد إستعدت السلطة بتجهيز عدد من عربات الشرطة والجنود داخل المعهد وحوله، ولم يبال الأستاذ بمظهر ذلك الإرهاب. . وقامت المحاضرة بسلام رغم وجود عربات البوليس المسلح التي كانت تحيط بالدار. . كان قيام المحاضرة إنتصاراً كبيراً لإرادة الأستاذ وإرادة الحرية عند الطلبة. . بعد قيام المحاضرة ظهر إرتباك أجهزة القضاء والسلطة، فقد ورد في جريدة الرأي العام الصادرة في يوم 13/ 11/ 1968 ان السيد/ إسماعيل الأزهري (أصدر أمراً بمنع تقديم الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري في محاضرة بمعهد المعلمين

العالي دعت له الجبهة الإشتراكية الديمقراطية وكـان عنوانهـا " الإسـلام برسـالته الأولي لايصلح لإنسانية القرن العشرين " على أساس أنها يمكن أن تستفذ مشاعر بعض المواطنين).

بعد نجاح المحاضرة ظهر الحرج والإرتباك. . يظهر هذا في ما نشرته الـرأي العام بما أسمته تصحيحًا في يوم 14/ 11/ 1968 تحت عنوان ازهري ينفي علمـه بمحاضرة محمود محمد طه، والتربية والتعليم تقـول بـأن قاضـي القـضاة خاطـب الأزهري بنشأنها) نص التـصحيح: (جاءنـا مـن القـصر الجمهـوري أن الـسيد/ إسماعيل الأزهري ينفي جملة وتفصيلاً انـه تـدخل في موضـوع محاضـرة الأسـتاذ محمود محمد طه في معهد المعلمين العالي ويؤكد أنه ليس له علاقة لا من قريب ولا من بعيد بهذا الأمر) كما ورد في نفس الجريدة من وزارة التربية والتعليم ان السيد/ رئيس مجلس السيادة لم يصدر أي تعليمات بمنع المحاضرة. (وكل الذي حدث هو أن فضيلة مولانا قاضي قضاة السودان بعث بخطـاب إلى الـسادة رئـيس وأعـضاء مجلس السيادة. . ينصح فيها بعدم تقديم المحاضرة خـشية أن يكـون فيهـا مـايثير المسلمين). ومن هذه الأقوال المتضاربة يظهر إستعداء قاضي القضاة السلطة على الأستاذ بحجة إستتباب الأمن. (راجع كتاب الإسـلام برسـالته الأولـي لايـصلح لإنسانية القرن العشرين).

في كل هذه المواجهات كان الأستاذ وحده في قمة الـشجاعة والثبـات وقـوة المنطق الذي أظهر ضعف وجهل خصومه الدينيين. . .

الفصل الرابع

1968م محكمة الردة

أغض هذا النشاط الفكري الجم مضاجع بعض المشايخ، فإجتمع لفيف منهم ورفعوا دعوى ضد الأستاذ في المحكمة الشرعية بالخرطوم، أسموها قضية حسبة يتهمونه فيها بالردة والخروج عن الإسلام، وقد أرسلت المحكمة الشرعية طلب حضور للإستاذ محمود في منزله، ليمثل أمام تلك المحكمة وقد رفض الأستاذ الإستجابه لطلب المحكمة ولم يمثل أمامها، ولم يكن للمحكمة الشرعية في ذلك الوقت في القانون المعمول به القوة التنفبذية التي يمكن أن تحضر بها أي شخص أمامها، فهي محاكم ملية كونها الإنجليز لتنظر في قضايا الملل[1] المختلفة فيما يخص الزواج والطلاق والنفقة والميراث الخ . . . وقد أفحم هذا الموقف القضاة الشرعيين، وقد تعاطف معهم السيد إسماعيل الأزهري وصرح بأنه سوف يعدل القانون ليجعل القضاء الشرعي فوق القضاء المدني . . . !! وقد ورد في كتاب (بيننا وبن محكمة الردة) للأستاذ محمود عن تلك المحكمة المهزلة ما يلى :ـ

(يوم الأثنين 19 شعبان 1388 الموافق 18 نوفمبر 1968 . في هذا اليوم إنعقدت ما سميت بالمحكمة الشرعية العليا، لتنظر في دعوة الردة المرفوعة ضد محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري من الشيخين: الأمين داؤد محمد، وحسين محمد زكي، وقد طلب المدعيان من المحكمة الآتى :ـ

1) إعلان ردة محمود محمد طه عن الإسلام بما يثبت عليه من الأدلة .
2) حل حزبه لخطورته على المجتمع الإسلامي .
3) مصادرة كتبه، وإغلاق دار حزبه .

---

(1) الملل تعني مسلمين ، مسيحيين ، يهود .

4) إصدار بيان للجمهور يوضح رأى العلماء في معتقدات المدعى عليه .

5) تطليق زوجته المسلمة .

6) لايسمح له ، ولا لأى من أتباعه بالتحدث بإسم الدين أو تفسير آيات القرآن .

7) مؤاخذة من يعتنق مذهبه بعد هذا الإعلان ، وفصله أن كان موظفًا ، ومحاربته إن كان غير موظف وتطليق زوجته المسلمة منه .

ولقد إستمعت المحكمة إلى خطابي المدعين ولأقوال شهودهما ، لمدة ثلاث ساعات ، ثم رفعت جلستها لمدة ثلث ساعة ، وعند إنعقادها للمرة الثانية قرأ القاضي حيثيات الحكم التى جاء فيها أن المحكمة ، بعد السماع لإدعاء المدعين ، وسماع الشهود ، تأكد لديها أن المدعى عليه ، قد أرتد عن الإسلام ، وعليه فإن المحكمة تحكم بردة محمود محمد طه عن الإسلام غيابيًا ، وقد كانت كل أقوال المدعين وشهودهما سماعية وأراءهما الخاصة ، وقد قال أحدهما في (رأيئ . . .)! ، وقال أخر (أنه سمع من بعض الناس)! ، وقد أخذت المحكمة بكل هذا وخلصت إلى القول : (أن هذه المحكمة كما تقدم ، ترى أنه لابد من الحكم على المدعى عليه) بالآتى :

(فلذلك حكمنا غيابيًا للمدعيين حسبه الأستاذين الأمين داؤد محمد ، وحسين محمد زكي ، هذا ، على المدعى عليه الأستاذ محمود محمد طه رئيس الحزب الجمهوري الغائب عن هذا المجلس ، بأنه مرتد عن الإسلام وأمرناه بالتوبة عن جميع الأقوال والأفعال التي أدت إلى ردته ، كما قررنا صرف النظر عن البنود من نمرة 2 إلى 6 ، من العريضة وهي من الأمور التي تتعلق وتترتب على الحكم بالردة)

وفهم الحاضرون ذلك . القاضي/ توفيق أحمد الصديق 18/ 11/ 1968) إنتهى النقل من كتاب بيننا وبين محكمة الردة ، الرجاء مراجعته فى موضعه .

وفي النقطة السابعة اعلاه يلاحظ ان قرار المحكمة بتطليق زوجته المسلمة وزوجات الجمهوريين بعكس رأي السلفيين في المرأة فهم دائمًا ينظرون إليها كشئ تابع ليس له فهم وفات عليهم ان زوجته وزوجات الجمهوريين على نفس مذهبه في الحياة .

ومنذ أن أعلنت المحكمة ذلك الحكم ، حزم الأستاذ محمود أمره ، لمواجهة ذلك الجهل ، وعقد إجتماعًا مع الجموريين في ، دار الحزب الجمهوري في حي الموردة بأمدرمان ، وقد كنت من بين الطلبة الذين حضروا ذلك الإجتماع وأعلن للجميع بقوله : (أنا منذ هذه اللحظة سوف أتحرك بصورة فردية ، وليس هناك تنظيم أو أي عمل تنظيمى) ، وكان ذلك دائمًا ديدنه في أوقات الشدة وساعات الخطر ، ثم واصل : (وسوف أواجه هؤلاء الرجال ، لن أضع لهم أى إعتبار ، ولن أتوانى في مواجهتهم . .) ، كان كلامًا قويًا وقد ساد الصمت ولم يتحدث أحد ، إلا جمهوري واحد من الجمهوريين القدامى ، الأستاذ أمين محمد صديق اول سكرتير للحزب ، إنفعل بحديث الأستاذ ، وأخرج مسدسًا من جيبه ، ووضعه على المنضدة أمام الأستاذ وقال له : (أنا معك يا أستاذ ، ولن أتركهم حتي الموت) ، فأبتسم الأستاذ في هدؤ وقال له : (أنت بتقتل يا أمين؟ ، سوف لا نقتل أحدًا) ، ورفع مسدس أمين وأعاده إليه فوضعه في جيبه ، وقد قبل الأستاذ ذلك الموقف من أمين على أنه موقف حماس ومؤازره ، وظل يحفظه له ويذكره في أوقات متفرقة . . . وقد أكد أن المواجهة ستكون فكرية لكشف مهازل وجهل رجال

الدين الذين دبروا تلك المحكمة . . . وقد بدأ الرد بسيل من المنشورات القوية ، التي كانت توزع على الجمهور ، وكانت الصحف تقوم بنشرها ، وكلها تبين جهل هؤلاء بالدين وذيليتهم للحكام وإستعمال السلطان لهم في كل الأوقات ، لتسخير الدين للدنيا ، قال لهم في أول المنشورات راداً على طلبهم له بالتوبة عن جميع أقواله : (وأما أمركم لي بالتوبة عن جميع أقوالي ، فإنكم أخس وأذل من أن تطمعوا في ، فقد قاومت الإستعمار حين كنتم تلعقون جزم الإنجليز . . وأما إعلانكم ردتي عن الإسلام ، فما أعلنتم غير جهلكم الشنيع بالإسلام وسيرى الشعب ذلك مفصلا في حينه . . هل تريدون الحق ، أيها القضاة الشرعيون؟! إذن فأسمعوا!! أنكم أخر من يتحدث عن الإسلام ، فقد أفنيتم شبابكم في التمسح بأعتاب السلطة ، من الحكام الإنجليز والحكام العسكريين ، فأريحوا الإسلام ، وأريحوا الناس من هذه الغثاثه) . وقد كتب معرفا الناس بأصل المحاكم الشرعية قائلاً : (فهي في حقيقة أمرها محاكم مليه لأصحاب الملة المقهورة بالحكم الإستعماري كونت عام 1920م بمنشور من الحاكم العام البريطاني وحددت إختصاصاتها في الأحوال الشخصية من طلاق وزواج ونفقة ، ويملك الحاكم العام نقض أي حكم من أحكامها كما حدث عدة مرات . . .) ، وقد تبع تلك المنشورات سلسلة من المحاضرات بدار الجزب الجمهوري بالموردة تحت عنوان بيننا وبين محكمة الردة ، وأكد الأستاذ محمود في اول محاضرة بقوة ، موقفه من محكمة الردة وأنه لايتراجع عن ذلك الموقف ، وإن المحكمة الشرعية لن تستطيع أن تجبره على الرجوع عن موقفه ولا على التنازل عن أي كلمة قالها او كتبها وسوف يتولى بنفسه كشف زيف هذه الجماعة وبُعدها عن الدين . بمحضارات تحت عنوان (مهزلة محكمة الردة) و (بيننا وبين محكمة الردة) و (الدين ورجال الدين عبر السنين) ، تحدث فيها بنفسه .

وضح الأستاذ في تلك المحاضرات مفارقة من يسمون برجال الدين للدين وإستغلالهم له لأكل الدنيا، وكانت الدار اثناء هذه المحاضرات تكتظ بالحضور حتى يمتلئ فناؤها وتبقى اعداد كبيرة خارج الدار حتى تصل شارع الأسفلت امام الدار. وقد طبعت هذه المحاضرات فيما بعد في سلسلة كتيبات تحت عنوان (الدين ورجال الدين عبر السنين) و (شيوخ الأزهر) ثم (علماء بزعمهم) وغيرها وكان يستقبلها الجمهور بشغف شديد.. إلى جانب هذا تواصلت المنشورات في مهاجمة تلك المحكمة وتبرئة الإسلام من مثل تلك المحاكم، كما أبان خطل الشيوخ الذين دبروا تلك المحكمة، ووجه هجوماً قوياً للمؤسسات الدينية التي تدعي الإسلام، ولا تعيشه ولاتربي المواطنين ليعيشوه.

بعد أن كتب العديد من المنشورات دخل عدد من الجمهوريين والجمهوريات في كتابة بعض المنشورات تحت إشرافه وبعد تصحيحه.. كانت كل تلك المنشورات موثقة وذات أدله دامغة من المجلات مثل (مجلة الأزهر)، ومن (غازيتة جمهورية السودان) والكتب والصحف. وقد كتبت أحد تلك المنشورات.

في تلك الأيام كان يفكر كثيراً ويكثر من قيام الثلث الأخير من الليل، وإن كان ذلك ديدنه، وأضاف عليه، الكتابة الكثيرة للصحف، والمنشورات... على الرغم من أن الحملة كانت كبيرة ضده، كان يواجهها وحده بقوة وحزم وكأنه العشرات من الرجال، وكان يتحدث عن الحزب الجمهوري وهو يرمز لنفسه في المقام الأول فقد كتب ايام محكمة الردة " أن الحزب الجمهوري لعلى ثقة بدعوته، وعلى يقين بربه، وهو سيمضي في سبيله، غير هياب ولا وجل فإن اغض ذلك مضاجع اقوام، فلا نامت اعين الجبناء" وعلى مر الأوقات فهو يبين ان الحزب الجمهوري هو الأستاذ فى المقام الاول حتى يناير 1985.

وبالرغم من المعارضة الشديدة ضده إلا انه كان مرتاحًا كثير التفكير ولا يبدو عليه توتر ولا إنزعاج، وهذه واحدة من تعليماته أن يحول الإنسان همه على الله، وكان دائمًا يعودنا على الدعاء (كن همي وأكفني ما أهمني وأجعل همي بين عيني) و(أجعل الله همك يكفيك مايهمك). .

أما نحن في الأسرة فقد خيم علينا جو من الحزن ولا أحد منا يدري ماذا سيحدث في صباح الغد، أذكر أننى قد حزنت وأصابنى كرب شديد، كيف يجوز لهولاء أن يقولوا مثل هذه الأقوال عن أبي، الذي من كثرة إسلامه قد حبب الإسلام إلى نفسي ونفوس الكثيرين؟ . . ولكني في كل حين كنت أستمد من ثباته ثباتًا ومن قوته قوة، وكلما أنظر إليه يبعث الطمأنينة في نفسي . . كنا نلجأ إليه لنتخلص من الخوف ولنزداد أمنًا . . وقد كانت أكثر الناس كربًا في تلك الأيام هي شقيقته كلتوم محمد طه، التي كانت تشفق من الحملة ضده من غير إلمام بالتفاصيل الفقهية. وكانت تتابع الأخبار وتسأل عن كل التحركات وتكثر من الجلوس معه في غرفته الخاصة حتى تعرف كل طارئ، وترفع يديها في الصلاة عالياً تسأل الله أن يكفيه شر الأعداء.

وقفت محكمة الردة عند ذلك الحد وبعد ذلك إتضح أن هناك أيادي أجنبية وراء تلك المحكمة، دلت عليها فتوى الأزهر ومطالبته لحكومة الرئيس السابق جعفر نميرى بتنفيذ حكم الردة على الأستاذ، وكذلك مجلس الإفتاء بمكة وهذا تدخل آخر من جانب السعودية، نورد فيما يلي فتوى الأزهر :

(بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر مجمع البحوث الاسلاميةمكتب الامين العام 5/ 6/ 1972

السيد/ الأستاذ وكيل وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالسودان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ، وبعد ،

فقد وقع تحت يدي لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، كتاب الرسالة الثانية من الإسلام ، تأليف محمود محمد طه ، طبع في أمدرمان الطبعة الرابعة 1971م ص . ب : 1151 وقد تضمن هذا الكتاب ، أن الرسول بُعث برسالتين فرعية ، ورسالة أصلية ، وقد بلغ الرسالة الفرعية ، وأما الأصلية فيبلغها رسول يأتي بعد ، لأنها لاتتفق والزمن الذي فيه الرسول ، وبما أن هذا كفر صراح ولايصح السكوت عليه ، فالرجاء التكرم بإتخاذ ماترونه ، من مصادرة لهذا الفكر الملحد ، والعمل على إيقاف هذا النشاط الهدام خاصة في بلدكم الإسلامي العريق . . وفقكم الله وسدد خطاكم . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

توقيع :

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلاميةدكتور محمد عبد الرحمن بيصار .)

وكذلك تبعتها فتوى من مجلس الإفتاء بمكة المكرمة فيما يلي نصها :

(رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

مكة المكرمة

حضرة صاحب المعالي الأخ الدكتور عون الشريف قاسم، الموقر، وزير الشئون الدينية والأوقاف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

أفيد معاليكم بأن من ضمن القضايا الإسلامية، التي ناقشها المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي، في دورته السادسة عشر (محمود محمد طه) السوداني الذي إدعى الرسالة، وأنكر ختم الرسالة، وأنه المسيح المنتظر، كما أنكر الجزء الثاني من الشهادة إلى أخر ما جاء في إدعاءاته الباطلة.. وبعد مناقشة الموضوع من جميع جوانبه، أصدر المجلس حكمه، بالإجماع بإرتداد المذكور من الإسلام، وتأييداً لما حكمت به المحكمة الشرعية بالخرطوم، وأنه يجب على المسلمين أن يعاملوه معاملة المرتدين، كما يجب مصادرة كتبه أينما وجدت، ومنع طبعها.. أرجو من معاليكم التكرم، بنقل هذا القرار إلى حكومتكم الموقرة، وبذل مساعيكم الحميدة لدى المسئولين فيها، في المساهمة معنا في تنفيذها، وخاصة قد صدر عن (المجلس) مجلس يضم نخبة من العلماء، والزعماء، الممثلين من معظم الشعوب الإسلامية في العالم. وأنتهز هذه الفرصة للإعراب عن صادق شكري، وتقديري، لتعاونكم الدائم مع الرابطة، فيما يرفع شأن الإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام،،.

التوقيع: احمد صالح القزاز)

ومن هذه المذكرة يظهر التدخل الأجنبي وخيانة المؤسسات الدينية لأمانة المواطن والمواطنة وهم يستعدون الأجنبي ويتعاونون معه ضد أبناء الوطن

الشرفاء، وتبعًا لذلك نشط من أسموا أنفسهم بعلماء السودان، بعد توجيه من رؤسائهم في الخارج بإستعداء السلطة على الأستاذ محمود، في شكل المذكرات التي كانوا يكتبونها، وهذا نموذج مختصر من مذكرة علماء السودان!! التي رفعوها إلى رئبس الجمهورية:

(بسم الله الرحمن الرحيم

السيد/ رئيس جمهورية السودان الديمقراطيةتحية من عند الله مباركة طبية، نحن علماء السودان، نرفع لسيادتكم المذكرة الآتية ضد (محمود محمد طه)، للأسباب الآتية:

(أولا محمود محمد طه مرتد عن الإسلام، لأفعاله، وأقواله، وأرائه الشاذة، التي تعتبر أكبر خطر على المسلمين. أما أقواله وأفعاله، قد رفعنا بها قضية في محكمة الإستئناف العليا الشرعية بالخرطوم، وقد صدر بمقتضاها الحكم بأنه مرتد عن الإسلام، وذلك في يوم الأثنين 17 شعبان 1388هـ، الموافق 17/ 11/ 1968م القضية رقم 1968ـ 1035).

وقد إشتملت مذكرة من أسموا أنفسهم علماء السودان، على تسعة نقاط كلها تشويه للفكرة الجمهورية، ونقل مخل ومبتور، من كتب الأستاذ محمود، وإتهامات باطلة وتحريض على القتل تمامًا مثل مذكرات الأزهر ورابطة العالم الإسلامي بمكة، راجع كتابي الآخوان الجمهوريين (علماء بزعمهم) الأول والثاني 1976م، وقد وقع على هذه المذكرة عدد منهم، على رأسهم مجذوب مدثر الحجاز، محمد الفاتح قريب الله، الأمين داؤد، يوسف إبرهيم النور، يوسف

الترابي، وأخرون، وقد أرسلوا نُسخاً من هذه العريضة للجهات الأتية: رئيس مجلس الأمن القومي، مدير الأمن العام، مدير الأمن القومي، رئيس المحكمة العليا، نائب رئيس المحكمة العليا، وزير الداخلية، محافظ الخرطوم، مفتي جمهورية السودان، مدير البوليس، رئيس مجلس الشعب، رئيس لجنة شئون الأعضاء بمجلس الشعب أبراهيم على التوم. (راجع كتاب شيوخ الأزهر).

في هذه المحنة لم يظهر للمثقفين السودانيين أي دور يذكر، وقد لاذوا بالصمت يستثنى من هؤلاء الدكتور منصور خالد، فقد كان قلمه قويًا وصوته عاليًا ضد مشايخة محكمة الردة*[2]، حيث قال في كتابه حوار مع الصفوة: (لو كانوا أمناء لوجدوا فيه ذخيرة فكرية ضخمة، يمكن أن تسهم في وضع الإسلام في إطار العصر، أكثر من أن يجدوا فيه خصماً عنيداً مشاغباً.. ولو كان الكثير من المثقفين الأخرين، الذين يذكرون الأحكام الخطيرة على الرجل على أساس شائعات المآتم وحفلات الزفاف، دون أن يقرأؤا حرفاً واحداً مما كتب، قرآءة العالم الرشيد.. لو كان هؤلاء المثقفون قد ألموا بأبجديات الفكر الإسلامي، إذاً لكانت أحكامهم على الرجل شيئاً أخر، غير إتهامه بالخطرفة والجنون والإدعاء والزنديق) إلى أن قال: (والحديث عن الأستاذ محمود يقودني بالضرورة للحديث عن ظاهرة رجال الدين، وهي ظاهرة بابوية لم يعرفها ولايعرفها الإسلام.. فمفهوم رجل الدين مفهوم موروث من جاهلية الترك، غذاه وأبقي عليه الإستعمار، ومظهر رجل الدين بالعمامة والقفطان المزركش والحزام المقصب، مظهر موروث من الأعاجم هو الأخر، فالإسلام لم يعرف رجاله الأوائل هذه

---

(2) انظر كتاب د. منصور خالد(حوار مع الصفوه) ص 188 ـ 191 2

الظاهرة البابوية . .) ثم قال : (من بين رجال الدين هؤلاء طائفة قضاة الشرع وما كنت أن أتناولها بالحديث لولا أحداث الأشهر القليلة الماضية . . ماكنت أود أن أتناولها بالحديث لو إقتصرت على واجبها كموظفي دولة ، يتقاضون رواتبهم من مال دولتهم التي تجبيه فيما تجبي من ريع بيع الخمور . .) حاشبة : (فيما ورد أن الإمام المهدي قد رفض طعام شيخه محمد الخير ، لأنه يبتاعه بمال تقطعه عليه حكومة الترك) . . نعم فما كنت لأتناولهم لو إقتصروا على أداء واجبهم الذي يحدده لهم القانون ، قضاة أنكحة وميراث . . قانون وضعه الإستعمار وإرتضاه الذين ورثوا الأرض من بعده . . وهو قانون لايملك أن يحدد للمسلمين ظلال الله على الأرض . . كتب التاريخ تقول أن هذه الظلال قد إنحسرت بإنحسار ملك آل عثمان . . ولايكفي حسب تقديري المتواضع ، أن يقوم مواطن فاضل بدراسة الشريعة الإسلامية دراسة وظيفية ثم يرتدي قفطان ، ويتمنطق بحزام ، ويضع على رأسه عمامة ، وفي يده مسبحة كهرمان ، لايكفي هذا ليجعل من المواطن الفاضل حفيظًا على دين الله ذلك) ، كما قال أيضًا في نفس الكتاب صفحة 191 : (. . . كما سمعنا حكمكم بالأمس في ردة الأستاذ محمود محمد طه . . نريد أن نسمع حكم الإسلام في الأمير الكاذب والوالي الظالم . . والوزير السفية . . وللإسلام حكم في كل هؤلاء . . نريد حكمه في السفاه السياسي ، الذي نعيشه اليوم ، وهو سفاه شيوخ لاحلم بعده . . شيوخ يرتدي بعضهم قفطاناً مثلكم . . ويتمنطق بحزام مثلكم ، ويضع على رأسه عمامة كشأنكم . . . الخ . .) . والى جانب د. منصور خالد علا صوت المهندس حسن بابكر الذي أدان المحكمة وكتب مقالاً أستنكر فيه حكمها وسجل قولته الشهيرة : (اللهم إن كان محمود مرتداً فأنا ثاني المرتدين . . .) .

وعلى النقيض من هذا ظهرت سلبية بعض المثقفين، فقد وقف بعضهم مواقف غريبة ولكنها لم تؤثر على الاستاذ بل تؤكد غرابة ما جاء به، فقد حكى لي أن صديقًا له منذ زمن الدراسه فى كلية غردون يسكن العيلفون، حدثت له وفاة، وذهب الأستاذ لتعزيته في منزله، وكان ذلك بعد محكمة الردة، ووجد معه جمعًا من المعزين، ولم يهتم به كسابق عهده عندما كان يزوره، وصرف عنه النظر حتى لايظن الحضور انه صديق له، وقال لي الأستاذ معلقاً: (كيف كان لصديقه ان يتعامل معه بطريقة عادية وهو متهم بالردة). وتلك ظاهرة لازمت الكثير من المثقفين السودانين، اذا قابلهم جمهوري على إنفراد يثنون على الأستاذ والفكر الجمهوري ويكون العكس عندما يكونون في وسط جمع من الناس فاما يلوذوا بالصمت او يتحولوا إلى معارضين!!.

وبعد محكمة الردة واصل الأستاذ محمود إلقاء المحاضرات العامة، حول هذا الموضوع فأقام عدداً منها في دار الحزب الجمهوري في الموردة، وكذلك في مدن السودان الأخرى مثل مدنى والحصاحيصا.

في عام 1968 قام مؤتمر المواجهة، في دار الحزب الجمهوري في ودمدني، وقد حضره عدد من الجمهوريين من مدن السودان المختلفة وكنت من بينهم، كانت جلسات المؤتمر صباحية ومسائية، وقد حدد الأستاذ فيها الكيفية التي يخرج بها الجمهوريون من مرحلة الرد على الذين يهاجهون الجمهوريين، إلى المواجهة والدخول بالفكرة الجمهورية بمبادرة من الجمهوريون، إلى المجتمع ثم فصل أدب تلك المواجهة، وقد أبدى الجمهوريين في ذلك المؤتمر استعداداً وحماسًا كبيراً للمواجهة والمبادرة بالفكر الجمهوري، إلى المجتمع السوداني.

في هذا العام 1968 أيضاً كنا معه في طريقنا مـن مدينـة ودمـدنى إلى مدينـة الحصاحيصا ، حيث كان الأستاذ سيقدم محاضره لجمهور المدينة في أحد الأنديـة . كان الأستاذ يستغل عربة ومعه بعض الرجال ، وفي عربة أخرى كنت أنا وعدد من أفراد الأسرة ، ومعنا عدد قليل من قدامى الجمهوريين ، من بينهم رجل كبير فنان تشكيلي وخطاط يقال له (عم دهشة) ، وهذا هو الأسـم الـذي عـرف بـه ، وهـو الخطاط الذي خط كل الآيات القرأنية التي تزين جدران صـالون الأسـتاذ ، وقـد وقع حادث للعربة التى كنا فيها حيث إنقلبت ثلاثـه مـرات ونقلنـا إلى مستـشفى ودمدنى ، وبعد أن أدخلنا المستشفى ، ذهب الأستاذ في التو إلى المحاضـرة حفاظًـا على موعده مع النادى الذي دعاه ، ثم عاد بعد أن قدم المحاضرة ، ووجدني أسال عنه طول الوقت إذ أنني كنت أسمع صياحًا وبكـاءاً في فنـاء المستـشفى ، وكنـت أعتقد أنه قد توفى في الحادث . وعندما عاد إنحنى علي في سرير المستشفى ، وقال لى ما معناه نحن في الأسرة قدمنا تضحيات كثيرة من أجل الفكـرة الجمهوريـة وهـذه تضحية أخرى . . .

1967 ـ 1969 الطواف والوفود الكبيرة إلي الأقاليم :ـ

في هذا العام 1967 قام الأستاذ محمود ، على رأس وفد كبير طائفًا علـى أقاليم السودان المختلفة . . زار عـدداً مـن عواصـم الأقـاليم والمـدن الكـبيرة ، محاضراً في الأندية الثقافية ، كنت برفقته وثلاثة من الأخوات الجمهوريات ، وبعـد المحاضرات كان يقيم اللقاءات مع مجموعات المثقفين شارحًا فكرتـه عـن الثـورة الثقافية ، وتطوير التشريع الإسلامي للرقي بالفرد والمجتمع وتلك أول مرة أرافقه فيها في هذه الوفود ، وكان ذلك وقت العطلة الصيفية ، وقد أصبح ديدنه أن يأخذنا معه في الإجازات الصيفية نحن بنات الأسرة ، ولايتركنا وراءه .

طاف هذا الوفد على عطبرة، شندي، الدامر، بربر، العبيدية، الباوقة، كسلا، بورتسودان، جبيت، سواكن، سنكات، طوكر، القضارف، سنار، والأبيض، وكل منطقة الجبال الشرقية مثل الدلنج، كلوقي، تلودي، العباسية تقلي، رشاد، وأبو جبيهة، ثم ختم بمدني، كان هذا الوفد يقيم في منازل الأقارب المؤيدين للفكرة الجمهورية حيث وجدوا، وفيما أذكر عند زيارتنا لكلوقي نزل الوفد مع الحاج على شمعون من اقارب الاستاذ من أهالى الهيجيليج ونزل ايضًا في الدامر وبورتسودان في منازل اقاربه، وأحيانًا ينزل الوفد في بعض المدن في منازل الجمهوريين من سكان تلك المدن مثل مدنى والقضارف وكسلا الخ . . وفي اللكوندات حيث تيسر ذلك، مثل لكوندة الضيقي في كسلا . .

1969 فى هذا العام قام الاستاذ أيضًا على راس وفد كبير به عدد من الاخوان القياديين طاف الوفد على عدد من المدن عطبره الدامر شندى بورتسودان، وفي الطريق إلى بورتسودان ، فى القطار كنا معه انا واسماء وسميه، طوال هذه الرحله كان يحدثنا عن السيرة النبويه ويسرد لنا احاديث عرفانيه عميقه الاثر كنا نستمع له فى شغف .

دخل القطار مدينة بورتسودان عند الفجر وقد بدات الشمس ترسل اشعتها الذهبيه من بين تلال البحر الاحمر وكان الاستاذ يتابع شروقها من نافذة القطار واخذت تتدرج فى الظهور من اللون الاحمر إلى الاصفر وكان ينظر اليها بتركيز شديد ويقول لنا حاولوا النظر فى الشمس وقد حاولنا عدة مرات مع انها كانت مؤلمه فى النظر بالنسبه لى لكن الاستاذ لم يكسر نظره عنها طول الوقت وقال لنا انه تعود النظر فى الشمس . . فى فجر ذلك اليوم فى القطار افاض فى الحديث عن

السيرة النبويه الشريفه وعن السيده عائشه والسيده فاطمه ومحبتها للنبى صلى الله عليه وسلم وكيف انها كانت إلى جواره وهو فى النزع الاخير ، وكانت تقول له : (واكرباه لكربك يابى) ويرد عليها بقوله : (لاكرب لابيك بعد اليوم) ، ويحكى لنا كيف ان السيده فاطمه حزنت على والدها ولحقت به بعد سته اشهر فقط وكنا نبكى اسىً لتلك المشاهد المحزنه ، ويعلق الاستاذ على بكائنا بقوله : (ابكوا عليها فإنها جدتكم) .

فى أسفارنا معه ايضا كان يحدثنا عن العفو والسلام والرحمه ، وكان كثيرا ما يقابلنا الفقراء فى الطريق ويسالوننا شيئا ، وعندما نعطيهم يقول لنا عبارة السيد المسيح : (الرحماء يرحمهم الله) ويقول لنا (اذا قابلكم سائل لا تقولوا له كما يقول بعض الناس ؛ مالك ما شديد ما تمشى تشتغل ، لكن شوفوا كان الله ارسل لكم هذا السائل فلا تردوه واعطوه مافى استطاعتكم . .) وحكى لنا ان السيده عائشة اعطت سائلا بلحه فلم يرض السائل ، فقالت له : (كم فيها من مثاقيل الذريا هذا؟)على ما جاء فى الايه الكريمه " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " .

وفي مدينة بورتسودان في الفترة الصباحية نطوف على المدينة ، نذهب إلى البحر والميناء حيث زرنا فلمنقو وشهدنا طريقة الشحن والتنزيل في السفر ودخلنا سفينة يوغسلافية كانت راسية على الميناء شهدنا غرفة الكابتن واماكن المسافرين كانت جميلة ومرتبة ثم ركبنا لنش لمشاهدة المرين قاردن والشعب المرجانية ، كان اللنش يعلو ويهبط مع الأمواج ، كنا فرحين لتلك الحالة فقال لنا الأستاذ (الخطر عندما يكون مأموناً يكون ممتعًا) .

كان وجود الجمهوريات في الوفود في ذلك الوقت ملفتًا للنظر ومثيراً للفضول، أذكر أننا نزلنا معه في كسلا في لكوندة الضيقي، وكان ذلك غريباً على العاملين في اللكوندة والنزلاء على السواء، عندما لاحظ الأستاذ أن فضول الرجال كان كبيراً تركنا ننام في الغرفة، ويقفل الباب ويضع سريره أمام الباب في الصالة، كان يجيب على كل التساؤلات الكثيرة التي ترد بشأننا من هؤلاء بقوله: (إنهن بناتي)، كنا قبل وقت المحاضرة نخرج معه نطوف على أرجاء المدينة، يطلعنا على أنحائها ومعالمها المختلفة، ونتناول الوجبات في المطاعم برفقته، ونزور معه الأماكن العامة، وقد كان ذلك سلوكًا غير مألوف في المدينة فالمرأة في السودان وحتى الآن لا تحظي بالمساواة وحق المشاركة الإجتماعية المتساوية مع الرجال، أعتقد أن الله قد أتاح لنا فرصة تلك المشاركة لأن زعيم الحركة كان والدنا، ولولا ذلك، لما كان من الممكن أن نجد تلك الفرصة، نسبة للحصار الذي يضربه المجتمع على حركة المرأة.

كنا نقضي النهار معه، يطوف بنا على معالم المدن التاريخية، مثل المتاحف والقلاع القديمة، والحدائق العامة، والقباب وأضرحة الرجال الصالحين، الذين قدموا خدمة للمدينة بتعليم الناس وإرشادهم، فمثلاً في كسلا زرنا جميع أضرحة الميرغنية، وخاصة السيد الحسن، وكان يقول عنه(حسن الأكبر)، ومن معالم كسلا زرنا برفقته جبل توتيل، وقد صعدنا الجبل وكان يتقدمنا صعوداً ونزولاً من الجبل في خفة ملحوظة، كنا نشعر بالسعادة لتلك الرحلات الترفيهيه، بعد العناء الذي نشعر به أثناء المحاضرات. . مشاركتنا في هذه الوفود جعلتني ألم إلماماً ملموسًا بجغرافية السودان، ومعالمه الحضرية والأثرية والطبيعية، وقد عرفت كيف

أن غرب البلاد جميلٌ وذو طبيعة خلابة خاصة منطقة رشاد وأبوجبيهه وأعتقد أنها سياحيًا لاتقل سحراً وجمالاً عن سويسرا، والبلاد الأوربية، التي يقصدها السواح لجمال طبيعتها، فقط السودان يحتاج إلى عناية أهله وتنميته في هذا المجال وستتجه نحوه جميع أنظار العالم في القريب العاجل إن شاء الله.

كانت المحاضرات التي تقام في المساء، تتناول المبادىء الأساسية التي يقوم عليها الفكر الجمهوري لبعث الإسلام من جديد، ليتولى قضية التغيير وبناء المجتمع الإنساني على أسس جديدة، مثل (تطويرالتشريع، والدعوة إلى طريق محمد، رسالة الصلاة، وموضوع الأصالة، والأصول والفروع، والإسلام برسالته الأولى لايصلح لإنسانية القرن العشرين، وتطوير شريعة الأحوال الشخصية والدستور والديمقراطية ومشكلة جنوب السودان ومشكلة الشرق الأوسط..) إلخ. وهذا على سبيل المثال لا الحصر للمواضيع الحساسة التى طرحتها الفكرة الجمهورية، من أجل قضية التغيير.

كنا نجلس نحن الجمهوريات المرافقات للوفد، في الصف الأمامي تحت نظر الأستاذ، تحمل كل منا كراسة، ونقوم بتسجيل المحاضرات طوال فترة الوفد، وكان ذلك يساعدنا على الحضور التام، وعلى المتابعة وأيضا على تجويد اللغة، كان رأي الأستاذ أن لايتركنا وراءه، ففي ذلك حفظ لنا، وقد أكد ذلك في إحدى المحاضرات فى مدينة القضارف، حين حاول أحد المعارضين إحراجه، بأن قال له: (في هذا المجلس وأمام الأستاذ، وضع مخالف للشرع فهنا بعض النساء وهن يجلسن في الصفوف الأمامية، فكيف يسمح الأستاذ بهذا الوضع المنافى للشريعه؟!)، فرد عليه الأستاذ بوجهة نظره في تطوير التشريع الإسلامي، لننهض

من شريعة الفروع إلى الأصول، التي هي أصل الدين ففي الشريعة المطورة الأختلاط هو الأصل، والمرأة فيه مساوية للرجل (النساء شقائق الرجال) وبعد شرح طويل وضح فيه مستقبل المرأة في الدين، ختم الأستاذ إجابته بقوله: (أنا الأن بناتي معاي ياترى أي واحد منكم عارف بناته وين في اللحظه دي؟) وقد ساد صمت طويل بعد هذه الإجابة، ثم تبعها الحضور بتصفيق حار.

كل المحاضرات في كل أنحاء السودان، تواجه بصخب شديد، ففي هذا الوفد شهدنا مواقف كثيرة وغريبة. مثلاً في إحدى المحاضرات في مدينة بورتسودان، وفي نادي أبناء تنقسي تجمع الحضور بعد نهاية المحاضرة، وعم الصياح والهياج والتلويح بالعنف، وإزدحم الباب الرئيسي بالذين يتدافعون للإعتداء بالضرب على الأستاذ والمرافقين له، وتقدم الأستاذ يشق الزحام فاتحًا الطريق وسط الجموع، يقودنا إلى الخارج، في هذا الأثناء جاء بعض أعضاء النادي يطلبون من الأستاذ في خوف، أن نخرج من الباب الخلفي وهو باب صغير، فرفض الأستاذ، وأصر على الخروج من الباب الرئيسي، مكان التهديد فترجاه أحد أعضاء النادي قائلا: (من أجل الأسر يا أستاذ)، فأبعده الأستاذ بحده قائلاً له: (نحن وأسرنا طالعين في الأمر ده)، وأبتعد عنه الرجل، وخرجنا والأستاذ يمشي تارة من أمامنا وتارة من خلفنا، حتى ركبنا العربة إلى مكان منزلتنا. في مثل هذه الأوضاع كنا نتخيل حجم الخطر الذي يواجهه الأستاذ. . مثل آخر في إحدى المحاضرات بنادي الخريجين ببورتسودان، تجمع الأخوان المسلمون وأخذوا يكررون الأسئلة بإلحاح في موضوع الصلاة ويرددون الهتافات بإعلان الجهاد من ذلك المكان، وأعتلى أحدهم المنصة حيث يقف الأستاذ وهو يحمل سيفًا والأستاذ

ثابت في مكانه لايتحرك، ثم علا الصياح بصورة أصبح سماع المحاضرة غير ممكن، وسادت حالة من عدم الأمن حتى جاء رجال الشرطة، وتمكنوا من حفظ النظام وإستمرت المحاضره وقد أخذ البوليس المهرجين إلى خارج النادي، الملاحظ أن حامل السيف لم يفعل به شيئا حتى وصول رجال الشرطة.

ورجل آخر شارك في الحوار في إحدى المحاضرات وهُزم في النقاش، أعتقد أن هزيمته دعوة للشجار، تقدم مهتاجًا نحو المنصة فقام الجمهور بإبعاده. كانت هذه المحاضرات تواجه بصخب شديد من المعارضة، ومن المتعصبين الدينيين، وجماعة الأخوان المسلمين، الذين كانوا يجتهدون في طرح الأسئلة، التي يمكن أن تشكك في الفكرة الجمهورية وتصرف المستمعين عن مناقشة الفكرة وتناقض الفكر السلفي مع واقع الحياة وأصول الدين..

تحرك الأستاذ من بورتسودان إلى مدينة طوكر، وسبقه عدد كبير من هؤلاء إلى طوكر وأخذوا يهرجون بنفس المستوى وقد كان موضوع المحاضرة هو الصلاة، ومن المعروف أن للإستاذ رأي في إعادة الروح للصلاة وأن المسلمين اليوم لا يصلون، وكان كل النقاش يدور حول الصلاة، وهي فكرة واسعة تحتاج إلى شرح طويل ولكن الكثيرين منهم كانوا يرفضون الشرح ويصيحون في وجهه (نحن فقط نريد أن نعرف أنت تصلي أم لا تصلي؟)، كان يرد عليهم أن الأمر يحتاج إلى شرح، إن كنتم تريدون أن تعرفوا الحقيقة، فأهدوا وإستمعوا إلى الشرح، وردوا عليه (لا نريد شرحًا نريد أن نعرف فقط، أنت تصلى، أم لا تصلى؟).. فرد عليهم بتحد وحسم (لا أصلى، ماذا تريدوا أن تفعلوا ؟؟)، ووقف بثبات ويديه على صدره ينظر إليهم مليًا، فساد المكان صمت رهيب وعم الهدؤ، وعندها

واصل الأستاذ شرح موضوع الصلاة، وكان يقاطع بالتصفيق من المثقفين، والحضور الذين يظهرون إعجاباً كبيراً بتلك الشجاعة والذكاء السريع والإجابات الحاسمة على الأسئلة، مما يظهر ذكاء الأستاذ إزاء ضعف عقول وقلة ذكاء من كانوا يحاورونه... في هذه الفترة إرتفع توزيع مؤلفات الأستاذ محمود في بورتسودان، كما تبع ذلك زيادة عدد الذين إلتزموا الفكر الجمهوري، وكذلك عدد الأصدقاء الذين أصبحوا وشيكي إعتناق الفكرة، وبهذه الدرجة من الإقناع أصبحت بورتسودان مدينة صديقة تتلهف للإطلاع على الجديد من الكتب، ويتابع سكانها المحاضرات، أينما كانت وسيظهر ذلك في كتيبات (قضية بورتسودان)، كما سيجئ لاحقاً..

في مدينة الحصاحيصا قدم الأستاذ محاضرة في نادي الجزيرة، وبعد مضى قرابة نصف الساعة، بعد صلاة العشاء، تحرك بعض المتشددين من جامع مجاور بمظاهرة نحو النادي يكبرون ويهددون، ويصفون الأستاذ بالإلحاد، ويدعون للجهاد بأصوات هادرة وقد أوقف الأستاذ المحاضرة، وظل الجميع جلوساً على مقاعدهم، ودخل المتشددون المهرجون إلى النادي، وصعدوا فوق الحيطان وهم يحملون السيخ والعصى، وعندما بلغ الهرج قمته، إستدعى المسؤلون عن النادي البوليس وبمجرد وصول البوليس، هرب بعضهم وصمت البعض الأخر. فواصل الأستاذ المحاضرة وكان الأستاذ يقرأ لنا دائماً الآية الكريمة: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (سورة آل عمران).

وصول الوفد إلى مدينة الأبيض:-

وصل وفد الأستاذ الطائف إلى مدينة الأبيض، وقد سبقه بأيام، وفد طليعي من الأخوان الجمهوريين للإتصال بالأندية الثقافية والمهنية للإعداد للمحاضرات مع الجمهوريين المقيمين بالأبيض، وقد بدأ برنامج المحاضرات، فور وصول وفد الأستاذ إلى المدينة . . عم النشاط الفكري مدينة الأبيض وهي مدينة نهمة لتلقي العلم والثقافة، وقد شمل النشاط نادي الأعمال الحرة، ونادى المرضين، ونادي السكة حديد. كما شمل نشاطه لقاءات بالمثقفين بالمدينة، وكانت له جلسات خاصة معهم مثل الأطباء، والمعلمين وموظفي السكة حديد، شاركوا فيها بالحوار في قضايا السياسة، والفكر والدين بحرية وحيوية، وكان فيها إمتاع فكري للحضور، اما إمتاعها بالنسبة لي شخصيًا فكان لايقاس . .

23/5/ 1969 الإعتداء على الأستاذ محمود:ـ

نهاية الجولة كانت في مدينة الأبيض وفي يوم 23/ 5/ 1969 قدم الأستاذ محاضرة في نادي السكة حديد بعنوان (لا إله إلا الله)، وقد كان الحديث ممتعًا وقويًا عن الحرية الفردية المطلقة، وضح ان الحرية لاتتحقق إلا بالتحرر من الخوف، وكيف أن التحرر من الخوف يعني (لافاعل لكبير الأشياء ولاصغيرها إلا الله) وبذلك يتم التحرر من الخوف، وتتحقق العبودية لله وحده، وقد كان الحديث ساميًا وممتعًا حلق بالناس في سماوات العرفان وقمم العلم، في هذه اللحظة فوجئ الناس بدوي ضربة قوية على رأس الأستاذ، من عصا غليظة وجهها له أحد الحضور من سكان المدينة، جاء متخفيًا من خلف الأستاذ، إنهمر الدم غزيرًا من رأسه وأسرعنا نحن الأخوات نحو المنصة، وقد نهض الأستاذ مسرعًا والدم ينهمر بغزاره من الجانب الأيمن من رأسه، وهو ينوي إستمرار

المحاضرة، قام جميع الحاضرون من مقاعدهم ونحن في غاية من الإنزعاج نحيط به وننادي بأصوات عالية (ابوي، ابوي)، والأستاذ يلف العمامة حول رأسه ويتحول لونها إلى أحمر وتمتلئ يديه بالدم، ومع ذلك ظل محتفظًا بإبتسامة هادئة، يطمئننا بقوله: (مافيش حاجة مافيش حاجة أنا كويس) أسرعت إلى جواره وسقط الرجل الذي ضربه على الأرض، كان رجلاً طويل القامة، أسود اللون، متسخ الثياب، يضع على رأسه عمامة متسخة، وعلى قدميه حذاء بلاستيك أبيض متسخ أيضًا، وكنت أصيح في أعضاء الوفد لنأخذ الأستاذ فوراً إلى الخرطوم. . . كل الناس كانوا في حالة من الإنزعاج وقد تدافعت الجموع على المنصة، وأخذ الأستاذ إلى المستشفى، وتبعه كل الحضور إلى هناك. كلما ينتشر الخبر في المدينة يتوجه الناس نحو المستشفي حتى إمتلأت بهم الشوارع، وعاشت الجموع قمة عالية من التعاطف والتوتر.

قام الطبيب المعالج بخياطة الجرح وقد رفض الأستاذ التخدير وتمت خياطة ثمانية غرز من غير بنج، وكان هذا امراً مدهشًا للكثيرين. . حين أخذوه إلى المستشفى أمر بإعادتنا إلى المنزل، وفعلاً تم ذلك، ولكننا لم نستطع الصبر فأعادونا إلى المستشفى مرة أخرى لكى نطمئن عليه، ولم نستطع الدخول، بسبب الحشود الكبيرة التى كانت تتجمع أمام المستشفى أذكر أننى قد قضيت كل الليل في بكاء مرير، ولم أستطع أن أتمالك نفسي، فقد تألمت كثيراً لذلك الظلم والغدر، فكيف لرجل برىء يدعو إلى الله بالتي هي أحسن، وهو أعزل حتى من عصا يتوكا عليها، أن يغدر به الحاقدون أعداء الإسلام في الحقيقة، باسم الإسلام.

بعد عودته إلى المنزل، أخذنا ملابسه أنا وأسماء (الجلابية والعمـة والـشال) لتنظيفها من الدماء وقد كانت محمرة ومبتله بالدماء بصورة غريبة. . ما زلت أذكر كيف أن لون الماء في أرضية الحمام قد تحول إلى لون أحمر . . كلما نصب الماء على الملابس يتغير لون الماء إلى أحمر.

لم ينم الأستاذ فى تلك الليلة، والتى تلتها، كان يشعر بصداع شديد وقـد قضيت معظم الليل إلى جوار سـريره. . كـان يجلس في مـصلاة وهـو معـصوب الرأس. وفي الأيام التي تلت تلك الحادثة، لم يتناول أي طعام فقد كان لايستطيع المضغ، وكنت أصنع له مشروبًا خفيفًـا مـن عجـين الـذرة مـع الـشوربة وبعـض السوائل، أعده له في منـزل أحـد الجمهـوريين في الأبـيض، والـذى كـان منزلـة الوفد. . في اليوم الذي تلي الحادثة، كان على موعد ليحاضر فى مدينة بارا وقرر الذهاب، وتوسلنا إليه ألا يذهب، وفي النهابـة تقـرر أن تقـوم المحاضـرة إلتزامًـا بالوعد مع أهل بارا، وفعلا سافر كل الوفد إلى بارا وبقيت أنـا معـه في الأبـيض، أقوم بخدمته وقد أقام المحاضرة بدلاً عنه أحد الجمهوريين من أعضاء الوفد، وعند عودتهم من بارا، في اليوم التالي، تحدثوا عن كثرة عـدد الحـضور، وعـن حجـم الإدانة لحادث الإعتداء. .

في يوم 25 مايو تمكن من إقامة محاضرة في نادي الأعمال الحرة بالأبيض وهو معصوب الرأس، وقد كنت في أثناء المحاضرة في غاية الإنزعاج أراقب كل الذين يقفون بالقرب منه أو من يقترب من المنصة وأتوقع إعتداء جديداً بـين كـل لحظـة والأخرى، منذ ذلك اليوم دخل حياتنا عنصر جديد، وبدأ يتأكد عندي أن حياته ليست في مأمن من خصومه الدينين والسياسيين فأنهم يتربصون به. . ولكن إيمانه

بالله كان أقوى من مخاوفي، ومن غدر الأعداء، ففي أثناء المحاضرة كنت حين أنظر في وجهه تتبدد مخاوفي، فإن وجهه يشع بإيمان وهدؤ شديدين. . تحدث في تلك الندوة بهدؤ، تبرق عيناه حين يتلو الآيات القرآنية، وهو معصوب الرأس، وقد كان لذلك الموقف صدى كبير في أوساط المواطنين في المدينة، وفي صباح اليوم التالي سمعنا بالإنقلاب العسكري (25مايو1969). وقد كان الناس في المدينة يقولون أن الله قد إنتقم للأستاذ بذلك الإنقلاب. .

عاد الوفد من الأبيض إلى مدينة ودمدنى، في طريقه إلى الخرطوم وفي اليوم التالي بدأت الإجتماعات في منازل بعض الأخوان بمدنى، فأقيمت جلسه كبيرة لتقييم الموقف السياسي، والموقف من الإنقلاب الجديد، وقد تم نقاش واسع شارك فيه عدد كبير من الحضور، وقد خلص الإجتماع إلى أن الجمهوريين دعاة ديمقراطية ولا يؤيدون الحكومات الدكتاتورية، ولكن الوضع الحزبي متردي في البلاد وأن الأحزاب الطائفية تضلل الناس بأسم الدين، ولذلك نحن في الوقت الحالي لن نعارض هذا الوضع، كما أننا لانعمل في مساندته، فقط نكتفي بالتأييد السلبي ولا نؤيده تأييداً مباشراً لأننا لانقبل الحكم العسكري. سنظل مراقبين ونطالب بالمنابر الحرة لنتمكن من طرح البديل الذي يقوم عليه مستقبل الحكم والديمقراطية في البلاد. . لن نقف من الوضع موقفًا إيجابيًا إلا إذا حاولت الطائفية الإطاحة به ذلك كان الموقف من إنقلاب مايو 1969 في أول أيامه. .

1969 محاكمة الرجل الذى إعتدى بالضرب على الأستاذ في مدينة الأبيض:-

كان قد تم فتح بلاغ ضد الرجل الذي إعتدى على الأستاذ في الأبيض وقد قُدم للمحاكمة. . إعترف الرجل للمحكمة بأنه قد حرض من قبل بعض جماعة

الأخوان المسلمين، الذين كانوا يتابعون المحاضرات ويثيرون الشغب فيها ليضرب الأستاذ، وأعترف أيضا بأنه قد أُشير عليه بضرب الأستاذ في مؤخرة رأسه من الخلف، ولكن وجود الناس دائمًا خلف الأستاذ لم يمكنه من ذلك، وعندما لم يجد سبيلاً، قال انه ضربه في رأسه من ناحية وجهه من الأمام. . وقد ظهر للمحكمة أن الرجل يعاني من نوبات عصبية، ولهذا السبب يبدو أن تلك المجموعة قد إستغلته لتلك المهمة. . حتى لاتكون هناك مسؤلية على أحد ولكن ثبت للمحكمة أن تلك الحالة لاتربو إلى حد إعفائه من المسئولية القانونية لذلك أدانت المحكمة المتهم، وقد عفا الأستاذ عنه وأرسل عفوه كتابة عن المعتدي، وقد كاتبته المحكمة أن العفو غير ممكن، و فيما يلي المكاتبات التي جرت بينهم والتي اوضح فيها الأستاذ للقضاء أن التنازل عن حقه ممكن:

(السيد / محمود محمد طه

ص. ب: 1151 أم درمان

بالإشارة إلى خطابكم بتاريخ 22/ 3/ 1970م ـ أن التنازل في مثل جريمة المادة 127 أ لا يقبل، ولقد سبق أن أخطرنا بذلك حكمدار بوليس الأبيض.

خطاب المحامي العام في 30/ 4/ 1970م بخصوص التنازل

التوقيع:

صديق عبد الحليم

وكيل نيابة مديرية الخرطوم)

(السيد الوكيل :

موضوع هذا البلاغ هو التعدي بالضرب على السيد محمود محمد طه أثناء إلقائه لمحاضرة في نادي العمال بالأبيض بتاريخ 23/ 5/ 1969 ، وقد وجهت للمتهم الذي ضرب السيد محمود تهم بموجب المواد 127/ أ ، 277 ، 279 و283 من قانون العقوبات .

الآن طلب السيد محمود شطب البلاغ ضد المتهم لأنه هو محور الشكوى . . وهو يتنازل عن حقه في القصاص ولكن السيد قاضي الجنايات بالأبيض يصر على أن يمثل السيد محمود أمام المحكمة والسيد محمود لا يريد السفر ولا يرى جدوى من القضية .

ورأيت أن يطلب من السيد قاضي الجنايات مراعاة ذلك ، لأن القضية يمكن أن تحكم دون الإستماع إلى أقوال السيد محمود وهي غير مفيدة لأنه يقول أنه لم يتبين شكل المتهم ولا يعرفه بل شعر بضربة على رأسه أنظر ص1 من يومية التحرى .

ويبدو أن السيد القاضي مُصر على أن يمثل السيد محمود أمام المحكمة أزاء ذلك الإصرار طلب منا السيد ميرغني النصري المحامي نيابة عن الأستاذ محمود إستعمال سلطة سحب البلاغ . ولكني كما سبق أن ذكرت أن لإستعمال السلطات بموجب المادة 231/ 1 من قانون التحقيق ، لا يجب أن يتم إجراءً روتينيًا ولابد من مراعاة الصالح العام أولا ، ولكن السيد النصري غير مقتنع بهذا الرأي .

وفي تصوري أننا يمكن أن نوجه السيد وكيل نيابة كردفان، إلى أن ينتهج واحداً من سبيلين :ـ

إما :

1) أن يطلب من المحكمة، السير في القضية وإدانة المتهم وهو معترف دون إجبار السيد محمود على الحضور. أو :

2) أن يطلب من المحكمة حفظ البلاغ لأن القصد الجنائي لم يكن متوفراً، نسبة لأن المتهم يعاني من مرض الصرع، وقد ذكر الطبيب أن المتهم ظل يصاب بنوبة، أو نوبتين في الشهر (ص4 من يومية التحري) ولكن ليست هناك بينة في رأي الطبيب تشير إلى أن المتهم في حالة هيجان العاطفة الدينية، إذ سمع أن السيد محمود ضال ومضل والتطرف الديني في حد ذاته ضرب من ضروب الأمراض العصبية لأن الإنسان يكون غالبًا في حالة غير طبيعية.

3) عليه أرفع الأوراق لسعادتكم لإتخاذ ما ترونه مناسبًا. وشكراً.

خلف الله الرشيد

المحامي العام

(30/ 4/ 1970م)

كتب الأستاذ لجهة قضائيه عليا موضحًا، بأن لهذه القضية جانبان جانب يخص الدولة وجانب يخصه هو، أماهو فقد عفى حقه، ويمكن للدولة أن تأخذ حقها، وقد تم ذلك مما خفف الحكم على المتهم. أورد فيما يلي نص الخطاب الذي كتبه مخاطبًا السيد/ ميرغني النصري المحامي ليشرح الأمر لنيابة الأبيض :ـ

(عزيزى ميرغني . .

تحية طيبة ، ،

لقد أعلم أن التنازل لايعفى الجاني من العقوبة ، لأن المجني عليه طرفان : شخصي الضعيف ، وتنازلي يقبل ، ولكنه لا يتعداني ليسقط حق المجتمع على الجاني حين جنى ولذلك فإنه يطالب به ، ويعاقب عليه ، وتنازلي يعتبر من العوامل المخففة عليه . . ولا يمكن أن يكون هناك قانون يمنع التنازل ، لأن العفو فوق القصاص ، عقلاً ، وقانونًا ، ودينًا .

يهمني في هذا الأمر شيئان :

1) أن يكون تنازلي مفيداً للجاني في تخفيف العقوبة عليه .

2) ألا أحتاج لأتنازل أن أسافر إلى الأبيض . .

وأريدك أن تتكرم بأن تمكنني من هذين الأمرين معًا ، بأي صورة تراها مع مزيد شكري

المخلص

محمود محمد طه)

وكانت تلك لمحة من قلب لايعرف الإنتقام ولا الضغينة ، ونسبة لتكرر لمثل هذه الحوادث قال له احد الأصدقاء : (يا أستاذ والله بعد ذلك من الأحسن أن تسعى ليك مسدس) ، قال له الأستاذ : لماذا؟ ، قال له الرجل : لتحمي حياتك ، فرد عليه الأستاذ : (أنا أحب أن أُقتل ولا أقتل) . !

1970 زيارة أبو حراز ومواقع السادة العركيين:-

في هذا العام أيضا جهز الأستاذ وفداً كبير إلى قرية أبي حراز في منطقة الجزيرة وهي من البقع الدينية الكبيرة ومركز السادة العركيين الأول في السودان. وقد قامت هذه الزيارة بدعوة كريمة من الشيخ عبد الرحيم محمد يونس، خليفة السجادة العركية وبعد قبول الدعوة كتب الأستاذ محمود خطاباً للسيد عبد الرحيم محمد يونس، أورد نصه فيما يلي:

(أم درمان في 12/ 11/ 1970

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً. . وبعد فإلى أبي المكارم سليل الأولياء الشيخ عبد الرحيم محمد يونس، أدام الله، تأييده ومدده ونفع به البلاد والعباد. . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. ثم أن دعوتكم الكريمة التي تفضلتم بتوجيهها لي والأخوان أبان زيارتنا لكم الأخيرة بأن نقضى ليلة في بقعتكم المباركة، التي مشى فيها الهدى بك وبأبائك الصالحين الميامين قد سرتنا غاية السرور ورأينا أن تكون تلك الليلة هي ليلة عيد الفطر المبارك في هذا العام، وإنا لنرجو ببركتكم وبركة أبائك شابيب الخيرات ونوامي البركات، وسوابغ الإمدادات، سنكون عندكم بعون الله تعالى يوم وقفة العيد، وسيكون عددنا حوالي المئة، من هذا العدد خمسة عشرة إمرأة، ثم إنا لنرجو أن يكون الأذن معنا في البدء بزيارة أبائك الصالحين إبتداءاً من الشيخ يوسف، قبل أن نصل إلى منازلكم العامرة.

هذا ودمتم في حفظ الله وفي تمام عافيتي الدين والدنيا.

المخلص

محمود محمد طه)

سبقت هذا الوفد زيارات تمهيدية من بعض الأفراد الجمهوريين الذين بعثهم الأستاذ للإعداد لتلك الزيارة، وقد كتب خطابات لكبار العركيين مثل الشيخ يوسف أب شرأ، الذي عرف بتقواه وصلاحه، والشيخ دفع الله، وقد طلب أن توضع تلك الرسائل داخل أضرحتهم وقد طلب مني الأستاذ أن أكتب أحدها وفعلاً كتبت نموذجًا لم يرض عنه وعلق على خطابي (كأنك تكتبين خطابًا إلى شيخ الحارة) وأعاد كتابته بنفسه يجد القارئ ادناه نموذجًا من تلك الخطابات:

(أم درمان 12/ 11/ 1970

بسم الله الرحمن الرحيم،

والحمد لله القديم وبعد، فإلى حضرة الولي، الدال على الله بحاله ومقاله، الشيخ عبد الله ابن الشيخ دفع الله العركي . .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . .

ثم أن ابنكم، وخليفتكم، الشيخ عبد الرحيم الشيخ محمد يونس، قد وجه إلينا دعوة كريمة بزيارة بقعتكم المباركة (أنا والأخوان) لنمضي فيها ليلة . . وقد سرتنا هذه الدعوة . . وقدرنا أننا سنستطيع إجابتها ليلة عيد الفطر المبارك، حتى نتمكن من إجابتها بتلك الأرض التى تحمل آثاركم وآثار الميامين من أبنائكم الصالحين، فنتعرض بذلك لنفحات الخير، والبر، إننا سنكون ضيوفكم، حسًا ومعنى . . وهذا يكفي . . ويطيب لى، في هذا المقام، أن أذكرك برحم روحية قديمة، لابد أنها عندك في مقام تمام الرعاية، وحسن الصلة، وتلك هي رحم الولي المرشد، الشيخ عبد الرحمن إبن جابر . .

إن ما نحن بصدده (أنا والأخوان) هو ما أنفقتم حياتكم النافعة في سبيله . . ونحن نعتقد أنا مهتدون، ونعتقد أنا مخلصون . وأنتم اليوم في دار حق، ونحن في دار باطل، فإن علمتم، بما أعلمكم الله، إنا غير مهتدين، أو إنا غير مخلصين، فإنا لنرجو أن يتم الله نقص هدايتنا، أو نقص إخلاصنا، أو كليهما، بجاهكم وبركتكم، وبجاه وبركة كل عبد صالح من العرش إلى الفرش . . إنه سميع مجيب . .

هذا والله المسؤل أن ينصر الحق، وأن ينصره بنا، وأن يفتح علينا الفتح الأكبر ببركة زيارتكم هذه، فإنا نبتغي وراءها مرضاة الله . . لاسمعة، ولا رياء، ولا تشوفًا . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

المخلص

محمود محمد طه)

ثم كتب خطابًا أخرًا إلى الشيخ دفع الله بن الشيخ إدريس

(أمدرمان في 12/ 11/ 1970

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . . وبعد، ،

إلى الولي مرشد الأولياء، وهادي الصالحين إلى طريق رب العالمين من أحيا طريق أبي صالح الجيلي، في البلاد وهدى به إلى سبل السداد . . صاحب علم الظاهر والباطن الشيخ دفع الله إبن الشيخ إدريس العركي قدس الله سره . .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . .

ثم أن إبنكم وخليفتكم، حفظه الله، الشيخ عبد الرحيم الشيخ محمد يونس قد طلب إلينا(أنا والأخوان) في زيارتنا الأخيرة له أن نعود فنمضي ليلة في بقعتكم المباركة فسررنا لهذه الدعوة الكريمة، وقررنا إن شاء الله تلبيتها، ليلة عيد الفطر المبارك نحييها في تلك الأرض التي تمشي فيها هدى القرآن، والسنة المطهرة، ولا يزال ببركتكم يتمشى، وإنا لنرجو ببركة إحياء تلك الليلة عندكم، ويزيد رجاء قلوبنا إنا سنكون ضيوفكم حسًا ومعنى . .

أن ما ندبنا أنفسنا للقيام به، ومنذ حين من الدهر، هو ما ظللت أنت وتلاميذك، وأبناؤك الصالحون تعملون له خلال حيواتكم المباركة . . ونحن نتوخى، ونجتهد، أن نكون محقين، فيما نقول وفيما نعمل ونجتهد أن تكون نيتنا خالصه لله . . ولا نأمن على أنفسنا الضلال، ولا نأمن عليها أن تكون مدخولة النية غيرمخلصة، ونحن في دار باطل وأنتم اليوم في دار حق، فإن علمتم نقصًا في حالتنا، من حيث الهداية أو من حيث الإخلاص، فإنا نرجو أن تتوجهوا معنا إلى الله تبارك وتعالى أن يتمم نقصنا ببركة زيارتنا هذه لكم وهى زيارة لا سمعة فيها ولا رياء، وإنما نتوخى فيها وجه الله تبارك وتعالى.

ثم أننا نتوجه لله تبارك وتعالى أن يبعث في نصرة حقنا، كل عبد صالح من العرش إلى الفرش . . إننا لنرجو فيوضات البركات، بفضل الله، ثم بفضل أنا سنكون ضيوفكم في تلك الليلة المباركة، وفي الختام فإني أحمد الله لك، كما حمدته في البدء . .

المخلص

محمود محمد طه)

وقد تبع هذا الخطاب خطاباً أخر إلى الشيخ يوسف الملقب(بالشيخ يوسف أب شرا) هذا نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم المتفضل.. وبعد.

فإلى صاحب المكارم، والكرامات، والفيوضات، والبركات، سليل الأولياء، ووالد الاولياء، الشيخ يوسف ابن الشيخ محمد الطريفي العركي، قدس الله سره، وأدام نفحاته..

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

ثم إننا قد تلقينا دعوة من إبنكم وخليفتكم الشيخ عبد الرحيم محمد يونس، أدام الله تأييده، في زيارتنا الأخيرة له، بأن نزور بقعتكم المباركة، ونمضى فيها ليلة (أنا والأخوان)، وقد سررنا لهذه الدعوة الكريمة، غاية السرور، وقررنا تلبيتها في ليلة عيد الفطر المبارك، لنحي تلك الليلة المباركة، في تلك الربوع التي عمتها أنوار أبائك، وأنوارك، وأنوار أبنائك من بعدك، والتي لا يزال ضريحك الميمون، يشع فيها الهدى، والبركة، والطمأنينة.. أدام الله خيرك ويمنكم..

ثم إنني والأخوان ظللنا، ولانزال ندعو إلى سبيل الله، ونجتهد لا نألو، أن نكون محقين في الحق وأن نكون على نهج الإخلاص والصدق. فإن كنت تعلم إنا كذلك فإنا نطلب إليك أن تهب في نصرتنا، فأنك ما علمنا فزاع، وفياض بالبركة، والنصرة، والتأييد.. وإن كنت تعلم أنا غير ذلك فإنا نرجو ببركة

زيارتنا هذه لكم، أن يتم الله نقص حقنا، ونقص إخلاصنا، ثم إنا في ذلك نطلب إليك أن تهب في النصرة والمراغمة للأعداء.

إننا لنرجو الله، ببركتكم، وبركة زيارتنا هذه المخلصة لك، ولأبائك، أن ينصر بنا الحق، نصراً مؤزراً، وأن يفتح علينا الفتح الأكبر المبين، وأن يبعث في نصرتنا كل عبد صالح في الملأ الأعلى، وفي الملأ الأسفل، إنه سميع مجيب، قريب..

وفي الختام، فإني لأحمد لك الله، كما حمدته في البدء.

المخلص

محمود محمد طه).

تم أرسال هذه الخطابات قبل أيام من قيام الوفد إلى أبي حراز ووضعت على أضرحة المشايخ، وقد حكى أحد الأخوان أنه رأى في منامه يداً تمتد وتعطيه رداً بالقبول.

تحرك الوفد من مدينة ودمدني بعدد من البصات التي إستأجرت لهذا الغرض، متجهه نحو الشاطئ، لتعبر للشاطئ الأخر. شمل هذا الوفد كسابقه عدداً من الأخوات والأخوان بينهم كبار السن والأطفال وبعض أصدقاء الفكر الجمهوري من الشيوخ، تحرك الوفد بعد صلاة المغرب وكان من المخطط له أن يصل إلى مكان البنطون (العبارة) في مدة ربع ساعة، ولكن البصات ضلت الطريق وأخذت طريقًا عكس الطريق الذي يؤدي إلى بنطون أبي حراز، وتوقفت البصات

عن السير للتشاور في أمر الطريق وأنتظرنا من يقودنا إلى مكان البنطون، وجلس البعض على الأرض وكان الليل مقمراً، وفي مثل هذه اللحظات يتحلق الناس حول الأستاذ ويدور حديث مثمر وذو مغزى فقال الأستاذ: (يبدو أن هناك بعض المعارضة الروحية من بعض هؤلاء المشايخ لزيارتنا لأماكنهم)، وقد وجهنا بتوجيه عزائمنا الروحية لازاحة تلك المعارضة حتى تتم الزيارة، ومن ضمن تلك الأحاديث قال أن الناس في السابق كانوا يهتدون إلى الطرق بمواقع النجوم ولذلك كانوا يعرفون طرقهم ليلاً في الصحراء. . . .

بعد فترة إستطاع سائقو البصات من الإهتداء إلى الطريق، ووصلنا إلى مكان البنطون وكانت العربات من الشاطىء الأخر توجه أنوارها نحونا وتحرك بنا البنطون بدور خاص في الساعة الواحدة ليلاً، وقابلنا أهل أبي حراز بترحاب، وتقدموا جمعنا إلى داخل ديارهم، حيث بدأت الزيارة بزيارة أضرحة المشايخ وفي مقدمتهم إمامهم الشيخ يوسف أب شرأ، ودخل الضيوف جميع القباب والأضرحة وكانت الزيارة تتم مع الذكر بأسم الله المفرد، الذي طالما كان فاتحة لجلسات الفكر الجمهوري وصحبونا إلى مكان الضيافة، حيث أقيمت جلسة كبيرة شارك فيها، الجمهوريون بالإنشاد والمنشدون من أتباع الطريقة القادرية العركية. . وقضى جمعنا الليل النساء في جناح النساء، والرجال في منازل الرجال وأيضًا في المنازل المجاورة للمسجد. . وكان الصباح على نفس النهج ثم عاد الوفد إلى ودمدني ومنها إلى الخرطوم. .

في نفس هذا العام 1970م أصدر كتاب (أسئله وأجوبة) الكتاب الأول.
كما كتب كتاب (القرآن ومصطفي محمود والفهم العصري)، وقد كان رداً على

كتاب أصدره الكاتب المصري الدكتور مصطفى محمود تحت عنوان (القرآن محاوله لفهم عصري)، وقد حاول مصطفى محمود تفسير القرأن بصورة تشبه إيراد الخواطر، وفي جزء من هذا الكتاب، قال دكتور مصطفى محمود أنه قد تأثر بكتابات الكاتب السوداني محمود محمد طه، وأهدى نسخة من هذا الكتاب بخط يده للأستاذ. . .

بدأ الأستاذ محمود، الرد على الدكتور مصطفى محمود بالإجابة على أسئلة وجهتها له، صحيفة الأضواء السودانية بخصوص كتاب مصطفى محمود هذا، وأعقب ذلك الرد بكتاب (القرآن ومصطفى محمود) أعلاه. . وقد أملا عليّ ذلك الكتاب، ففي إحدى الإجازات كنت أجلس إلى جواره على كرسى أمامه تربيزه مستديرة، وكان يملئ على وأنا أكتب ما يمليه، كان يتوخى الدقة في الكتابة، فمثلاً كان يطلب مني أن أفتح قوس ثم أكتب نص مصطفى محمود، ثم أقفل القوس، وأكتب عبارة إنتهى بعد القوس، وبعدها نكتب الرد، وكان يدقق كثيراً في صحة النص القرآني، فكلما وردت آية كنا نتأكد من صحتها من المصحف، ثم نكتبها. . . كان الكتاب الرد، ممتعًا، كان عندما يورد نص مصطفى محمود لا أرى فيه شيئا غريبًا، ولكن عندما يورد الأستاذ الرد على النص، أشعر بضعف رأي مصطفى محمود وقد إستطاع ذلك الكتاب أن يظهر الضعف الفكري لمصطفى محمود، فقد أكد الأستاذ أن الدين يقوم على الممارسة والتطبيق الفعلي في قوله: (وحقيقة القرأن لا تعرف عن طريق القراءة، وأنما تعرف عن طريق الممارسة في تقليد المعصوم عبادة وسلوكًا وهو ماسمي في أخريات الأيام "بالتصوف" . . . فهل عند مصطفى محمود قدم في التصوف؟ لا ولا كرامه!!)[3]

---

(3) أنظر كتاب (مصطفى محمود محاولة لفهم عصري للقرآن) بقلم محمود محمد طه.

وقد لقي ذلك الكتاب رواجًا كبيراً وإقبالاً من قبل المثقفين . . أذكر أن الأستاذ كان مهتمًا برأي مصطفى محمود في الكتاب الرد، وكان يطلب من الجمهوريين المسافرين إلى القاهرة، السعي لمقابلة مصطفى محمود، وقد قابله البعض فعلاً، وقد ظهر في تلك المقابلات، أنه غير مرتاح للرد عليه، وكان يقول : (الأستاذ محمود شتمني، وقال " أن ليس لي قدم في التصوف ")، وكان نتيجة لغضبه من الرد على كتابه، أن حذف من الطبعة الثانية لكتابه، الثناء على الأستاذ الذي كتبه في الطبعة الأولى والتي قال فيها أنه تأثر بكتابات الأستاذ محمود.

مساواة النساء مع الرجال :ـ

في العام 1970 أدخل موضوع تحسين أوضاع المرأة حيز التنفيذ، وقد طرح في إجتماعات الجمهوريين، مشروع للزواج، يقوم على أحسن نصوص الشريعة، يؤسس قانونًا لعلاقات الزواج بين النساء والرجال، تمنح فيه المرأة حقوق كرامة نظير تنازلها عن بعض الأشياء المادية، على غير المعهود في علاقات الزواج القائمة في المجتمع . . فقد كان من المتعارف عليه أن الرجل يطلب المرأة من أهلها، وبعد أن تتم الموافقة تبدأ إجراءات الزواج، بأن يدفع الرجل المهر، ويقوم بكل نفقات وإلتزامات الزواج، مثل ملابس الزوجة، وتقديم الشبكة والجهاز، ثم ينقلها إلى مكان الزوجية الذي يختاره وهي ليس لها أى دور في هذه الإجراءات، وإذا لم ترق له الزوجة يطلقها أو يتزوج عليها (مثنى وثلاث ورباع) وقد استغل البعض هذه الرخصه كلما يبلغ عدد الزوجات اربعه يتخلص من واحده بالطلاق ويتزوج اخرى وهكذا . . وقد ناقش الجمهوريون ذلك الوضع بتفصيل وكل قوانين الأحوال الشخصية، في جلسات عامة متعددة . . تمخضت الدراسة عن إصدار

كتيب ينظم هذه العلاقة، بحيث يكون للمرأة وجود في الزواج وحقوق كرامة، مقابل تنازلها عن المهر المادى وتوابعه من شيله وملابس الخ. . ويكون هناك مهر رمزى فقط للاحتفاظ بركن الشريعه حدد له مبلغ جنيها واحداً. فى مقابل هذا التنازل لها حق مشاركته فى العصمه (حق الطلاق عن طريق التفويض)، كما لها حق ألا يعدد عليها، ويتم ذلك إذا اتضح للحكمين والقاضي أنها متضررة، كما أن أمر حضانة الأطفال يمكن أن تكون للأفضل منهما. ضمنت هذه الحقوق في كتاب سمي (خطوة نحو الزواج في الإسلام) كل هذه الحقوق مدعمة من الشريعة (راجع كتاب الأحوال الشخصية لمعوض محمد مصطفى سرحان) وسيرد ذلك مفصلاً في الفصل الخامس، (مجتمع الأخوات الجمهوريات). و أكد الأستاذ محمود هذا المشروع نقدمه للمجتمع السوداني، وهو ليس زواج الجمهوريين، وإنما لعامة الشعب، وزواج الجمهوريين سيقوم على حقوق أكثر للمرأة، بان يكون لها حق العصمة بالآصالة(ليس عن طريق التفويض) وكذلك شرط عدم التعدد والشراكه فى كل مناشط الحياة، ضمنت هذه الحقوق فيما بعد في كتاب (تطوير شريعة الأحوال الشخصية).

1971 زيارة منطقة الهلالية والمندرة ومواقع الصادقاب:-

كما ورد سابقًا درج الأستاذ في كثير من الأحيان على زيارة االصالحين ورجال الدين الذين أدوا دوراً في نشر الدين، وخدمة المواطنين، في السودان، وفي هذا العام أعد الأستاذ وفدا كبيراً من الأخوات والأخوان، متجهًا نحو الشرق إلى منطقة الهلالية والمندرة، وهذه منطقة مشيخة الصادقاب فقد كانت الزيارة بدعوة كريمة، من الشيخ الطيب الشيخ على المرين، خليفة الصادقاب. وصل الوفد إلى

الهلالية في مساء الخميس 30 ديسمبر 1971، شمل الوفد عدداً كبيراً من الأخوات والأخوان الجمهوريين وكذلك عدداً أكبر من الأطفال، وقد كان في إستقبال الوفد الشيخ الطيب وعدد من رجالات الطريقة والأعيان، وفي مساء نفس اليوم عقدت ندوة كبيرة في مسيد الشيخ الطيب . .

نزل الأستاذ والأخوان في الجزء المخصص للرجال، في المسيد، كما نزلت الأخوات في الجزء من المنزل المخصص للنساء، حيث زوجة الشيخ وأسرته، وقد أحاطوا الوفد، بالكرم، والترحاب، في الصباح أقيمت حلقات الذكر والإنشاد شارك في هذه الجلسات، المنشدين الجمهوريين، إلى جانب المنشدين من أتباع الشيخ الطيب، ولا يفوتني أن أذكر أن مشاركة الأخوات في الوفد، قد أثارت الدهشة في البعض وإعجاب القليلين، وقد لاحظت أن مشاركة الأخوات قد شجعت بعض النسوة، من أهل المنطقة، لحضور حلقات الذكر والإنشاد، وقام الوفد بزيارة عدد من الأضرحة، منها ضريح الشيخ أب سقره، ومسيد خليفة الشيخ الطيب ود أب صباح، وفي كل هذه الزيارات كانت تعقد حلقات الذكر، والإنشاد، وتتجمع حولها جموع المواطنيين المتعلقين بالإنشاد. . بعد نهاية زيارة الهلالية تحرك الوفد في عصر ذلك اليوم 31 ديسمبر 1971، متجهًا إلى المندرة لزيارة ضريح الشيخ محمد إبن عبد الصادق الملقب بالهميم، شيخ الصادقاب، الذي كان يقيم في تلك المنطقة التي هجرها الناس الأن، ولم يبقى فيها غير الأضرحة والمزارات، وقد قال لي الأستاذ أنها كانت عامرة في عهده، وعهد من تبعوه من أبنائه، ولكن هجرها الناس حين داهمتهم ظروف الحياة القاسية، الجفاف وشح سبل العيش. . قضى الجمهوريون طوال الليل في تلك المنطقة

الخلوية، حيث نصبوا الخيام وأوقدوا النار، وقد خصص جانب من الخيام للأخوات، وجانب أخر للأخوان، كان ذلك في فصل الشتاء، وقد كان البرد شديداً فأوقدوا ناراً كبيرة وأقاموا حولها الذكر والإنشاد، وقد شارك معهم شيوخ ومنشدي تلك المنطقة، كما قاموا بزيارة كل الأضرحة والمقامات في المنطقة. .

لم ينم الأستاذ تلك الليلة وقضى معظم الوقت واقفًا ينظر في الأفق، ويتأمل ويتجول وكأنه يقوم بحراسة المعسكر بنفسه. . . عندما أخرج إليه من مخيم الأخوات يسألني عن أحوالهن، وعن الأطفال وكبار السن ثم يطلب مني العودة لمكاني لأخذ بعض الراحة، وكأنه يريدني أن أتركه منفرداً. . . معظم الناس كانوا يرتدون ملابس ثقيلة إلا الأستاذ، كان في ملابسه القطنية المعتادة، ولم يبدو عليه تأثير بالبرد، وقد كنت ألبس ملابس ثقيلة، مع ذلك كنت أشعر ببرد شديد فشكوت له فقال لي مازحاً: (كل شخص ربنا بديهو برد قدر ملابسه)، تلك حقيقة لاحظتها في المشردين الذين لامأوى لهم، ولا ملابس تقيهم البرد، ومع ذلك تراهم أصحاء. . . .

أقام الجميع صلاة الفجر جماعة، بعد أن قاموا ليلاً عامراً في ذلك المكان الهادي العالي الروحانية. . . في الصباح الباكر والشمس ترسل أشعتها على الأرض، أنزل الأخوان الخيام، وجمعوا كل الأمتعة والأشياء التي أتوا بها، وتوجه الوفد الكبير عائداً من حيث أتى. . بعد العودة أقيمت عدة جلسات عامرة، سمع فيها الأستاذ وجميع ممن لم يتمكنوا من المشاركة في الوفد، والذين شاركوا سمعوا فيها الإنطباعات المفصلة، عن زيارات مواقع الصادقاب، القادرية، والعركيين وقد خلصت تلك الجلسات إلى أن ماضي الصوفية الصادقين الذين هدوا الناس إلى

طريق الحق، وهم زاهدون في دنياهم، هم التاريخ الحقيقي للـدين، وهـم تـراث الفكر الديني الصحيح الذي تمثله اليوم الفكرة الجمهورية . .

1973 تدهور صحة مربيته ربي جود محمود:-

كما ورد في تـاريخ الآسـرة في الفـصل الأول، منـذ حيـاة والديـه، وبعـد وفاتهم، ظلت مربيته ربي جود رمزاً للأمومة، ومركز قوة في الأسرة، وقـد إمتـد سلطانها على الأسرة عبر ثلاثة أجيال، كما ظلت تباشـر جميـع الأعمـال المنزليـة لفترة طويلة من الزمن . . . كان يضع لها الأستاذ إعتباراً خاصاً ومكانة كبيرة، فقد كانت في طفولتهم تقوم برعايتهم وبأعمال الزراعة، وحصاد المحصول، وتكسب من ذلك المال الذي تنفقه عليهم، ولعل نوع هذا العمل أكسبها شخـصية قويـة، متميزة وقد قال عنها الأسـتاذ أنهـا في شـبابها كانـت قويـة وجميلـة، وتقـدم لهـا الكثيرون من الخطاب طلباً للزواج منها، ولكنها رفضتهم جميعاً لتتفرغ لتربيتهم، وقد حفظوا لها جميعاً هذا الإخلاص، وعندما هاجر الأبناء من القرية إلى المدينة، من أجل التعليم هاجرت معهم إلى المدينة، وكانت أيضا تنزل معهم إلى القريـة في موسم الزراعة كما كانوا يفعلون، لمواصلة الزراعة لجمع المال للعيش، والدراسة في مواسم الجفاف، وعندما دخل الأستاذ الحيـاة العمليـة، كانـت تقـوم بأعمـال الطهي وإدارة المنزل، وقد رافقته وزوجته، في أثناء فترة عمله كمهندس في السكة حديد إلى كل المدن التي سافر إليها . . . وكذلك سافرت معهم إلى آسمرا، حـين كان يعمل في مشروع على قدر الزراعي، وكان لها كثير من القصص الممتعة عـن أسفارها معه . . وعنـدما إسـتقر في أمـدرمان كـذلك إسـتقرت معـه وفي أواخـر الستينيات عندما كان يعمل مهندساً في المشاريع الزراعية، كان يتركها علـى رأس

الأسرة ترعى الجميع، وقد كنا وقتها طلبة في مراحل الأساس، أذكر أنه كلما يطرق الباب طارق، في منتصف الليل يشعر الجميع بالفزع، كانت تخرج هي لتعرف من الطارق، ففي تلك الفترة أيضًا كانت تقوم بدور الأم والأب في الأسرة، وكانت كل الأمهات يحفظن لها هذا الدور في الأسرة. . وكان الجميع من كبار السن والصغار يدعونها بلقب (أمي ربي جود)، ولا يستطيع أحد أن يذكر إسمها مجردًا وألا أبدي الأستاذ عدم رضائه عنه. . . كانت كما رأيناها طويلة ممتلئة القامة نوعًا ما، شديدة السمرة قوية البنية واضحة المعالم، جادة في طبعها نشطة تعمل طوال الوقت، قليلة الإبتسام ومع ذلك تتمتع بعاطفة عملية، تحمل الأطفال على يدها، وتجفف دموع كل من يبكي منهم، وتسرع لإنقاذ كل من يصاب بأذى، كانت في أوقات فراغها في العصريات تجلس لتناول القهوة التي تعدها بنفسها وأفراد الأسرة يلتفون حولها، تحكي لهم القصص والحكايات عن شبابها وطفولة الاستاذواخوته.

في مطلع السبعينيات أصبحت ربي جود أكثر عجزًا عن القيام بالأعمال التي كانت تقوم بها، وفي صباح يوم من عام 1973م، لم تستطع حمل كوب الشاي في يدها وعلم الأستاذ بذلك فهرع من غرفته مسرعًا إليها، ولاحظ أن هناك عجزًا في قدمها اليسرى، وفي نطقها أيضًا فأدرك أنها قد أصيبت بالشلل، ثم نقلها إلى المستشفى، حيث بقيت هناك عدة أيام، ووضعت تحت علاج متواصل، وقد أشرف الأستاد على ذلك العلاج بنفسه وأصبحت أمنا ربي جود في حاجة إلى الرعاية، أذكر أنه كان يرسلني في منتصف الليل لأرى هل هي نائمة أم مستيقظة، وكيف تنفسها وحركتها، وما إن كانت تشكو شيئًا، وكان يمر عليها يوميًا في

غرفتها ليطمئن عليها . . . ونسبة لوجود الأعداد من النساء في الجزء الأخر من المنزل، كان يتحرج كثيراً في الدخول إلى هناك فيقول لى : (إنى أريد أن أطمئن على حالها ولكني لا أريد ان أتكرر كثيراً على الغرف الداخلية، فقد تكون بعض الأخوات في أوقات راحتهن، أخبريهم بأني قادم لرؤية أمك ربي جود حتى تستعد الأخوات لمجيئه)، وهذه لمحة من حياته التى إتسمت بالأدب الجم والحياء، وإحترام حقوق الأخرين . . كان عندما يتفقدها وهي في سرير المرض، تدعو له بالخير وترجوه أن يكون إلى جوارها يوم وفاتها، وتقول له أني أريدك أن تضع رأسي في قبري وأن ترجع بالمشييعين لي من المقابر . .

في إحدى سفراتنا للمؤتمرات معه إلى ودمدني، إتصلوا بنا من المنزل في أمدرمان أن أمنا ربي جود قد تأثرت ببعض حريق في قدميها، وأخبر الأستاذ أعضاء الوفد بأنه سيعود إلى الخرطوم وأنا معه، للتأكد من صحة ربي جود ثم يعود، وفعلاً وصلنا الخرطوم، ووجدنا الحريق خفيفًا سببه بخور وضعته تحت قدميها، ونسبة لإعتلال صحتها لم تستطع الحراك عندما إشتعلت النار . في السنوات الأخيرة كانت إحدى الأخوات تقوم برعايتها، تنظم وجباتهاوتناولها الأدوية وتعطي تقريراً يوميًا عن صحتها للأستاذ .

الدعوة للثورة الثقافية وأهدافها:-

في بداية 1973 ركز الأستاذ على منهجية عودة الإسلام من جديد، لذا كان موضوع الحديث الذي يدور كثيراً في الجلسات، في فناء منزله، حول هذا الموضوع، وقد تقرر في خلاصة هذه الجلسات، أن الإسلام لا يعود إلا عن طريق الثورة الثقافية، بذا أصبح من أهم أعمال الفكر الجمهوري، توضيح معنى

ومقومات وأهداف ووسائل الثورة الثقافية، وقد بدأ الأستاذ تـأليف سلـسلة مـن الكتيبات تحت عنوان الثورة الثقافية، وقد كان يحتاج لبعض الوقت والفراغ الأمر الذى لايتوفر له في منزله، في الثـورة، نـسبة لكثـرة الـزوار، والمـشغوليات الـتي يقتضيها وجوده في العاصمة، لذا قـرر الـسفر إلى قريـة أربجـى التابعـة إلى ريفـي الحصاحيصا، وقضي عدة أيام في منزل أحد المعلمين الجمهوريين من اقاربه، وقد تمكن في هذه الفتره من إخراج كتابي (تعلموا كيف تصلون) ثم (الثـورة الثقافيـة) وهما كتابان في أدق معاني السلوك اليومي، وتطبيق الفكر في الواقع وقد كان يقوم بالتملية على أسماء محمود، في تلك الفترة كنت قد بـدأت العمـل في الحكومـات المحلية في العاصمة، وكنت يوميًا عند نهاية العمل اسافر إلى أربجي، ثـم أعـود في الصباح الباكر إلى الخرطوم، إلى أن عاد الأستاذ إلى الخرطوم. . أيضا في هذا العام أصدر كتاب (الماركسيه فى الميزان)، وهو عبارة عـن مـتن محاضـرة ألقاهـا بـدار الحزب الجمهوري بالموردة في يوم الأربعاء 22مايو 1968 تم في هذا الكتاب تقييم للماركسية ما لها وما عليها، أوضح فيه سلبيات وإيجابيات الفكر الماركسي، ثـم رفع البديل المتكامل للماركسية، وهو الدعوة الواعية للإسلام والـتي تقـوم علـى تطبيق الإشتراكية، والديمقراطية، في جهاز واحد، لتحقيق كرامة الإنسان وربطـه بالغيب (الدنيا مطية الأخرة).

فى هذا العام أيضًا تم إعداد وطبع كتاب (الإسلام وإنسانية القرن العشرين) وهو عبارة عن متن محاضرة ألقيت على طلبة مدرسة الأحفاد الثانوية العليا للبنين، وهذا الكتاب يوضح المستوى الذى يقدم به الإسـلام لإنـسانية القـرن العـشرين، ليحوي حلا لمشاكلها، أيضًا ظهـر للقـراء الكتـاب الأول مـن سلـسلة (رسـائل

ومقالات) وهو عبارة عن مجموعة خطابات وصلته من بعض الأصدقاء، يتساءلون فيها عن ماهية الدعوة الإسلامية الجديدة، وعن طرق البعث الإسلامي المرتقب ثم بعض الأسئلة الفكرية والثقافية، التي تتطرق إلى مواضيع تعالج مشاكل الفكر البشري المعاصر كما شملت هذه السلسلة إجاباته على العديد من الأسئله.

في عام 1974 أصدر كتاب (الدعوة الإسلامية الجديدة)، وهو عبارة عن محاضرة ألقاها بنادي عمال السكة حديد ببورتسودان في يوم 28/ 5/ 1974 وقد أساء المعارضون فهم عبارة الدعوة الإسلامية الحديدة وزعموا أنها تعني إسلام جديد وواضح من السياق إن كلمة (الجديدة) صفة للدعوة وليست للإسلام فهي تعني أنها دعوة غير دعوة الأخوان المسلمين وغير دعوة انصار السنة والطائفيين، هي أسلوب جديد لبعث الإسلام وقد شرح الأستاذ في هذا الكتاب محتويات فكرته، كما شرح اوجه الجدة فيها وإختلافها عن الدعوات السلفية للإسلام.

في هذا العام أيضا صدر كتابه (الدين والتنمية الإجتماعية)، وهو عبارة عن متن محاضرة، سبق أن ألقيت على طلبة جامعة أمدرمان الإسلامية وذلك بمبانيها في يوم 6 اكتوبر 1974 وكان أبرز مافي هذا الكتاب، التركيز على تنمية الفرد، كما أكد أن أكبر إستثمار هو الإنسان، ثم شرح التنمية الإجتماعية بقوله: (التنمية هي الزيادة، كمًا، وكيفًا . . ولما كان الإنسان هو هدف كل مسعى إلى تطوير الحياة، فإن التنمية الإجتماعية إنما تعني زيادة المورد البشري وتحسين نوعه ـ تنمية الإنسان ـ وتنمية الإنسان إنما تكون بتنمية موهبتيه الأساسيتين ـ العقل والقلب . .)

بعد منتصف السبعينيات، وجهت الجمعيه الآدبية لطالبات الخرطوم الثانوية طلبًا للأستاذ ليحاضرهن في موضوع المرأة وقد اقترحت على الأستاذ ان اذهب مكانه للندوة فهن طالبات ثانوية فقط ويمكن ان اقوم بذلك العمل وفعلاً ذهبت وبعد بداية الندوة حضر كومر من البوليس وكانوا يعتقدون أن المحاضر هو الأستاذ وعندما وجدوني أنا إنصرف البوليس تلك كانت مؤامرة، فشلت بين دهشتي وإستغراب بعض الطالبات وكان ذلك كمين سيئ الإخراج.

1974 قضية بورتسودان ومواجهة القضاء الشرعي:-

1974 كان عامًا حافلاً بالنشاط، فقد قامت فيه قضية بورتسودان الشهيرة وهي قضية رفعها قاضي مديرية البحر الأحمر (دائرة الأحوال الشخصية) الشيخ إبراهيم جاد الله ضد الجمهوريين. وقد كان من أسباب تلك القضية، أن أقام الأخوان الجمهوريون معرضًا للفكر الجمهوري في نادي الخرجين ببورتسودان، بعد أن أخذوا تصديقًا بإقامته من السلطات. . قام المعرض في الفترة من 20 إلى 26 أبريل 1974. بدأت القضية بفتح بلاغ ضد القائمين على المعرض، من الأخوان ثم أضيف الأستاذ مؤخراً للبلاغ. فتح البلاغ تحت المادة 437 الإساءة وإشانة السمعة. موضوع القضية هو مادة المعرض التي إحتوت على منشورات، ومقالات، ومقتطفات، من بعض مؤلفات الأستاذ محمود وكتاباته في مواجهة محكمة الردة، التي حكمت بردته عن الإسلام في عام 1968م. تضمنت تلك المقالات والمنشورات، التي كتبت علي أوراق بوستر، وعرضت في المعرض، مواجهة قوية لرجال القضاء الشرعي وعلى المحاكم التي سخرها الإستعمار لخدمة أغراضه. فتح البلاغ في يوم 26/ 4/ 1974 وإنعقدت

المحكمة في يوم 2/ 6/ 1975 وإستمرت إلى 12/ 6/ 1975 . في بداية الجلسة تلي المتحري على المحكمة العبارات التالية من منشور الأستاذ (محكمة الردة ماقبلها وما بعدها) : (نحن نريد أن تمتد يد التغيير إلى إزالة القضاة الشرعيين من القضاء ، وبالرغم من التكوين الجديد للمحاكم وتحويل المحاكم الشرعية إلى دوائر للإحوال الشخصية ، فنحن نريد أكثر من ذلك ، نريد أن تسحب السلطة من القضاة الشرعيين ، فأنهم أذل من أن يؤتمنوا على الأحوال الشخصية ، لأنها أخص وأدق القوانيين لإرتباطها بحياة الأزواج والزوجات والأطفال ، وفي كلمة واحدة العرض) ، وتلي المتحري أيضًا منشور الأستاذ (مهزلة القضاة الشرعيين) : وجاء فيه (أما أمركم لي بالتوبة عن جميع أقوالي ، فإنكم أذل وأخس من أن تطمعوا فيّ . وأما إعلانكم ردتي عن الإسلام فما أعلنتم به غير جهلكم الشنيع بالإسلام ، وسيرى الشعب ذلك مفصلاً في حينه . هل تريدون الحق أيها القضاة الشرعيون؟؟ إذن فأسمعوا!! أنكم أخر من يتحدث عن الإسلام فقد أفنيتم شبابكم في التمسح بأعتاب السلطة من الحكام الإنجليز ، والحكام العسكريين ، فأريحوا الإسلام ، وأريحوا الناس ، من هذه الغثاثة) وقد واصل المنشور : (متى عرف القضاة الشرعيون رجولة الرجال ، وعزة الأحرار ، وصمود أصحاب الأفكار ؟ إن القضاة الشرعيين لايعرفون حقيقة أنفسهم ، وقد يكون من مصلحتهم ومصلحة هذا البلد الذي نعزه ، ومن مصلحة الدعوة التي نفديها أن نتطوع نحن ونوظف أقلامنا ومنبرنًا لكشف هذه الحقيقة لشعبنا العزيز) . . ثم إختصر المتحري أيضًا من محكمة الردة حديث الأستاذ عن المحاكم الشرعية التي جاء فيها : (فهي في حقيقة أمرها محاكم ملية لأصحاب الملة المقهورة بالحكم الإستعماري ، كونت 1892 بمنشور من الحاكم العام البريطاني ، وحددت إختصاصاتها في الأحوال الشخصية من

طلاق، وزواج، ونفقة. ويملك الحاكم العام، نقد أي حكم من أحكامها كما حدث عدة مرات) إنتهى . . وقد ذهب الجمهوريون إلى إثبات حقيقة كل ما ورد في أقوالهم عن القضاة الشرعيين. وقد إستعدوا إستعداداً كبيراً لهذه القضية حيث جمعوا الكثير من المعلومات عن نشأة القضاء الشرعى في السودان، ورصدت تبعية القضاء الشرعيون للإستعمار وللحكام، على مر العصور.

في 1975 بعد أن أضيف الأستاذ إلى البلاغ، الذي قدمه قاضي دائرة الأحوال الشخصية، المقيم، الشيخ إبراهيم جاد الله، بخصوص المنشورات التي عرضت في معرض الفكر الجمهوري، والتي كانت تنتقد القضاء الشرعي، قام الأستاذ على رأس وفد كبير إلى مدينة بورتسودان لحضور جلسات تلك المحكمة، حيث إستأجر عربتين في القطار، عربة للأخوان وعربة للأخوات، وعند وصول الوفد إلى بورتسودان أقام الأستاذ مع الأخوات في منزل أحد الجمهوريين، وتقسم الأخوان على منازل الأخوان الجمهوريين في المدينة.

إلى جانب حضور جلسات المحكمة، أقام وفد الأخوات والأخوان في بورتسودان حركة فكرية قوية، أحدثت تحولا فكريًا كبيراً. . في أولى الجلسات حاول البعض في إدارة المحكمة، منع الأخوات الجمهوريات من دخول القاعة، وتحت إصرار الأستاذ سمح بدخول الأخوات لحضور الجلسات، وقد كان ذلك مظهراً جديداً على المدينة، حشد السلفيون لتلك المحكمة حشداً كبيراً.

كان إتجاه الأستاذ في المحكمة هو إثبات صحة ماكتبه في تلك المنشورات، أولها تبعية القضاة الشرعيين للحكام، وإخضاع المواطنين للسلطان، ثم تسخير

النصوص وإستخراج الفتاوي من الدين، لخدمة أهداف الحكومات، وقد أثبت كل ذلك مستنداً على البراهين، والأدلة من النشرات، والمجلات الدينية والثقافية التابعة، للأزهر والجهات الدينية، كما أثبت كساوي الشرف التي كانت تمنحها حكومة المستعمر للقضاة الشرعيين، من (الغازيتة)، حيث ورد في الغازيتة: (قد تعطف حضرة صاحب المعالي الحاكم العام، فأنعم على العلماء، والمشايخ، والأعيان، المذكورين بعد بكساوي دينية، وكساوي حزامات شرف، تقديراً لخدماتهم الجليلة للحكومة)، وقد تلي الأستاذ على المحكمة قائمة أسماء القضاة الشرعيين الذين منحت لهم تلك الكساوي، كما اثبت الأستاذ أنه لم يكن للقضاة الشرعيين أي دور في مقاومة الإستعمار، وطلب الأستاذ من القاضي الشاكي أن يذكر أسم أي من القضاة قاوم الإستعمار، وقد عجز الشاكي أن ينفي تلك التهم او يثبت أي دور للقضاة الشرعيين في مواجهة الإستعمار. بل ذهب الجمهوريون لفضح ممارسات بعض القضاة في الخروج عن الشرع، في أحكامهم لخدمة أغراضهم الشخصية، وقد طلب الجمهوريون جلسة خاصة مقفولة مع القاضي الشاكي، عن مدى إنطباق سلوكه الشخصي مع الشريعة في قضية محدده سُئل عنها؟؟ ومن تلك الجلسة إنطلقت الشائعات في المدينة عن نوع الأسئلة التي قدمها الأستاذ للقاضي الشاكي، وبدأ البعض يتخيلون أنواعًا مختلفة من الأسئلة، وزاد الإقبال على حضور الجلسات وقد كانت الأسئلة والحوار مشوقًا، وفي كل جلسة يتضح ضعف القضاة الشرعيين، وكذلك ضعف محاميهم في تلك المحكمة.

كنا نعود من المحكمة منتشين، وكان الأستاذ يقول لنا جودوا صلاة الثلث الأخير من الليل، فإن فرصة هزيمتكم لخصومكم، إنما تقوم بقربكم من الله، وتجويد الصلاة، وقد كان فعلاً لذلك العمل نتائج ملموسة، أذكر في إحدى جلسات

المحكمة، تقدم محامي الشاكي بطلب للمحكمة، بإيقاف نشر وتوزيع كتب الفكر الجمهوري، مستنداً على مادة بعينها تلى رقمها على المحكمة، من أحد كتب القانون وقال أن تلك المادة تؤيد منع الكتب. رفع القاضي الجلسة إلى الغد، للنظر في طلب المحامي. . وقد شعر جميعنا بقلق شديد في تلك اللحظات، وكنا نخشى أمر وقف نشر الكتب، فقد كانت الكتب هي وسيلتنا الوحيدة لشرح قضيتنا للجمهور، بعد الإنصراف من المحكمة طلب منا الأستاذ تجويد صلاة الثلث الأخير من الليل، وكان يقول لنا دائمًا أن الفرقة بينكم وبين خصومكم في صلاة الثلث الأخير من الليل، وكان كثيراً ما يقول لنا (جودوا الصلاة المطلوب ما بنوم) وقد أقمنا في ذلك اليوم ليلاً طويلاً متضرعين إلى الله. .

في صبيحة الغد عدنا إلى المحكمة، بدأ القاضي الجلسة، برفض طلب المحامي لوقف نشر الكتب، وأحضر الكتاب الذى ذكر المحامي أن فيه المادة التى تمنع نشر الكتب، وقال له القاضي أن المادة التي ذكرتها، لاعلاقة لها بالكتب فتلى المادة التي إستند عليها المحامي، وإتضح أنها تخص البوفيهات والمطاعم العامة!! فضحك جميع الحاضرون في قاعة المحكمة، وإنفرج ضيقنا، وفي نفس الوقت إنكشف للناس ضعف المعارضة الدينية والأخلاقية القائمة ضد الفكر الجمهوري.

أحدث الأخوان الجمهوريون حركة فكرية قوية في مدينة بورتسودان، فكانوا أثناء النهار يحتشدون في قاعة المحكمة، وفي المساء بنتشرون في أنحاء المدينة المختلفة أخوات وأخوانًا يحملون الكتب، يحدثون المواطنين عن الفكر الجمهوري، ويشرحون القضية، وكان إقبال المواطنين كبيراً على الكتب، وعلى الموضوعات، التي كانت تطرح للنقاش، بعد كل جلسة كان الناس ينتشرون، في

الأماكن العامة، يتناقلون أخبار القضية والأسئلة التي وجهت للقاضي الشاكي، وكيف أن إجاباته كانت ضعيفة، وقد كان موقف القاضي الشاكي ضعيفًا حقًا، للحد الذي إنزعجت له السلطات في الخرطوم، وكان إنزعاج السلطات القضائية أكبر لسير القضية، فقد كان كلما تتقدم، الجلسات، تكشف عن المزيد من ضعف القاضي الشرعي الشاكي، وموقف ومخازي القضاة الشرعيين، وفي الجانب الأخر قوة فكر الأستاذ محمود، ومقدرة الفكر الجمهوري عند هذا الحد، حاول النائب العام التدخل لسحب القضية، وسرعان ما أصدر الجمهوريون كتابًا ضد النائب العام تحت عنوان (النائب العام والتدخل في قضية بورتسودان)، ثم تبعه كتاب آخر(النائب العام وقضية بورتسودان ومفترق الطرق). . وبعد ذلك رأى القضاة الشرعيون عدم جدوى تلك القضية لماجرته عليهم من حرج، فقاموا بسحبها، وقد أخرج الجمهوريون تحت إشراف الأستاذ كتابًا شمل كل تطورات القضية تحت عنوان (قضية بورتسودان البداية والنهاية)، صدر هذا الكتاب بعد أن تقدم القاضي الشاكي بتنازله عن الفضية، وذلك بعد الهزيمة التي مُني بها هو وجهاز القضاء الشرعي الذي وقف يمثله أمام المحكمة، فتخلى عنه القضاة الشرعيون الذين فوضوه لرفع القضية، وذلك بعد إنسحاب ممثل النائب العام الذي تولي الإتهام. . لخص كتاب (قضية بورتسودان البداية والنهاية) القضية ووضع المعلومات والحقائق كاملة أمام المواطنين في بورتسودان والشعب السوداني عامة، الذي تابع القضية بإهتمام كبير أثناء سيرها. . القضية في مجملها هي حلقة من سلسلة تآمر المعارضة السلفية على حياة الأستاذ محمود، في حين كان غرض الأستاذ من الإستمرار في القضية، هو توعية الشعب وكشف ممارسات الفضاة الشرعيين الذين تآمروا عليه، ثم تبرئة الإسلام، من ممارسات الذين يدعون الدين

بلا دين، وقد أورد الأستاذ أمام المحكمة كل الأدلة والدوافع على مقصده، من أصل الدين، ومن غازيتة جمهورية السودان، وكل الحوادث في تاريخ جهاز القضاء الشرعي، وقد واجههم بصدقه المعهود، قائلا: (أنا مسئول أمام الله. . وأمام الناس الملتفين حولي ومسئول أمام شعبي. . بعدين المسئولية القانونية تجيء في الأخر).

الأيادي الخفية وراء قضية بورتسودان:-

بداية القضية، كما ورد في الصفحات السابقة، قيام معرض الفكر الجمهوري في بورتسودان 1974، الذي إشتمل على ثلاثة لوحات تضمنت، أجزاء من مواجهة الأستاذ محمود لقضاة محكمة الردة 1968 . . في وقت تلك المحكمة وعد القاضي عبد الماجد أبوقصيصة مقاضاة الأستاذ بسببها ولم يفعل.

في 26/ 4/ 1974 فتح قاضي الأحوال الشخصية ببورتسودان أبراهيم جاد الله، بلاغًا ضد المسئولين عن ذلك المعرض، و إدعى أنه يمثل القضاة الشرعيين.

أسغرقت إجراءات القضية مايقرب من الأربعة عشر شهراً حيث أعيدت أوراق القضية بعد تلك المدة من الخرطوم لبورتسودان. بدأت الجلسة الأولى في يوم 2/ 6/ 1974، شملت القضية عشر جلسات. . كان واضحاً للأستاذ أبعاد تلك المؤامرة التي أدخلت في إطار القانون فأعلن مسئوليته التامة عن كل ماورد، وقدم من المعلومات ما أثبت به أن كل ما قاله حقائق وليس قذفاً، وقال أن القضاة الشرعيين: (سيخرجون من هذه القضية مجرحين أكثر).

تولى الأستاذ وإثنأن من الجمهوريين الدفاع عن أنفسهم، حين وقف محـامي جمهوري مدافعًا عن بقية المتهمين. . أستمرت المحكمة حتى يوم 12/ 6/ 1975 وزعت الكتب والمنشورات ووقائع المحكمة، بالآلاف للجمهـور في بورتـسودان وعديد المدن، وتدافع جمهور بورتسودان على المحكمة بصورة إضطرت الجهـات الأمنية لإتخاذ بعض التحفظات اللازمة. .

أثبتت هذه القضية تواطوء الشيخ الجزولـي، رئـيس المحكمـة العليـا ضـد الأستاذ في هذه القضية، إذ اثبت الشاكي أنـه مفـوض مـن قبلـه بالمقاضـاة بأسـم القضاة الشرعيين في كل السودان. . بعد سير المحكمة الذي إنكشف فيـه ضـعف القضاة الشرعيين في شخص ذلك القاضي، دخل التآمر مرحلة جديدة، وحاولوا أن يتولي النائب العام تمثيل الإتهام لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فأضافوا ذلـك بإضـافة المادتين 105، 106 إثارة الكراهية ضد الدولة، والمحاكمة بموجب هاتين المادتين تقتضي إذنًا من رئيس الجمهورية، وهنا تصدى الأسـتاذ للنائـب العـام بكـشف تآمره، وصدر كتيب يوضح أسباب تدخل النائب العام تحت عنوان (النائب العام والتدخل في قضية بورتسودان)، وفعلاً صدر الأذن وبعد حين إستدركت السلطة التنفيذية خطورة الموقف ورأت أن لاتزج بنفسها في ذلك الصراع، فأمرت النائب العام بالإنسحاب من القضية، فكتب النائب العام تنازله عـن القـضية وقـال " أن تدخله كان عن طريق الخطأ"، فإنسحب الشاكي وقال: أنه لم يكـن يـدافع عـن نفسه فقط، وإنما عن القضاة الشرعين وكتب خطابًا بالتنازل عن القـضية بتـاريخ 25/ 2/ 1976، على أثر ذلك التنازل أصدر قاضي المحكمة السيد عثمان مكـي القرار التالي:

(هذا البلاغ فتح بتاريخ 26/ 4/ 1974 تحت المادتين 437 ، 166 من قانون العقوبات، على أثر شكوى من شاهد الإتهام الثاني، رفعت للسيد القاضي المقيم. . أخيراً وكيل نيابة مديرية البحر الأحمر، بتوجيه من السيد النائب العام، تقدم بطلب 1بإضافة المادتين 105 ، 106 من قانون العقوبات السوداني، وتوجيه التهمة تحته للمتهمين، بعد الطلب، وأرجأت الجلسة إلى حين الحصول على الإذن اللازم من السيد رئيس الجمهورية، وقد وصل الأذن اللازم وتحددت جلسة للسير في بقية الإجراءات. قبل البدء في بقية الإجراءات، سحب الإذن بتقديم المتهمين للمحاكمة تحت المواد 105 ، 106 من قانون العقوبات، وتقدم النائب العام بطلب بإسقاط المادتين المذكورتين من البلاغ، وذلك عملاً بنص المادة 231 (أ) من قانون الإجراءات الجنائية. بعد ذلك تقدم الشاكي بتنازله من الشكوى ـ مرفق ـ وعليه فإن المحكمة تقرر حفظ البلاغ تحت المادة 437 من قانون العقوبات للتنازل. . أما فيما يتعلق بالمادة (166) من قانون العقوبات فإنها تنص على ما يلي: " كل من وجه قصداً أي إهانة إلى أي موظف عام، أثناء مباشرته إجراءات قضائية في أي مرحلة من مراحلها. . أو قاطعه قصداً أثناء ذلك، يعاقب. . " ، الشكوي تقول أن المتهمين قد أساءوا لقضاة دوائر الأحوال الشخصية، بإنتقاد سلوكهم. ولم يتطرق المتهمون في هجومهم على قضاة دوائر الأحوال الشخصية، إلى الإجراءات القضائية التي يباشرونها خاصة بالنسبة للشاكي، والقضاة الذين يرأسهم الشاكي، ولو أن هناك تعرض لإجراءات قضائية تمت أمام محاكم عليا، فإن الشاكي لم يحصل على الإذن اللازم من تلك المحاكم، لتقديم هذه الشكوى، وعليه فإن الوقائع لاتشكل تهمة مبدئية تحت المادة 166 من قانون العقوبات، وعليه قررت المحكمة حفظ البلاغ، وإخلاء سبيل المتهمين.

توقيع : عثمان مكي عثمان ـ قاضي جنايات بورتسودان ـ) . وصدقت عبارة الإستاذ : (سيخرجوا منها مجرحين أكثر . .) .

بعد قفل القضية ، صدر كتاب قضية بورتسودان البداية والنهاية ، ووثق مجريات الأحداث ، ووضح تاريخ محاكم القضاء الشرعي ، الذي كونه الإستعمار ، ليكون مسؤلاً عن قضايا الزواج والطلاق والميراث ، إذ أن هذه قضايا تخص الملل ، والفرق الدينية المختلفة ، التي كان يحكمها الإنجليز ، كسائر مجموعات الأديان الأخرى مثل اليهود ، وغيرهم بحيث يكون الأمر النهائي بيد المستعمر ، كما لم يكن لهذه المحاكم سلطة التنفيذ . . ثم أخرج الجمهوريون بإشراف الأستاذ أيضا ، وقائع تلك المحكمة في ثمانية كتيبات ، نشرت بأعداد كبيرة وسط الشعب ، الذي كان يتلقاها بشقف شديد ، ويسأل عن الجديد وقد أضافت هذه الكتب ، وعيًا قانونيًا جديداً لكل من أطلع عليها . .

بعد تلك القضية ظهرت قوة الفكر الجمهوري للسودابين ، ، وزاد عدد الملتزمين به ، خاصة في مدينة بورتسودان ، التي شهدت أرضها وقائع القضية . وكان الناس يبالغون في الثناء على الأستاذ ، وعلى الجمهوريين ، ويضيفون عبارات من عندهم يقولون ، أن الأستاذ قد قالها في المحكمة ، مع أن الأستاذ لم يقلها ، مثلاً قولهم أن القاضي قد سأل الأستاذ : (إسم الكريم منو؟) ، قالوا رد الأستاذ عليه بقوله : (الكريم الله) ، علق الأستاذ على هذه الحادثة بقوله : (سيجئ زمان يبالغ فيه الناس في الثناء على الجمهوريين كما بالغوا في ذمهم من قبل) ، وكان يعنى أنه كلما عرف الناس الفكر الجمهوري ، كلما تبينت لهم قيمته الحقيقيه ، وتبين لهم ما كانوا يجهلونه من إيجابيات الجمهوريين ، فيبالغون في مدحهم كما بالغوا في ذمهم .

كان الأستاذ يدير حركة تنظيم مثل هذه الوفود، وتحرك (الأتيام) الكبيرة من الأخوات والأخوان، الجمهوريين بنفسه، وبدقة وحذر تربـوي شـديدين، إذ أن كل المرافقين للوفد من الرجال، يوزعون على منازل الأخوان غير المتزوجين، ثم كبار السن ينزلون ضيوفًا على منازل الأخوان التي بها أسر، حتى تسهل رعايتهم أما الأخوات فيكن دائمًا في المنزلة التي يكون الأستاذ، وكنـت أنظـم أوضـاعهن تحت إشرافه، وكان هذا العمل يـتم بدقـة وإهتمـام شـديدين مـن جانبـه، ومـن جانبي، وكان دائمًا شديد المتابعة، وشديد التوجيه لي، وكان الجميـع يحتملـون كل الصعاب بصبر شديد ويستمتعون بذلك.

كانت الحركة تمول من عائد الكتب، وكان الطابع العام هو التقشف، وقلة الصرف، مع قلة المنام وكثرة صلاة الثلث الأخير من الليل وهكذا كانت الأجواء مشبعة بالروح والهمة العالية..

1974 حريق معرض الفكر الجمهوري بمدينة ودمدني :-

بعد الإنتصار الكبير الذي حققه الأستاذ في قضية بورتـسودان، إزداد حقـد المعارضة السلفية عليه، وقد كان لهؤلاء بعض الأيادي داخل السلطة، يستطيعون تحريكها لمحاصرة الحركة الجمهورية وتعويقها.. ففـي هـذا العـام 1974 توجـه الأستاذ على رأس وفد كبير إلى مدينة ودمدني، لاقامة حركة فكرية فيها.

ودمدنى من أعرق المدن في السودان التي بدأ فيها إنتشار الفكر الجمهوري، وإهتمام الأستاذ بها جاء من أنها وثيقة الصلة بالفكرة الجمهورية منذ وقت بعيد، ففي 1946 قام اول مؤتمر للحزب الجمهوري في ود مدني، كما أنها كانت ملجأ

للفكرة في مراحل معينة قبل الإستقلال وبعده، في الأربعينات قاومت الحركة الجمهورية الأستعمار ودخل الأستاذ محمود سجن كوبر بالخرطوم بحري، وحينها كان أمين صديق السكرتير العام للحزب الجمهوري يعمل في الخرطوم، أخذ هو وبعض الأخوان خارج السجن ينشرون مقاومة الأستاذ للإستعمار وحاله داخل السجن للجمهور في المقاهي والأماكن العامة، مثل عدم إطاعة الأوامر داخل السجن وعدم الوقوف لضباط السجن وكأنما يقول للمستعمر (غادروا بلادنا) وقد فهم المستعمر تلك الرسالة. وفي عام 1947 نقل امين صديق إلى مدني وكأنما نقلت الدعوة فكريًا إلى مدني، ففي 1946 قام أول مؤتمر للحزب الجمهوري في مدني. خرج الأستاذ من السجن في 1948 وإعتكف في رفاعة حتى 1951 حيث خرج من الخلوة، وعاودت الفكرة الجمهورية النشاط من جديد ففي أكتوبر 1951 بدأت الدعوة بالندوات والمحاضرات في الأندية والتي كانت مفتوحة للجمهور.

محاصرة النشاط الجمهوري وتحول الندوات إلى المنازل:

في مطلع الستينات فصل بعض الطلبة الجمهوريين من معهد أمدرمان العلمي بحجة أنهم يتبعون الأستاذ محمود وهو لايصلي كما زعموا، وبدأت المعارضة بتشويه الفكر الجمهوري في الصحف وطالب بعض العلماء الحكومة بمنع الأستاذ من المحاضرات بحجة أن الدعوة بعيدة عن الدين وقد تنتج عنها بعض المشاكل، لم تواجه السلطة الأستاذ محمود ولكن كلما يعلن لمحاضرة، يذهب الأستاذ ويجد أن البوليس قد أخرج الجمهور وحاصر النادي. . مواجهة لهذا الموقف إتجه الأستاذ لندوات المنازل وكان لود مدني الريادة في هذا المجال وقد

نشأت صداقة كبيرة بين الفكرة وجمهور ودمدني، وكانت المحاضرات تقام في منازل عدد من القياديين الجمهوريين في المدينة وبذلك أصبحت ودمدني من أكبر مدن السودان صداقة للفكرة الجمهورية، وقد لاحظ الاستاذ انه بعد أن تحولت الحركة للخرطوم تقوقعت ود مدني وقرر إنعاش الحركة في مدني ولذلك إكرامًا لهذه المدينة أُقيم أكبر معرض للفكرة الجمهوري في يوليو 1974 بنادي الخريجين بود مدني، وقد أُعلن مع هذا المعرض عن قيام عدد من المحاضرات، يلقيها الأستاذ بنفسه. . وكان أسلوب المعارض الفكرية هو نهج جديد إنتهجه الفكر الجمهوري كوسيلة من وسائل نشر الدعوة وسط المواطنين، حيث تعرض مقتطفات من مؤلفات الأستاذ محمود، ونشراته، وكتاباته في الصحف، وشعارات الفكر الجمهوري، والصور الفوتغرافية للحركة في الأسواق والجامعات والطرقات والأماكن العامة، التي تم إلتقاطها أثناء أركان النقاش، تكتب بخط كبير وجميل على أوراق بوستر، بذل فيها الفنانون الجمهوريون مجهوداً كبيراً، فتتعانق الفكر بالفن، وأعطي التصميم الفني المعنى المطلوب، وأدخل الجمال في نفوس الناس وفي المكان.

كان إفتتاح هذا المعرض في يوم 13 يوليو 1974 وقبل أن يتحرك الأستاذ إلى نادي الخريجين، وصل عدد من رجال البوليس بتوجيه من مدير البوليس السيد / مالك أمين نابري، لمنع إقامة المحاضرة التي كان سيفتتح الأستاذ بها المعرض، وبالرغم من الأمر الذي وصل من السلطة بعدم إقامة المحاضرة، أصر الأستاذ على إقامتها، وقد توافد الجمهوريون وسكان المدينة على النادي، وعند بداية المحاضرة دخل بعض رجال البوليس، ثم وصلت قوة أخرى، أطلقت الغاز

المسيل للدموع في أرجاء النادي، مما أفزع الجمهور، فعلا صياحهم وصياح النساء والأطفال، وقد ظنوا أن البوليس قد أطلق عليهم الرصاص. . وتدافعنا نحن بنات الأسرة، وبعض الجمهوريات والأخوان، نحو المنصة، حيث يقف الأستاذ ثابتًا في مكانه، وأخذ يوجهنا، بالجلوس بعباراته: (أجلس، أجلس، أجلس)، وتدافعنا نجلس حوله والبعض يصيح (ابوي، ابوي)، كانت درجة الإنزعاج كبيرة، وبدأ الكثيرون في الفرار من النادي بكل الإتجاهات. . وقفز بعضهم فوق الأسوار العالية، وعلى المنازل المجاورة.

في حين تحرك كل إنسان من موقعه، ظل الأستاذ في مكانه، لايتحرك بل يوجه المنزعجيين إلى الموقف الصحيح، ويطلب منهم الجلوس حتي لايؤذيهم الغاز، ويطمئن الخائفين، كنت أنظر في وجهه بتركيز، لم يبدُ عليه أي إنزعاج، هادئا وعاديا كأنه كان يعلم ماسيحدث سلفا، وجهه كان يبعث الأمن والثبات في قلبي، وقلب كل من ينظر إليه. كان هناك الكثيرون ممن أصيبوا بجروح من بينهم شقيقته كلتوم التي نقلت إلى المستشفى. أخذ الأستاذ يتابع ويوجه بأخذ المصابين إلى المستشفى للعلاج، وقد ظل في النادى حتى خلا تمامًا من كل الناس، كنا إلى جانبه بعد أن تأكد من ترتيب الأوضاع، إنصرفنا إلى منزلتنا، كل هذا العمل تم بتدبير من مدير البولس في مدني، مالك أمين نابري، الذي عرف بعدائه للفكر الجمهوري.

خلال أيام المعرض، وفي يوم الجمعة 21 يوليو 1974 وبعد صلاة الجمعة، حرض إمام جامع حي دردق بمدني المصلين البسطاء والمعارضين للفكر الجمهوري، ضد المعرض وضد الفكر الجمهوري فتحركت جموعهم بمظاهرة نحو

المعرض والغريب في الأمر أنه لم يتحرك معهم !! ، وتوجهوا نحو النادي ، مع مجموعة من جامع عثمان زياد وجامع البوشي ، وقاموا بإشعال النار في نادي الخرجين. وكان ذلك أكبر عمل عدائي وتخريبي واجهته الفكرة الجمهورية ، في الوقت الذي يدعو فيه الأستاذ للإسلام ، بالتي هي أحسن على نهج الآية الكريمة ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (سورة النحل).

فتح بلاغ جنائي ، ضد الذين شوهدوا في المظاهرة ، وضد الذين أشعلوا الحريق وظلت القضية معلقة لم تحسم مما يؤخذ ضد القضاء السوداني في العدالة. في نفس الوقت كتب الأستاذ خطابًا رقيقًا ، لرئيس نادي الخريجين ، الذي أقيم فيه المعرض ، يمجد فيه تاريخ النادي ، ويبشرهم بالخير في المستقبل. أورد نصه فيما يلي :-

(حضرة الأخ الكريم عبد الرحيم أبوعيسى
رئيس نادي الخريجين بمدني
وحضرات الأخوان الكرام أعضاء لجنة النادي الموقرة
وحضرات الأخوان الكرام أعضاء هذا النادي العزيز
تحية طيبة ، ،

إن ما حصل لناديكم لا يدعو إلى الأسف ، ولا الحزن ، كما قد يتبادر إلى الأذهان ، لدي الوهلة الأولى ، وإنما يدعو إلى الإستبشار ، والفرح ، عند التأمل المستبصر. لقد خرجت من ناديكم ، في الثلاثينات ، الشعلة الأولى التي كانت نواة الحركة الوطنية العظيمة التي إنتهت إلى إخراج الإستعمار الحسي (حكم الإنجليز)

من البلاد، فأحرزت بذلك تحريرها . . وستخرج بهذا الصنيع البشع، من هذا القبيل الضائع، من ناديكم الشعلة الثانية التي ستنتهي إلى إخراج الإستعمار المعنوي ـ (الجهل بالدين)، وتسلط هذا الجهل، على عقول أفراد شعبنا ـ من العقول بإذن الله، فيتم بذلك ما بدأ في مضمار التحرير، من إحراز الإستقلال الصحيح . . لقد أراد الله بهذا النادي خيراً للمرة الثانية، وأراد أن يصل ماضيه بحاضره، في خدمة رسالة الحرية في هذه البلاد . .

لقد ظللنا نحن الجمهوريين، ننبه دائمًا إلى الخطر الذي يتهدد هذه البلاد من مؤامرة الطائفية التي إستغلت، وتستغل، الدين في تضليل هذا الشعب لتسوقه، معصوب العينين، بإسم الله، وبإسم الإسلام ليكون في خدمة أغراضها الدنيئة . . ولقد ركزنا على تنظيم الأخوان المسلمين، كذيل للطائفية، كأسوأ تنظيم إستغل الدين لأغراض الدنيا . . وما هذا المعرض الذي أقمناه وتكرم ناديكم بفتح أبوابه له، وهو له أهل، إلا محاولة عملية جادة في سبيل هذا التنوير، الذي نضطلع به لشعبنا العزيز، وفي سبيل هذا التنبيه الملح، إلى خطر هذا القبيل المارق . .

لقد طالما تحدثنا عن أن مساجد الله قد أصبحت ملوثة بجهالات رجال عقولهم خربة، ونفوسهم مريضة . . وهؤلاء الرجال هم اليوم أئمة الناس ومعلموهم الدين . . ولكن حديثنا كان يفتقر الشاهد المحسوس الملموس، على صدق النذير الذي يسوقه، فوجدناه اليوم بحريق هذا النادي العتيق، العزيز، وجدناه بصورة ستظل نموذجًا حيًا في أذهان الناس، كنذير بما ينتظر هذه الأمة، إذا ما قدر لها أن تحكم بإسم الإسلام كما يفهمه هؤلاء الرجال الجهلة، المريضو النفوس . إن هذا النموذج البشع الشائه، يجيء في الوقت المناسب لينبهن العقلاء،

لدرء خطر الجهلاء، قبل فوات الأوان. . هذا النموذج البشع لن يترك الناس لينسوه، وذلك ليكون لهم نبراسًا، على ضوئه يدرجون إلى تقويض معاقل الجهل، الذي يدبر الخيانة بإسم الإسلام. . ونحن الذين وقفنا حياتنا، ووقتنا، ومالنا، لإستنهاض الهمم لمقاومة هذا الجهل النشط، الذي يستغل الدين في تضليل الشعب، نطمع في أن يجند أعضاء ناديكم أنفسهم لمواجهة هذا الخطر الداهم، ونطلب مثل هذا الطلب، إلى جميع المثقفين في جميع بقاع هذا البلد، الذي نعزه ونفديه. .

فأرجو أن يكون هذا الحادث البشع نقطة إنطلاق لناديكم ولأندية الخريجين في كل مكان، لتواصل المشوار الذي بدأته في الثلاثينات، في محاربة الإستعمار الحسي، حتى تقضي على هذا الإستعمار الجاهل، الذي يشل العقول، بإسم الله، وبإسم الإسلام. .

وأخيراً هذا دور ناديكم، وهو دور يجب أن ينتظر له، وأن يتوقع، وهو دور مشرف، كل التشريف!! ألا ترضون أن يكون ناديكم قد فدى البلاد، والأمة، فساق لها هذا النذير العريان، الذي يعصمها من أن تسير معصوبة العينين، إلى حظيرة هذا الجهل الأسود؟

أخيراً لكم جميعًا تحيتي وودي

المخلص: محمود محمد طه)

وبعد قضاء ثمانية أيام في مدني تحرك الأستاذ والوفد الذي معه إلى مدينة رفاعة لإقامة معرض وندوات تستمر لثلاثة أيام، وفي 24 يوليو 1974 تم إفتتاح

ذلك المعرض بمنزل المربي الشيخ محمد لطفي عبد الله ، وفي بداية الجلسة حضر بعض رجال البوليس وأمروا بفض ذلك الإجتماع ورفض الأستاذ وقال لهم : (نحن في منزلنا ولا أرى موجب لفض هذا الإجتماع) ورد البوليس بأنهم معهم أمر بفض الإجتماع بالقوة الجبرية وذهبوا . قرر الأستاذ المواجهة مع البوليس وأمر الأخوات الجمهوريات والضيفات من اهل الحي بالإنصراف إلى داخل المنزل وبقي هو والأخوان في أماكنهم وأقبل عدد من الرجال من أهل المدينة وقالوا للأستاذ (نحن سنواجه معك) ، وأخذوا أماكنهم حول الأستاذ ، وتلك كانت دائماً روح أهل رفاعة مع الأستاذ منذ 1946م ، مضى الليل ولم يعد رجال البوليس كما وعدوا . ! !

في نهاية السبعينات وفي أثناء إنعقاد مؤتمر الجمهوريين الطائف على مدني في الفترة مابين 29/ 5/ 1977 و 2/ 6/ 1977 قويت المعارضة السلفية للفكرة الجمهورية بمدينة ودمدني ، وقد تعرض الأخوان الجمهوريون هناك إلى بعض حوادث العنف من أئمة المساجد ، ورفعت العديد من القضايا ضدهم ، وأثناء تلك المحاكمات ، حلفوا اليمين بالكذب ، وقد أدانتهم جميعًا المحاكم ، وقد أصدر الجمهريون كتيب شمل حيثيات المحكمة ، تحت عنوان(أئمة بلا إيمان ، عبدالرحمن عبد السلام آخر النماذج) وذكر بالأسم أسماء الأئمة الذين أدينوا وحلفوا كاذبين . وقد إستمر فتح البلاغات ضد هؤلاء ، وفي أخر القضايا قام حاكم الأقليم في ذلك الوقت ، السيد عبد الرحيم محمود ، بالوساطة للأستاذ محمود محمد طه في بعض القضايا ، للتخلى عنها ، وقد نزل الأستاذ على رغبة حاكم الأقليم

الذي كان صديقًا للفكر الجمهوري، وبناء عليه شطبت البلاغات وكتب الأستاذ خطابًا لحاكم الأقليم جاء فيه :ـ

(20 مارس 1983م

الأخ الكريم عبد الرحيم محمود،

تحيه طيبة مباركة وبعد . .

فلقد تلقينا خطابكم بشأن قضيتنا ضد جماعة الشيخ دفع الله حوا الرسول . . وهي قضية لم تكن لتنشأ لولا الممارسة السيئة التي جرت على أيدي تلك الجماعة، وهي ممارسة مجافية للدين، ومخالفة للعرف، والقانون . . وبطبيعة حال الجمهوريين فأنهم لم يكونوا ينطلقون في لجوئهم للقضاء من منطلق الضغينة والأنتقام، وإنما كان دافعهم في ذلك هو تعليم هؤلاء البسطاء من شعبهم إحترام حكم القانون، ورعاية الحقوق الأساسيه للأخرين. وإننا لنقدر شفاعتك في هذه القضية، ونحمد لك مسعاك وحرصك على إصلاح ذات البين، ثم إننا لنعرف صداقتك الكبيرة للفكرة الجمهورية، ونحفظ لك مواقفك الطيبة، العديدة، الدالة على نصرة الحق الذى يلتزمه الجمهوريون . . ولذلك، فإنه ليسرنا أن نبلغك قبولنا التنازل عن حقنا في هذه القضية، رعاية لوساطتك الكريمة، وإستجابة لإتجاهنا المبدئى في إختيار العفو والتسامح . . هذا وقد أرسلنا للإخوان بودمدني ليعملوا على تحقيق هذا الغرض النبيل . . وعلى الله قصد السبيل .

المخلص : محمود محمد طه) إنتهى الخطاب .

وخمدت المعارضة في ودمدني عند هذا الحد. . وتحدثت المدينة وأثنت على روح العفو عند الأستاذ. . وجدير بالذكر أن مدينة كوستي، قد شهدت نفس المستوي من المعارضة والقضايا*[4] . كما سيأتي في مجاله.

1975عام المرأة العالمي:-

أعلنت الأمم المتحدة هذا العام بأنه (عام المرأة العالمي)، تقرر أن تطرح فيه كل قضايا المرأة، وتساهم الأمم المتحدة في وضع الحلول لها. وقد أشاد الأستاذ بهذه الفكرة، وأعلن تضامن الحركة الجمهورية مع (عام المرأة العالمي)، وذلك لإهتمام الفكر الجمهوري المبدئي بأمر المرأة، ومن هنا جاء إهتمام الفكرة الجمهورية باعلان هيئة الامم المتحدة لأنه جاء في إتجاه الفكرة الأساسي فى اعزاز المرأة الذي سارت عليه الفكرة منذ الأربعينيات، ومن مشاركة الفكر الجمهوري في هذا النشاط، أصدر الأستاذ ستة عشر كتيبًا صغيراً شرح كل كتيب قضية من قضايا المرأة وحقوقها وقضاياها وواجباتها، إحتفاء وإحتفالاً بهذا العام. . شارك في تأليف هذه الكتيبات عدد من الأخوات الجمهوريات والأخوان الجمهوريين، كان يطرح موضوع كل كتيب للنقاش وتقليب الآراء حتى تتبلور الفكرة ثم يعطى عنواناً ويدفع به الأستاذ لأحد الأخوات أو الأخوان لصياغته النهائية. وقد كتبت معظم هذه الكتيبات باللغة العامية السودانية "لغة الكلام"، حتى يسهل فهمها على البسطاء وأقل الناس تعليمًا، وقد كان الأستاذ يراجع كل هذه الكتب، ولا يصدر أى منها إلا بعد موافقته على المادة واللغة التي كتب بها. . ناقشت هذه الكتيبات مواضيع وقضايا عده منها(عام المراة العالمى 1975، الزى عنوان عقل

(4) أنظر كتاب قضايا كوستي هدية لشعبنا لكيلا ينخدع من حقيقة من يتصدون لتعليمه دينه، يوليو 1975.

المرأة وخلقها، (المرأة في أصول القرآن)، (والواجبات قبل الحقوق)، (المرأة في الشريعه والفقه والدين)، (تعدد الزوجات ليس أصلاً في الإسلام)، (الطلاق ليس أصلا في الإسلام)، (بيت الطاعة المشكلة والحل)، (الإختلاط)، (ماذا قدمت قيادات المرأة للمرأة)، (أضواء على شريعة الأحوال الشخصية)، (قانون وقضاة الأحوال الشخصية قصور عن الشريعة وتخلف عن العصر)، (إتحاد نساء السودان وقضية المرأة)، (المرأة والتدين)، (المرأة مكانها البيت؟؟)، (الأستاذ محمود يحدث النساء في حقوقهن) ومواضيع أخرى كثيرة. . . . *[5]. وقد كتبت كتابين من هذه المجموعة.

1975 مواجهة المعارضة في مدينة كوستي:-

قام الأستاذ في هذا العام على رأس وفد كبير إلى مدينة كوستي في ولاية النيل الأبيض. ضم الوفد عدد كبير من الأخوان والأخوات، وكان القصد من هذا الوفد، تأكيد وجود الفكرة الجمهورية في مدينة كوستي، وذلك لما عرف عن هذه المدينة من معارضة مغرضة للفكر الجمهوري(أنظر كتاب قضايا كوستي هدية لشعبنا)، وقد قضى الوفد الذي تجمع أفراده، في إجازاتهم الصيفية، من مختلف مدن السودان، عدة أيام في المدينة، مقيمًا الندوات، والجلسات الفكرية، وأركان النقاش، وحملات توزيع الكتاب الجمهوري، وقد تم هذا العمل على قدم وساق بين الأخوات والأخوان، ونتيجة لهذا العمل المكثف، إنضم عدد من الجمهوريين الجدد إلى الحركة، كما حثت بعض الأسر الجمهورية بعض بناتها للإنضمام للفكرة، والملاحظ أنه كلما قويت شوكة الفكرة الجمهورية في مدينة ما، وقهرت معارضيها، كلما قويت ثقة الأعضاء، فأقنعوا أسرهم بالإنضمام للجمهوريين، وزاد عدد الأعضاء الجدد.

---

(5) أنظر سلسة كتيبات عام المرأة العالمي.

1976 مؤتمر فتح العاصمة:ـ

في عام 1976 في الفترة مابين يومي 24 إلى 31 مـايو، أقـيم مـؤتمر كـبيرفي الخرطوم سمى(مؤتمر فتح العاصمة)، والفكرة من وراء ذلك المؤتمر هو أن تعرض الفكرة الجمهورية بصورة موسعة داخل العاصمة، حتى تتخللها وتستقطب أكـبر عدد من جمهورها، الذي يبدو مشغولاً عنها. . وقد أكد الأستاذ في ذلـك المـؤتمر عن ضرورة فهم الأخوان الجمهوريين لمحتوى ما يذاع على الـشعب والأسـلوب الذي يذاع به، وقد صدرت توجيهات ذلـك المـؤتمر في كُتيـب سُـمى مـؤتمر فـتح العاصمة، لخص محتوى مايزاع في الآتي :ـ

(جميع الأخوان قد أذن لهم في حمل الدعوة على شرطين أثنين :

الشرط الأول :ـ هو الوفاء بأدب الآية الكريمة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (سورة النحل).

الشرط الثاني :ـ هو الوفاء بأدب الآية الكريمة ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة الاعراف)

1) يجب أن يعلن في الناس بوضوح قاطع، أن المسلمين اليوم ليـسوا علـى شـئ، وإنما هم في جاهلية تعيش على القشور، فإنه ما لم يقرر هـذا بوضـوح، فلـن يكون إلى ثورة التغيير من سبيل، ذلك بـأن ثـورة التغـيير تكـون مهزومـة مـن البداية، إذا كان الناس راضين عن ماهم فيه الآن.

2) يجب أن يقرر بوضوح وحسم أن " لا إله إلا الله " الآن قد ماتت في صدور الرجال والنساء، وأنها يجب أن تنبعث من جديد قوية خلاقة، مؤثرة على قلوب الرجال والنساء، وعلى عقولهم، وعلى أخلاقهم. . . فإنها إن تتخذ بهذه الصورة، فستكون كفيلة بإخراج الناس من هذه الجاهلية، التي يعيشون فيها اليوم، إلى نور العلم والإيقان، كما أخرجت أوائلهم في القرن السابع، من جاهليتهم التي كانوا عليها، إلى نور العلم والإيمان. .

3) يجب أن يقرر للناس وفي وضوح وحسم قاطع، أن " لا إله إلا الله " لن تعود من جديد قوية خلاقة في صدور الرجال والنساء، مؤثرة ومجددة للأفكار، والأخلاق، إلا إذا عادت الروح للصلاة، التي قد أصبحت اليوم حركات من غير محتوى ولاروح، ولن تعود الروح للصلاة إلا إذا دخلها الفكر، وأول الفكر فيها، أنها وسيلة إلى غاية وليست غاية في ذاتها. وأعلى غاياتها تحقيق فردية الفرد وتوحيد القوة المودعة في كل بنية بشرية.

4) يجب أن يقرر للناس في وضوح وحسم قاطع أن الإسلام رسالتنان، " ويجري التفصيل الذي يعرفه الأخوان جيداً، حتى لا يكون في هذا الأمر أدنى لبس ولاغموض، " فإنما نحن دعاة البعث الإسلامي. . دعاة هذه الرسالة الثانية، وفيها وحدها حل جميع المشاكل، لجميع المجتمعات في اليوم الحاضر، والأيام المقبلة. . يجري التفصيل الذي يتحدث عن آيات الأصول، وأيات الفروع، وعن المؤمنين والمسلمين، وعن الأصحاب والأخوان، وعن الشريعة والسنة وعن قصور الشريعة السلفية، عن حاجة إنسان اليوم، وعن التناقض الذي يعيشه المسلمون في واقع حياتهم مع بعض صور شريعتهم، وعن الدعوة إلى تطوير التشريع إلى أخر ما يعرفه الأخوان جيداً. .

إن هذه الأمور إذا وضحت للشعب، فإن رياح التغيير قد هبت، ولن تقف قوة المبطلين أمام الثورة الفكرية، والثورة الثقافية، التي نرجوها لهذا الشعب الأصيل وعن طريقه للبشرية جمعاء..

وأختتم قولي هذا بأن أقول للأخوان لاتكونوا وعاظًا، ولكن كونوا دعاة وأميز مايميز الداعية الصدق.. الصدق.. الصدق. فلا يدعونَّ أحدنا إلى أمر لايمارسه في نفسه!! تذكروا دائمًا قول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ (سورة الصف) وتذكروا قوله في حديث قدسي (ياعيسى عظ نفسك فإن تعظت فعظ الناس وإلا فأستحي مني) بهذا الصدق تخرجون من طور الوعاظ إلى طور الدعاة...

وفقكم الله وأيدكم بروح منه.. إنه نعم المولي ونعم النصير) إنتهى.

1976م الإعتقال بسبب الوهابية:-

في فترة السبعينيات عندما تدهور الوضع الإقتصادي في السودان، كبرت مديونية السودان للبنك الدولي وللدول التي تقدم دعمًا للسودان، مثل المملكة العربية السعودية، فكلما تدهور الوضع الإقتصادي ظهر أن للسعودية نفوذًا أقوى في السياسة السودانية والأمور الداخلية للبلاد، وذلك نسبة للدعم المالي الذي تقدمه للحكومة السودانية، وبعض المؤسسات الدينية والتعليمية في البلاد، مثال ذلك تمويل وتأسيس كلية البنات في جامعة أمدرمان الإسلامية، وشرط الدعم السعودي كان بأن تظل كلية غير مختلطة، وقد نفذ ذلك الشرط من المعلوم أنه ليس هنالك من دول تقدم دعمًا ماديًا لبلد ما إلا وفرضت من ورائه سياستها وتوجهاتها

الفكرية على ذلك البلد. لذلك كان الأستاذ يعترض على الدعم السعودي وحتى على إغتراب السودانيين للسعودية نسبة لمخالفة المذهب الوهابي الذي يقوم عليه حكم الأسرة المالكة في السعودية (آل سعود) للدين وللنبي صلي الله عليه وسلم وعدم التقدير والإحترام الذي تعلنه الدعوة الوهابية لآل البيت والأولياء الصالحين، ويقول الأستاذ أن السعودية (هواؤها مسموم)، ولايترك في غرفته أي هدية يأتي بها له الأقارب من السعودية، ويتساءل كيف يعطي الحكام جنسية للمواطنين بأسم أسرتهم (آل سعود).

وقد كانت المملكة العربية السعودية تعلم معارضة الأستاذ للنظام الملكي القائم فيها ولتدخل نظامها في السودان وذلك بسبب تخلفها الذي تحدث عنه كثيراً كما ذكر سابقًا. ولمزيد من إيضاح بسط النفوذ، فقد أصدر مجلس الإفتاء بمكة المكرمة في عام 1972 فتوى بتكفير الأستاذ محمود، وإباحة دمه، وقد طالبوا الحكومة السودانية بقتله، وقد نفذت حكومة نميرى ذلك الطلب وإن تأخرت بعض الوقت، وقد رد الأستاذ في مواجهة قوية على فتوى مجلس الإفتاء*[6]. . راجع موضع محكمة الردة في هذا الكتاب. وتوالى عمل الفكر الجمهوري في مهاجة المملكة العربية السعودية، ونشط الوهابية في السودان في معارضة الفكرة الجمهورية. وتبعًا لذلك، وخدمة لقضية التوعية، أصدر الأستاذ كتاب(إسمهم الوهابية وليس إسمهم أنصار السنة) رجع فيه إلى أصل الدعوة الوهابية، وأوضح في ذلك الكتاب أن حركة الوهابية النشطة في المملكة العربية السعودية، حركة قامت أساسًا على فهم مغلوط للدين، وقامت على التشويه له. وقد جاء في كتاب

(6) راجع موقع محكمة الردة في هذا الكتاب.

تاريخ المذاهب الإسلامية الصفحات 253 ، 254 و 265 ، 266 تعريفًا مفصلاً عن حركة الوهابية فهي في مجملها بعث متشدد لمذهب ابن تيميه ومنشئها هو محمد بن عبد الوهاب النجدي المتوفي عام 1787 فقد قرأ كتب ابن تيميه وتبنى دعوته المتشددة وأضاف إليها أشياء أخرى وقد قامت الدعوة على الجهاد بالسيف ضد كل المخالفين لهم من المسلمين إذ أنهم يفترضون أن أراءهم هي الصواب الذي لايقبل الخطأ وفي أراء غيرهم الخطأ الذي لاصواب فيه ويعملون للنهي عن المنكر بالحرب ويقوم مذهبهم على عدم التوسل بالنبي صلى عليه وسلم والأولياء والصالحين وقد قام محمد بن عبد الوهاب على هذا العمل ومنعه والده عن ذلك النهج ولكن بعد وفاة والده قام بالثورة الدينية ، فلم يجد إستجابة وتمت محاولة لإغتياله فلجأ إلى أمير العينية طالبًا الحماية ورحب به الأمير وأعطاه الحماية فأمير العينية هو أول أمير قامت الدولة الوهابية تحت حمايته وكان يمني الأمير بإنتشار سلطانه على نجد وأعرابها وأقبل عليه الأمير حتى إشتدّ عود محمد بن عبد الوهاب أخذ ينفذ أحكامه المتشددة وإزدادت الضغوط على أمير العينية لحمايته لأبن عبد الوهاب وأُغري بقتله لمخالفته للدين ولذلك طلب الأمير من محمد بن عبد الوهاب ان يرحل ورحل إلى الدرعيه يبغي الأمن والآمان ووصل عن طريق الوسطاء إلى الأمير السعودي وأحاطوه علمًا بمحتويات دعوته ، قالوا له أنها إعلاء كلمة التوحيد ومحاربة البدع فقبل الأمير وبشره بالأمان ورد ابن عبد الوهاب بأنه سيمكن الأمير بالعز والغلب على جميع بلاد نجد بهذا قام الحلف بينه وبين أمير آل سعود[7] .

(7) المصدر جريدة الصحافة الصادرة بتاريخ 31/ 10/ 1973 وكتاب إسمهم الوهابية وليس أنصار السنة .

وقد أكد الأستاذ في هذا الكتاب، القاعدة الإسلامية أن الملك ضد الأسس الدينية، فقد ورد في الآية الكريمة قول الله تعالى: ﴿ . . . إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (سورة النمل). . . كما أكد الكتاب المخالفات الدينية التي قامت عليها دعوة الوهابية، ونعى على حكومة السودان السماح للحكومة السعودية بالتدخل في شئونها الداخلية. وطالب الحكومة السودانية بضرورة الإستقلال الإقتصادي وعدم قبول العون المالي من بلد مثل السعودية، فإن البلاد التي تقدم دعمًا إقتصاديًا لبلد ما تفرض سياستها عليه، ولذلك فإن السعودية مقابل الدعم تفرض سياستها وتدخلها في شئون السودان الداخلية. . . أثار هذا الكتاب غضب الوهابية في الداخل والخارج وبإيعاز من السعودية، تم إعتقال الأستاذ والتحقيق معه، كما تم تفتيش منزله والمنازل التي كان يستأجرها للأخوان الجمهوريين، التي كانت تسكنها مجموعات الرجال غير المتزوجين وطلاب الجامعات، وتقوم فيها طباعة الكتب، وقد صودرت كل نسخ الكتاب التي عثر عليها، وقضى الأستاذ في الإعتقال شهراً كاملاً من غير محاكمة ومعه بعض الجمهوريين. . !!؟؟

تم إعتقال الأستاذ من منزله في أمدرمان، بصورة مستفزة، فقد حضر (تيم) من رجال الأمن المسلحين برئاسة قاضي من الأخوان المسليمين، يدعى(عبد الجليل)، أخذ ذلك القاضي منذ وصوله بوابة المنزل، يصيح (يامحمود) بصورة همجية وعندما وصل إلى الأستاذ، أخبره بأمر الإعتقال فأسرع الأستاذ بإرتداء ملابس الخروج فإتجه القاضي للدخول لقسم الأسرة في المنزل، ولحق به الأستاذ يجذبه بقوة من جلبابه يأمره: (تعال هنا ليس هناك سبب يجعلك تدخل إلى الأسر،

أنت جئت لإعتقالي وأنا ذاهب معك)، وقد إنصاع القاضي لاشعوريًا إلى ذلك الأمر، ورجع متأدبًا ولعله كان يتوقع أنه بأمر الإعتقال هذا سوف يزعج الأستاذ ويضعه وأسرته تحت رحمته ورحمة رجال الأمن، وعندما جذبه الأستاذ بتلك القوة سرعان ما إنصاع لذلك القرار الرجولي وعاد إلى المكان المخصص للرجال بالمنزل منتظرًا خروج الأستاذ. .

كنت أزوره في معتقله في حراسات القسم الشرقي، في الخرطوم، وقد كان المكان ضيقا، لايسع عدد الرجال الذين حبسوا فيه، ومع ذلك فقد تقبل الأستاذ هذا الأمر بروح تضحية عالية، وبرضا بالله، يدل على سمو الهدف، والنأي عن الغرض الشخصي. . كان يقابلني وهو في الحبس، وأنا حزينة للظلم، بإبتسامة مشرقة، كأنه هو الطليق وأنا السجينة. . في تلك اللحظات كان يوصيني ويوجهني ببعض المقترحات في أمور المنزل، كان على البعد يتابع كل ما يحدث في الأسرة وكأنه يدير أمورنا من محبسه، ففي فترة إعتقاله تلك، كنت أقوم بإدارة المنزل والإشراف التام على شئونه، وقد كان معنا فى المنزل عدد من الأخوات الجمهوريات. . عندما تحدث مثل هذه الإعتقالات يزداد إنضباط الأخوات والأخوان خارج المعتقل في سلوكهم اليومي ، ويتابعون كلما يحدث في المعتقل، ويصغون بإهتمام تام لكل ما يأتي من توجيهات الأستاذ.

بعد شهر أطلق سراح الأخوان من غير أي محاكمة. بعد حادثة الإعتقال هذه كان هناك جمهوري من آصل شامي مهاجر في أستراليا، شعر بالمؤامرات حول الأستاذ فسعى لأن يلجأ الأستاذ خارج السودان، فكتب للأستاذ بأنه وجد له فرصة للجوء السياسي، فرفض الأستاذ ذلك العرض وعلق قائلا : (فلان لأنه ابن

ريف خـواف، وقـال إن المعـارض الـسياسي يجـب أن يظـل في بلـده ويعـيش في سجونها ويأكل كسرة ب مويـة[8] ولا يلجـأ إلى بلـد أخـر)، كمـا أنـه لم يغـادر السودان طوال حياته إلا مرة واحدة إلى القاهرة وأمضى فيها ثلاثة عشر يومًا حضر خلالها ندوة للكاتب المصري عباس محمود العقاد. كان يقول لي: (انـا سـوداني أكثر منك لأني لم أغادر السودان سوى ثلاثـة عـشر يومًـا فقـط) وبهـذ المناسـبة قال: (أنه يكن إحترامًا كبيرًا لعباس محمود العقاد لأن العقاد كان بعيدًا عن السلطة لايتقرب إلى الحكام ولايمدحهم لأنه يحترم نفسه وله إستقلال شخصية، يختلف في ذلك عن ضعف طه حسين ويعزى ذلك الضعف لأن طه حسين كان ضريرًا).

1977 تبسيط الدعوة:ـ

في هذا العام وفي شهر رمضان سجل الأستاذ محمـود سـبعة أشـرطة حـوت تبسيطًا للدعوة الجمهورية أسماها (تبسيط الدعوة)، وهـي عبـارة عـن تلخـيص للفكرة الجمهورية التي هي الرسالة الثانية من الإسلام، كتب تبسيطًا وشرحًا لهـا باللغة العامية السودانية، وقد طبعت هـذه الأشـرطة، وأخـذت تبـاع للمـثقفين والمتابعين للفكر الجمهوري.. في هذا العام كنت في لندن بغرض الدراسة، إتصل بي تلفونيًا يخبرني عن إعداده لتلك الأشرطة، وقال لي أنـه وضـع لـي خطابًـا في البريد أرفقها معه، فذهبت للسفارة السودانية وإستلمتها، كـانوا في تلـك الفـترة يرسـلون لـي الخطابـات عـن طريـق الـسفارة بواسـطة أصـدقاء بعـض الأخـوة الجمهوريين الذين يعملون في لندن (أنظر الملحق خطابات الأستاذ للمؤلفة).

---

(8) كانت تلك أرخص وجبة في السودان.

1977 قضية الأستاذ محمود ضد الشيخ الأمين داؤد:-

الشيخ الأمين داؤد كان من أكثر الفقهاء، الذين يدعون أنهم " علماء الدين بالسودان " ، عداء للفكرة الجمهورية، من غير صدق ولا علم، وقد تزعم الحملة الجائرة ضد الأستاذ محمود وهو أحد المدعيين في محكمة الردة عام 1968، كما تزعم هذا الشيخ حملة تشين لسمعة الأستاذ، وتهدر دمه، وقد إعتمد في كل هذا علي أقوال لم يقلها الأستاذ، بل كانت تخريجه الخاص، فهو يورد أقوال مبتورة من الكتب (يكتب النص ويترك آخره) وينتهي إلى خلاصات خاطئة، ويقول أن محمود يقصد هذا وذاك، يستند على أقوال مغلوطة من معسكر السلفيين، وعلى قصص بيوت المآتم والشائعات، وذلك لعجزهم عن المواجهة الفكرية التي تصدى الأستاذ لهم بها، بغزير علم وشجاعة منقطعة النظير، أنظر كتابي (بيننا وبين محكمة الردة) و(محكمة الردة مكيدة سياسية).

في هذا العام رفع الأستاذ قضية جنائية تحت المواد 435 و441 من قانون عقوبات السودان الكذب الضار والسب، ضد الشيخ الأمين داؤد، كان السبب أنه قد رفع مذكرة لوالي الخرطوم ضد الأستاذ محمود. . يطلب فيها من الوالي أن يوقف النشاط الذي يقوم به الأستاذ، ومنع الإجتماعات في منزله وكذلك التجمعات وقد كانت المذكرة مسيئة ومسفة، لم يكن فيها الشيخ موضوعيًا ولا ورعًا، بل تجافي عن كل خلق ديني، وأخذ يكيل السباب والإتهامات للأستاذ وللجمهوريين. . وفي أثناء سير المحكمة رأي الأستاذ أن محامي الدفاع الذي كان من الأخوان المسلمين قد إستغل ساحة المحكمة إستغلالاً سياسًا، وقد عجزت المحكمة عن وقف ذلك الإستغلال، لذلك إنسحب الأستاذ عن القضية متسببًا بالإستغلال السياسي للمحكمة وقد صدر كتيب يوضح ذلك الشأن. وصدرت وقائع محاكمة الأمين داؤد في ستة كتب.

1979 مراجعة منازل الأخوان الجمهوريين:-

في هذا العام إتسعت منازل الأخوان، وكثر إقبال الطلبة عليها، والوافدين من الأقاليم المختلفة، وكذلك المقيمين في العاصمة، كما تحول إليها البعض ممن تعلق بالفكرة من منازل أسرهم في العاصمة، ورأوا أن يقيموا أطول فترة ممكنة في هذه المنازل حتي يتشبعوا بروح الفكرة الجمهورية ويتابعوا برنامج تطبيق الإسلام كمنهاج حياة لإصلاح النفس. وقد وضع الأستاذ رأيًا واضحًا، هو أن هذه المنازل يجب أن تختلف عن الداخليات، وعن منازل غير المتزوجين، والتي تعرف في السودان (ببيوت العزابة)، كان يخطط لها أن تكون مدارسًا من نوع خاص يعاد فيها تعليم المتعلمين، وصياغة سلوكهم على نهج حضاري، وخلقي، وفق ما تدعو إليه الفكرة الجمهورية، على نهج النبي صلى الله عليه وسلم، وجميع شمائله وحسن خلقه وإستقامة سلوكه. . لذلك كان لابد من تنظيم هذه المنازل ومراقبتها، والمراقبة الدقيقة لنشاط وسلوك المقيمين فيها . . وتنفيذاً لهذه الفكرة أعاد الأستاذ تكوين هذه المنازل وترتيب سكانها، فجعل أميناً على كل منزل، والأمين يتم إختياره على أساس أنه أكثر من في المنزل فهمًا وتطبيقًا للفكرة الجمهورية، وهو إمامهم في الصلاة والمسئول عن تصحيح أخطاء سلوك الأخوان المقيمين بالمنزل، ونقل إرشادات الأستاذ لهم، وحثهم على حضور جميع نشاطات الفكرة الجمهورية، مثل أركان النقاش وطباعة وتوزيع الكتب، كذلك المساعدة في كل ما يجعل الحياة سهلة ومتيسرة في تلك المنازل. . وفي عام 1979 أعاد تكوينها، وأدخل فيها مراقبًا جديداً فوق الأمين أسمه المشرف، وكان عليه النصح والإشراف العام، وكان دائمًا يقول: (بأن منازل الأخوان دي إمتياز وسوف لا يُسمح لكل الناس بالسكن فيها، إلا من إلتزم بالسلوك على الطريق النبوي القويم).

الفصل الخامس

الأخوات الجمهوريات
ونشر الفكر الجمهوري

أكبر محتويات الفكر الجمهوري وأهدافه عند الأستاذ محمود، هو **إعداد الفرد** الحر من رجل وإمرأة، ومنحه جميع حقوقه الدستوريه كاملة، حق الحياة وحق الحرية، ولهذا دعا إلى إقامة القانون الدستوري، والقانون الدستوري كما عرفه الأستاذ هو القانون الذي حين يطبق يراعي مصلحة الفرد الذي وقع منه الخطأ، وفي نفس الوقت يراعي مصلحة المجتمع الذي وقع عليه الخطأ، ومثل هذا القانون يعيش تحته كل إنسان حر، في أن يفكر، ويقول، ويعمل، على إتساق تام، يبن فكره وقوله، وعمله، بشرط أن لاتتعدى حريته، على حريات الأخرين، وإذا تعدى تصادر حريته بالقانون الدستوري، (راجع كتاب الرسالة الثانية من الإسلام). ومن هذا المنطلق يتمتع الرجال والنساء بالحرية، لا فرق بين أى منهم أمام القانون، ولا وصاية تقع على أي منهم على الأخر، وإنما تحال الوصاية على القانون الدستوري. والأصل لمثل هذا القانون ليس الشريعة الإسلامية، وإنما أصل القرآن، فالشريعة قانون مرحلي، خدم مجتمع مابعد الجاهلية، وقد كان ذلك المجتمع محدود الحاجات والطاقات، عاش تحت الوصاية. . . وهذا التشريع لايصلح اليوم لإنسانية هذا العصر ذات الطاقات والمقدرات الكبيرة، والقرأن الكريم يحوي نصوص تصلح لإنسانية اليوم، لما توفره من حريات، وقد كانت تلك النصوص أكبر من إستطاعة الإنسان في ذلك الزمن، وإعتبرت منسوخة، وجاء في قوله تعالي: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ (سورة البقرة)، والنسخ في فكر الأستاذ محمود، إرجاء، وليس إلغاء، إرجاء إلى حين أن يجيء المجتمع الذي يستطيع تحمل مسؤليتها، وقد

جاء الوقت الآن. والنصوص هي مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الحجرات)، وعلى مستوى هذا النص، تتساوى النساء مع الرجال، حيث لا تفضيل للرجل على المرأة ولا المرأة على الرجل إلا بحسن الخلق، وطيب المعشر، وهذه درجات أخلاق ولا يقع بها تمييز في القانون راجع (كتاب الرسالة الثانية من الإسلام).

وضع المرأة في الشرق الأوسط:ـ

في المجتمع الشرقي المسلم، لا تحظي المرأة بالمساواة مع الرجل أمام القانون، وإنما ينظر إليها على أنها مواطن من الدرجة الثانية.. وتبعًا لهذا فهي تعيش تحت وصاية الرجل وحقوقها مستمدة من حقه عليها، وللرجل الحق أن يتزوج أربعة زوجات وأن يطلق أي مهن في أي وقت شاء.. إلخ، ومن الفكر الذي جاء به الأستاذ محمود وبتعمقه في كتاب الله، وفهمه لسنة النبي الكريم ثم إحاطته بالعلم المادي الحاضر، الذي نعيشه الآن. وجد أن قوانيين الأحوال الشخصية (القانون الذي ينظم علاقات الأسرة)، في الزواج والطلاق... إلخ، المطبق في المحاكم الآن، أصبح دون مستوى المرأة في الوقت الحاضر، وأن الدين لم يجئ ليقيد الإنسان، وإنما جاء ليسمو به.. وإن الحياة متطورة دومًا، وأن هذا التطور هو من فعل الله في الوجود.. ومن هذا التطور، فقد تمكنت المرأة من العلم المادى، وفاقت الكثير من الرجال، في كثير من نواحي الحياة فهي الطبيبة، والمهندسة، والزراعية، والإدارية، والمحامية، فليس من العدل أن تمتاز في كل هذه المجالات، ثم يضعها المجتمع في الدرجة الثانية، ويجعلها على النصف من الرجل.. كما وجد أن القرآن في أصله ونصوصه الثوابت، لم يظلم المرأة بل أعطاها المساواة،

وذلك في جميع النصوص المكية، التى أشير إلبها أعلاه، فعلى المجتمع دور يقوم به وعلى المرأة دور تقوم به، عليها أن تسهر على حماية حقها، وأن تستحقه دائمًا بتحقيق المزيد من الكفاءة، وأن لا تستكين للظلم. . وعلى المجتمع أن يعترف بما حققته من تفوق، وإعانتها على تحقيق المزيد من التفوق والمساواة. . أولا: أن يقوم التشريع على رفع القوامة عنها، لتحال على القانون الدستوري. . بأن تصبح شهادتها مساوية لشهادة الرجل، بناء على الآية الكريمة ﴿ . . .لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ . . .٣٢﴾ (سورة النساء)، كذلك يقوم الزواج على المرأة الواحدة للرجل الواحد، من غير مهر مادي يدفع للمرأة، ومن غير طلاق يقع بينهما، وإذا إحتاجا للطلاق لهما الحق المتساوي فيه، وفقا للضوابط الواردة في كتابي (تطوير شريعة الأحوال الشخصية) و(خطوة نحو الزواج في الإسلام).

مجتمع الأخوات الجمهوريات:ـ

مساواة النساء بالرجال وتحسين وضع المرأة في المجتمع، والحياة عامة عند الأستاذ، لم يكن مجرد شعارات، بل كان عملاً جاداً، يغوص في الأعماق لإجتثاث كل رواسب الماضي، وعقد النقص، المترسبة في نفس المرأة، والتي كبلتها بها المجتمعات السابقة، التى كانت تعمل بعوامل قوة الساعد، وليس قوة العقل والخلق، فالمرأة الجمهورية تنتفع من طريق النبى محمد صلى الله عليه وسلم بتقليده في العبادة، كما ينتفع منه الرجل، تصلي الأوقات الخمسة وتقوم الثلث الأخير من الليل، وتصلي بإمامة إمراة، وتشارك في تشييع الموتى، وتوقع على

عقد زواجها. وتشارك في المسيرات، وتقوم بالعمل الفكري في نشر الدعوة، في كل المجالات بثبات وبفكر ثاقب، كما سنرى التفصيل فيما يلي..

لتحقيق تلك الأهداف السامية، بدأ الأستاذ بإنشاء مجتمع صغير من الأخوات الجمهوريات، رُتبت فيه الأخوات وفقًا لفهمهن للفكرة الجمهورية، وطاقاتهن الروحية، ونشأ مجتمع نسائي سالك، وفقا للدين في أصله، على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، يؤدين الصلوات في أوقاتها بإمامة الأولى منهن، وفق الترتيب الذي وضعه الأستاذ للأخوات، ويقمن الثلث الأخير من الليل، ويحاولن جاهدات تطبيق هذه الصلوات في المعاملة، كما قال النبي الكريم "الدين المعاملة". ولتحفيز الأخوات الجمهوريات للعمل وفق طريق النبي صلى الله عليه وسلم، كان الأستاذ يؤكد لهن دائمًا، أن طريق النبي ملزم للنساء، كما هو ملزم للرجال، وعلى هذا الأساس كان يعمل لقيام مجتمع تتساوى فيه النساء مع الرجال. ولقيام ذلك المجتمع لابد من فترة إعداد يبذل فيها جهد بعمل منفرد مع المرأة، حتى تلحق ما فاتها في مجتمع الرجال، فإن مجتمع النساء قد وقع عليه كثير من القيود، وهضم الحقوق، مما رسب في المرأة الكثير من العقد، والتردد، والتشكك، في مقدراتها الذاتية، مما جعلها تحتاج لفترة تربية، وإعادة صياغة، تستطيع أثناءها التحرر من القيود، والخوف، والعقد، والرواسب القديمة، وذلك وفق العمل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أنشأ الأستاذ مجتمع الأخوات الجمهوريات على هذا النهج، وكانت البداية الصغيرة بالنواة، بتربيتنا نحن في الأسرة، متمثلة في بنتيه وبنات أخيه مختار، وبعض بنات الجمهوريين اللائي يترددن على منزل الأستاذ مع أُسرهن.

في عام 1974 بدأ التكوين الموسع لمجتمع الأخوات الجمهوريات، فقد بدأ بعض الجمهوريين باحضار زوجاتهم وبناتهم إلى منزل الأستاذ، لحضور الجلسات التي كانت تقام في المنزل، وكذلك في الجامعات، والأماكن العامة، وكان حضور الأسر يزداد كلما إزدادت قناعة رب الأسرة بالفكرة الجمهورية، وهذا هو المعيار الذي كان يقيس به الأستاذ محمود مدى قناعة الرجل الجمهوري بالفكرة الجمهورية، فأسرة كل شخص زوجته وبناته، هو حرمه الآمن الذي يحرص على الحفاظ عليه، فإذا إكتمل يقينه بصحة الأمر، أدخل فيه أسرته. وعلى هذا النحو كلما إزدادت قناعة الرجال الجمهوريين، كلما توسع مجتمع النساء الجمهوريات، ولذلك فإن طابع المجتمع الجمهوري، هو طابع الأسرة الكبيرة فكانت، البداية أن كل جمهورية هي أخت أو زوجة أو إبنة لجمهوري، كما أن هذه الأسر أخذت تتزاوج فيما بينها، على أساس أنه من الأفضل لكل جمهورية أن تتزوج من جمهوري، لأنه بناء على المبدأ ـ إذا توفر الصدق ـ أن الزوج الجمهوري يؤمن بحريتها وحقوقها ومساواتها مع الرجل، ستستمتع معه بحريات سوف لا تتوفر لها إن تزوجت برجل خارج المجتمع الجمهوري. هذه بصورة عامة شكل المجتمع الجمهوري.

في عام 1975 بدأ الأستاذ يقيم الندوات الداخلية للنساء، يحدثهن في حقوقهن، وقد بدأ بتقديم الندوات لمجتمعات النساء، بزيارة زعيمات الحركة النسوية من خلال الإتحاد النسائي، اللائي كُن يعملن بتنسيق مع السلطة الحاكمة، أو من يتولين مناصبًا سياسية مع الحكومة، أنظر كتاب (الأستاذ محمود يحدث النساء في حقوقهن)، من سلسلة (عام المرأة العالمى1975)، وقد كانت تلك

المحاضرات دائمًا تقدم لها زعيمات الحركة النسوية في الأندية الثقافية العامة، وفي المنازل وقد بدأ هذا النشاط في المدن الكبيرة مثل الخرطوم، مدني، والأبيض، ثم أخذ تدريجيًا ينتشر في المدن الأخرى وكان الأستاذ يشجع الجمهوريين لإحضار زوجاتهم وبناتهم، ومن حولهم من نساء أسرهم، لحضور تلك المحاضرات. وقد أصبح عدد النساء اللائي يتوافدن على الندوات في إزدياد، كما يزداد حماسهن، ولعل الكثيرات منهن يسمعن لأول مرة أن الأسلام يمكن أن يشرع في الزواج، المرأة الواحدة للرجل الواحد وأنه يمكن للمرأة أن تكون لها العصمة. . فسعدن كثيراً بهذا الرأي، فقد عانى المجتمع السوداني كثيراً من ظاهرة تعدد الزوجات، التي تثير الغيرة في نفوس النساء، وتخلق البغضاء بين الأبناء، وتقود أحيانًا إلى تشرد الأبناء وتشتت الأسر . . .

ولما كان خروج المرأة وإختلاطها مع الرجال موضوع جدل في السودان، فقد بدأت مشاركة المرأة الجمهورية في العمل العام مع الرجل لنشر الفكرة، تتقدم بتعثر شديد . . وفي إطار المجتمع الجمهوري إزدادت أعداد الأسر التي أخذت تشارك في العمل الفكري في إطار المجتمع . . وعندما توسع مجتمع الأخوات شرع الأستاذ في تنظيمهن، فوضعني في قمة التنظيم، توالت الأخوات بعدي، كل واحدة تلو الأخرى، بحيث أن الأربعة الأوائل كن معروفات لدى المجتمع الجمهوري . .

كنا دائماً نجتمع حوله يحدثنا عن السيرة النبوية، وعن أصل الدين، وعن ما يدخره الإسلام لمستقبل النساء والرجال، مما يزيدنا أملاً في الدين، وتعلقًا به،

ومنذ عام 1966 بدأ ظهور الأخت الجمهورية في الإستماع للمحاضرات، إذ كنا نصحبه كلما سمحت ظروف المدارس بذلك.

خلال فترة السبعينيات كنا نصحبه في المحاضرات، وكانت مهمتنا أن نحضر ومعنا كراسات ونجلس في الصفوف الأمامية، نستمع ثم نسجل المحاضرات كما ذكرت سابقًا، وعلى هذا النهج أخذ عدد النساء المقبلات على الفكر الجمهوري في إزدياد، وهن دائمًا من الأسر المسئول عنها جمهوري. . أذكر أن بعض الرجال، الحضور في المحاضرات، كانوا يعترضون على جلوسنا في المقاعد الأمامية، إذ أن المتعارف عليه في المجتمع، في العهود السابقة ووفق الشريعة، أن المرأة مكانها في الصفوف الخلفية. . ولكن كان الأستاذ يتصدى لهؤلاء، ويدافع عن وضعنا دفاعًا قويًا، معتمدًا على أصل الدين وقيم العصر، ثم التفوق الذي حققته المرأة في العصر الحالي. . كان يصر على تقديمنا حتى في السير في الطريق، كان أحيانا يمشي خلفنا وأحيانا يمشي أمامنا حتى يسهل لنا المرور في الطريق العام.

كثيراً ما كان يحدثنا الأستاذ عن حقوق المرأة، وما إدخره الإسلام لها ، كان حديثًا عميقًا وممتعًا، مما زاد تعلقنا بالفكرة الجمهورية، وثقتنا بالإسلام، وبالإستاذ وبأنفسنا. وقد عمل بجد شديد ودقة في إعداد المرأة الجمهورية، وكان إعداد المرأة أوكد عنده، وأهم من إعداد الرجل وقد أوضح ذلك في إفتتاحية باب المرأة بجريدة الجمهورية عام 1954 حيث قال:

(هذا باب المرأة، وهو باب نحب أن يدخله الداخلون سجداً، ذلك بأنه يعالج شأناً هو أخطر شئون الأرض على الإطلاق وهو المرأة. . والمرأة في الأرض

كالقلب في الجسد، إذا صلحت صلح سائر الأرض وإذا فسدت فسد سائرها . .
إن المرأة في حقيقة النظام المتمدن أولى بالعناية من الرجل إن صح أن هنالك أولوية بينهما، ذلك بأنه يتأثر بها، أكثر مما يؤثر فيها، وإن خيل له غروره غير ذلك. وحين تعرف المرأة سبيل المكارم، تنشئ على سمتها الرجل طفلاً، وتحمله على جادتها زوجاً، وتغريه بها في جميع مسالك الحياة، وهو أجنبي عنها . .

إن حواء حين أغوت آدم، أغرته، ثم لم يستعصم وهي لم تغره إلا وهي تبغي به الخير، ولكن جهلها كان وبالاً عليه، وعليها. وهو لم يستعصم من غوايتها لأنها رسولة حياة، تدعو إليها في إلحاح متصل، حتى لكأن كل جارحة من جسدها، لسان يلهج بالدعوة، فآدم طالب حياة في المكان الأول، وكل الناس طلاب حياة، فمن لم يستجب للحياة، لايستجيب لشئ. . ولو أن حواء عرفت سبيل الحياة، لكانت دعوتها لآدم دعوة صالحة لاغواية فيها، ولاعصيان. فلو تعلمت حواءتنا، لرشد آدمونا . . فأنك إن تعلم إمرأة تعلم أمة، وإن تعلم رجلاً، تعلم فرداً . . أنصار المرأة وخصومها، إن صح للمرأة خصوماً بالمعنى الصحيح، مدعوون للكتابة في هذا الباب، على أن تكون كتابتهم صادرة عن علم يقين، وعن عقل سديد، وجد لاعبث فيه، ولا فضول.

محمود محمد طه

إفتتاحية باب المرأة بجريدة الجمهورية 1954م) إنتهى .

كان مثل هذا الكلام يثير فينا الشعور بإحترام إنسانيتنا، وبعزتنا كبشر، ويحبب لنا الحياة، هذا شعوري بصورة مؤكدة، كما كنت ألمسه عند عدد من الأخوات الجمهوريات. ففي الفهم الديني الجمهوري، المرأة ترمز إلى النفس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

﴿ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (سورة النساء)، كذلك الجانب الأيمن يرمز إلى الروح، والجانب الأيسر إلى النفس، في مضمار هذا الفهم الذي يطرحه الأستاذ، حكى لي الأستاذ ذات مرة، أنه في فترة الخمسينيات أثناء عمله مهتدس في المشاريع الزراعية، كان في ذات مرة يغادر الباخرة النيلية في منطقة الجبلين، وقد رست الباخرة على الشاطئ في مكان فيه خلية نحل فأهاجت النحل، وعندما نزل من الباخرة كان يحمل حقيبته بيد، ويحمل (السيبا) بيد أخرى، وعند نزوله تجمع النحل المهتاج بأعداد كبيرة في الجانب الأيسر من رأسه ووجهه، وقد كان لسعه مؤلمًا، وعندما رجع إلى منزلته أزال النحل من رأسه، وقد كان مثل وخذ الأبر، قال أنه أخذ المغزى البعيد من تلك الحادثة هو أن يولي الجانب الأيسر منه جانب النفس عناية أكبر، والنفس كما ورد ترمز إلى المرأة، ولذا قرر أن يولي جانب المرأة إهتمامًا أكبر بالتعليم والترشيد، وقد فعل. وهكذا كان دائماً يركز على الجانب العملي وينزل المعارف إلى أرض الواقع لتغيير الحياة للأفضل.

تنظيم الأخوات الجمهوريات:-

في عام 1974 إتسعت أعداد الأخوات اللائي إلتزمن الفكرة الجمهورية، وقد أخذ الأستاذ في تنظيمهن تنظيمًا منضبطًا كنت على رأسه، ثم بدأت مشاركة الأخت الجمهورية في الحركة العامة لنشر الفكرة الجمهورية أسوة بالرجال الجمهوريين في اركان النقاش وإلقاء المحاضرات والندوات، في الجامعات وفي دور العلم، والطرقات، والأسواق، والأحياء، والأماكن العامة. وكان حتى ذلك الوقت قد أعد كوادر معتبرة منهن. . كانت طبيعة الحركة تتمثل في خروج الأخوات الجمهوريات، في شكل (أتيام) صغيرة، يتكون كل (تيم) من أثنين أو ثلاث، يحملن كتب الفكر الجمهوري، طليعتهن واحدة هي رئيسة (التيم)، وهي

التي تعرض الكتاب وتتحدث عن محتواه، وتدير الحوار حوله، وكان الغرض من هذا العمل هو توصيل الفكر الجمهوري للعامة، فكل من يغتني كتابًا يطلع على محتواه، وكذلك عضوات (التيم) يستفدن من الشرح، إذ يمكنهن في المستقبل من قيادة أتيام مماثلة، وكان عائد الكتاب المادي، الذي هو مكتوب على الغلاف الخلفي الخارجي يساعد في تسهيل حركة الكتاب، بطبع النسخ المقبلة منه، وتنشيط الحركة في تكلفة الورق والطباعة والتخزين والترحيل وغيره.. لذلك لم يواجه الفكر الجمهوري مشكلة تمويل، فالكتب تمول نفسها، كما أن الأعداد الكبيرة التي تشترك في نشر الكتاب، معظمهم لا يأخذون أجرًا (وإن كان القلة يأخذون، وهم المتفرغون للعمل)، فالغالبية لهم وظائفهم في الدولة و أعمالهم الخاصة. ولهذا لم تحتاج الفكرة الجمهورية لدعم خارجي وقد كان بعض الناس عندما يلاحظون الحركة المتواصلة والنشاط الدؤوب يظنون بأن الفكرة الجمهورية تتلقى دعمًا خارجيًا وقد زار الأستاذ في منزله أحد المثقفين من الذين سمعوا بتلك الشبهة وعندما خرج من الصالون والأستاذ يودعه رأى البساطة في المنزل فسمعه الأستاذ يقول لنفسه: (شوية بروش واباريق والله لاتحتاج لدعم خارجي)، فالروح العالية والطاقات المشحوزة والهمم كانت تخيل للشخص العادي ان هنالك دعمًا خارجيًا، بل أكثر من ذلك أن الأستاذ كان لايقبل اي نوع من المساهمات المادية من الجمهوريين غير المخلصين وغير المجودين للفكرة.. كانت الأخوات يشاركن على قدم المساواة مع الرجال، وقد كانت حركة النساء ملفتة للنظر، ومثيرة للجدل، أكثر من حركة الرجال، فقد هاجمنا الكثيرون، وكتب البعض عنا في الصحف كتابات مسفه، وأعتقد البعض أن الفكرة الجمهورية تستغل النساء للترويج للكتاب. ومع ذلك لم تغب عن الساحة الأصوات والأقلام الذكية، التي

كانت تشيد بالمشاركة الفكرية للمرأة . . كان الأستاذ يولي النساء الجمهوريات الكثير من العناية ، والمزيد من الإهتمام ، فضمن سلسلة عام المــرأة العالمي ظهر منشور وكُتيب يشرح هذه الظاهرة ، تحت عنوان : (لماذا وكيف خرجت المرأة الجمهورية للدعوة للدين؟؟) . . تشارك المرأة الجمهورية على قدم وساق مع الرجال الجمهوريين فى نشر الفكر اجمهورى فبعد العودة من العمل الميداني ، كانت تعقد يوميًا جلسة في منزل الأستاذ ، يستمع فيها لتقارير العمل ، يبدأ بالإستماع للأخوات أولاً ، وكان عليّ أن أدلي بتقرير عن الحركة ، وما دار في الميدان ، ثم يليني القيادي على تنظيم الأخوان ليدلي بتقريره ، وبعدها تتوافد الأخوات والأخوان في الإدلاء بتقاريرهم ، بما دار بينهم وبين من قابلهم من المواطنين ، وتختتم هذه الجلسات اليومية بملاحظات الأستاذ وتعليقاته وتوصياته على ما دار بين الجمهوريين ، وعامة الشعب ، وكان يصحح بعض الأخطاء التي وردت في النقاشات والأراء ، ويركز على تصحيح الأخطاء في قرأءة الآيات القرآنية ويطالب كل فرد وبتأكيد شديد ، بتجويد حفظ الآيات ، وكان يقول لا توردوا القرآن إلا بعد أن تتأكدوا من صحة حفظه ، فإن الخطأ في النص القرآني يضعف ، ما توردونه من أراء وحجج وأن هناك نوراً يصاحب النص يخرج من فم القارئ ، ينقطع هذا النور عند الخطأ وكان يؤكد أن إستقامة السلوك مثل الأمانة ، والصدق ، وتجويد الصلوات ، هو الذى يفتح طريق العلم والمعرفة للجمهوري ، وأن الحقيقة كامنة في نفس كل فرد بشري ، ولذلك عندما نكون أمناء ، وصادقين ، تخرج منا هذه الحقيقة ﴿ . . . وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (سورة البقرة) . . من أجل هذا كان يقيم جلسات للسلوك ، تجمع الأخوان

والأخوات، يتحدث فيها عن الإستقامة، ويصحح أخطاء الممارسة، وكان دائمًا يردد بيت الشعر العرفاني:

شكوت إلى وكيع، سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال فأعلم أن العلم نور ونور الله لايوهب لعاصي

كان دائمًا يوجهني بإدارة الجلسات الداخلية السلوكية للأخوات، وهي جلسات تقام في الصباح الباكر بعد صلاة الصبح مباشرة، للأخوات المقيمات في منزل الأستاذ، فكنت أصلى*[1] بهن الصبح، وبعد الصلاة أطرح موضوعًا يصلح للنقاش وكان يشير عليّ فى بعض الأحيان ببعض المواضيع التى يرى ضرورة طرحها، وهى أحيانًا تبنى على ملاحظاته الخاصة، وبعد طرح الرأى، يطرح الموضوع للنقاش، حيث تدلي كل واحدة برأيها، وكان الحديث يجري بنظام شديد، فمهما كان الخلاف في الرأي لايجري الحديث من أثنتين في وقت واحد ولا صوت مرتفع، وكان ذلك يجري أحيانا برفع الأصبع، أو أن تتحدث الواحدة تلقائيًا حين تحس أن التي قبلها قد توقفت عن الحديث، بعد نهاية الجلسة اقوم بتلخيصها، كان يطالبني ويحرص على أن ألخص الجلسة، وأن أركز وأبلور الرأي الذي أراه صحيحًا ثم أعرضه عليه، وكان يصحح كثيراً من الأراء أو يوافق عليها. وفي ذات مرة لم ألخص الجلسة ونهيتها بعد حديث أخر متحدثة، وقد انبني على ذلك وقال لي كيف تتركي الجلسة هكذا لابد من ختم الجلسة ببلورة الرأي الصحيح.

(1) الأخوات الجهوريات يصلين الأوقات جماعه بامامه واحده منهن.

مواضيع جلسات الأخوات:ـ

مواضيع جلسات الأخوات الصباحية هذه تكون سلوكية وتطبيقية، وكان الأستاذ يؤكد دائمًا على ضرورة الصدق وأحسن طرق التعامل الحضاري، والخلقي بين الناس، مثل كف الأذى وإحتمال الأذى والكرم والتواضع، ونبذ الأنانية، فالطريق لسعادة كل شخص يمر عبر إسعاده للآخرين، ويجيء الشقاء بالحرص على إسعاد الذات، وعدم التفكير في الأخرين، وكان يركز دائمًا على المحبة (الله محبة). كما كان يكرر ويؤكد دائمًا أن المجتمع الجمهوري يجب أن يكون متسامحًا، ومحبًا لأفراده ولخصومه في الرأي.. وعلى هذا النمط كانت تدور الأحاديث وتقام الندوات، وقد تستمر لعدة أشهر..

كانت توجيهات الأستاذ للأخوات على الطريقة المثلي لتعايشهن داخل المجتمع، ومظهرهن العام، توجيهاته في هذا الشأن تصل إليهن عن طريقي، إذ أنه كان يرى في كثير من الأحيان أنه ليس من الضروري أن يتحدث معهن مباشرة، في مسائل قد يكون فيها بعض الحرج. كانت معظم هذه التوجيهات توصيات بالإلتزام بالزي وفق ما دعا له.. هذا لايعني أنه لم يكن يتحدث إليهن، بل كان يتحدث إليهن كثيراً في مواضيع عامة يحددها، ويجيب على أسئلتهن وكانت غرفته دائمًا تزدحم بهن لينهلن من العلم وقد أسمى منزله (منزل الأخوات) كما ورد أعلاه.

إهتم كثيراً بتعليم المرأة، ويفرح لأي نجاح تحققه في الأسرة، أو في أي جزء من أنحاء المعمورة، مثل مواقف أنديرا غاندي، ومارجريت تاتشر.. إلخ، وكان

بشيد بشجاعة مارجريت تاتشر ووضوح وقوة مواقفها . وعندما ترشحت السيدة فرارو لرئاسة الولايات المتحدة في الثمانينيات ، كان فرحًا بذلك الخبر ، وكان يتابع سير الإنتخابات الأمريكية لمعرفة موقفها .

شجعني على التعليم الجامعي وما فوقه كما ورد في الصفحات السابقة ، وشجع تعليم الأخوات وإهتم كثيراً بنجاحهن ، وقد كانت جدران غرفته تزدان بصور تخريج الأخوات اللائي أكملن تعليمهن الجامعي ، وكان هذا العمل يحفز باقي الجمهوريات لإكمال تعليمهن ، حتى تضاف صورهن إلى الخريجات .

الإختلاط داخل المجتمع الجمهوري :-

الإختلاط في المجتمع الجمهوري كان يسير بحذر ودقة ، وبخطوات وئيدة تحت رعاية الأستاذ ، فلم يكن ذلك المجتمع منعزلاً ، كما أنه لم يكن مختلطًا على الطريقة الأوربية المفتوحة ، بل كان نموذجًا جديداً ، يقوم على العفة والعلم ، وكان يقول لنا دائمًا : (ليس هناك أفضل من المرأة العفيفة ، إلا أخرى أكثر منها عفة) ، كما يحرص على حق المرأة في المشاركة التامة في المجتمع ، والإستمتاع بجميع الحقوق القانونية كأنسان كامل الوجود . . كان الأستاذ يحفظ التوازن بدقة في إنتقال المجتمع الجمهوري من مجتمع منعزل إلى مجتمع عالم مختلط على نمط خاص من العلم ، فكلما نهلت المرأة من العلم والتربية ، كلما نالت درجات أزيد من الإختلاط ، فمثلاً كانت الأخوات يشاركن في النقاش الفكري الذى يدار في غرفة الأستاذ ، وفي صالون المنزل ، أسوة بالرجال ، ولكن كن يجلسن في جانب من الصالون حين يجلس الأخوان على الجانب الأخر ، وحين يكون الصالون ممتلئًا بالرجال ، تتسع الجلسة ويمتد جلوس الأخوات إلى الفناء الخارجي أمام الصالون ،

ويتخذ الأستاذ موقعًا وسطًا بين الأخوان والأخوات، أنظر (الصور)، (مقال هنري كودري).

أصبح منزل الأستاذ المقر الأوحد لحركة الأخوات الجمهوريات في الخرطوم. كانت تقيم في هذا المنزل إلى جانب الأسره بعض الأخوات اللائي لم يتوفر لهن قسط من التعليم، وهن في معظم الحالات من أقاليم السودان، خارج الخرطوم، فقد راى أولياء أمورهن أن أفضل وضع لهن أن يقمن مع الأستاذ، لينهلن من العلم والمعرفة ويتلقين التربية الدينية السليمة، وكذلك الفرص في حياة أفضل، ليلحقن بالركب. . . وأن تواجدهن في المجتمع الجمهوري أفضل لهن، من وجودهن في المجتمع العام. . كما كانت تقيم في هذا المنزل بعض الطالبات في الثانويات العامة والعليا، اللائي لم تتوفر لهن فرص التعليم في المدن الأخرى، وقد سعى الأستاذ سعيًا حثيثًا في إيجاد الفرص لهن، لمواصلة تعليمهن في الخرطوم، حيث فرص التعليم أكبر والمدارس أكثر، وفعلاً تم إستيعابهن في التعليم الأهلي والخاص، وكان الأستاذ يشرف على تعليميهن ويقوم بأعباء دراستهن، كما يوفر لهن كل إحتياجات الحياة ويجدن الرعاية والعطف في منزله فأصبحن ينادينه ب (أبوي الأستاذ) وهي كلمه تعني الوالد بالدارجية السودانية. . وقد سعى الأستاذ لتصعيد تعليميهن حيث أدخل بعضهن جامعة القاهرة فرع الخرطوم.

وأيضًا كان هناك كثير من الجمهوريين، يفدون من الأقاليم إلى العاصمة لتمضية إجازاتهم، وللمشاركة في نشر الدعوة، فقد كان الرجال يقيمون في منازل

الأخوان المرقمة(أ، ب، ج، د)[2]، حين تقيم أسرهم، الزوجات والبنات والأخوات في منزل الأستاذ، حيث كن يشاركن في العمل العام، وفي العمل المنزلي وإعداد الطعام للأعداد المتزايدة دومًا . .

في أوقات المؤتمرات السنوية التي تقام في الخرطوم، كانت هذه الأعداد تفوق المئات، كنت احاول أن أوزع بعض الأخوات في منازل القياديات المجاورة إلى منزل الأستاذ لتخفيف الضغط على منزل الأستاذ، ولكن الجميع يفضلون القرب منه والعيش في أصعب الظروف في منزله حتي نهاية المؤتمر. في مرة قلت له أن المكان في المنزل أصبح ضيقًا والأعداد كبيرة لايسعها المكان، فمد يده وقال لي وسعيه، وكان الأمر عجيبًا فعلاً ، كل الأعداد الكبيرة ظلت في منزله البعض يفترش الأرض ليلاً وينام، ومع ذلك وسعهم المنزل وهم سعداء. وبعد إعتقالات 1983 كان رجال الأمن يسألون كل واحدة من الأخوات أين تسكن فتتقول في المنزل رقم 242 بالثورة ، وهو منزل الأستاذ وكانوا يعلقون (هو المنزل دا اصلو شنو شايل الناس ديل كلهم).

مؤتمرات الفكر الجمهوري كانت تمثل قمة النشاط والعمل الجماعي المتصل، وكان الأستاذ كعهده دائمًا لايعرف الراحة يقوم بتنظيم الحركة، ويتابع تحركات أتيام العمل، ويستمع إلى تقارير العمل الميداني، ويعالج برفق وسعة أفق كل الأخطاء، التي تكون قد وقعت من الجمهوريين أثناء تبليغ الفكر الجمهوري للمواطنين. كان يعمل لنشر الفكر الجمهوري، ولكنه دائمًا كان يرعى المواطن المستمع الذي توصل له الدعوة ويأمر بلطف وحسن الخطاب له، ﴿ . . .وَقُولُواْ

(2) وهي عبارة عن منازل مؤجرة في مدينة أم درمان وبعض مدن السودان، يقيم فيها الأخوان.

﴿لِلنَّاسِ حُسْنًا . . .﴿٨٣﴾﴾ (سورة البقرة)، ويطالبنا أن لانكون حريصين على أن ننتصر بالرأي على المواطنين، وأن لانسعى لهزيمة خصومنا الفكريين، بقدر ما نترفق بهم ونوصل لهم كلمة الحق (الدعوة أساسًا للإصلاح). وقد أُعجب الأستاذ بتعليق احد المستمعين إلى ركن نقاش كنت قد قدمته، هو الأستاذ إسامة النحاس الذي قال معلقًا: (بتول تمتص الغضب وتعطي علم) وأخذ الأستاذ يستشهد بذلك التعليق كثيرًا ويوجه الأخوان بقوله(امتصوا الغضب واعطوا علم ولاتنتقموا لأنفسكم من المعارضين).

كان أثناء هذه المؤتمرات وفي كل الأحيان يركز على ضرورة تميز الأخت الجمهورية، من حيث السمت والمظهر الذي لابد أن يدل على عقلها، وكان يوصي الأخوات بالعلم والخلق، ويرى أن الجمهورية يجب أن تثير إنتباه الناس إليها بخلقها وعلمها ودينها، وأن تبدو للمجتمع كإنسانه، وليست كأنثى أنظر كتاب (تطوير شريعة الأحوال الشخصيه ـ وصيتى للنساء ـ)، وتطبيقًا لهذا النهج كانت الأخت الجمهورية حين تخرج من منزلها، تلبس الثوب الأبيض والفستان المحتشم تحته، ولا تكثر من الحلى، والتزين، مثل بقية النساء، كما لا تصفف شعرها بطريقة ملفتة، أنظر كتاب (الزي عنوان عقل المرأة وخلقها) من سلسلة عام المرأة العالمي 1975). . والصور في هذا الكتاب التي تظهر مشاركة الأخوات في الحركة الميدانية.

العقبات التي كانت تواجه قيام مجتمع للنساء الجمهوريات:ـ

لم يكن من السهل إقامة مجتمع نسائي منظم، لاتحده حدود صارمة عن مجتمع الرجال ثم يكون منضبطًا. تلك عملية شاقه وقد عانى منها الأستاذ بنفس القدر الذي عاناه من المعارضة الخارجية، كما عانيت أنا، وكان يقول عندما

يتحدث عن مجتمع الأخوات انه : (عبر التـاريخ لم يعـرف للنسـاء مجتمـع فكـري منظم له قيادة، وله قاعدة تطيع كل واحدة فيه من هي أعلى منها . .) . فقد كانت علاقات النساء في الماضى تدور دائمًا حول المنافسة على الرجل، ولعل السبب في ذلك أن للرجـل الحـق أن يتـزوج بأربعـة زوجـات ، كلـهن يتنافـسن علـى حبـه وإرضائه، ولـم يكن أفق المرأة ولا تطلعاتها، ولعهود طويلـة، يتعـدى أكثـر مـن الحصول على زوج ثم الفوز برضائه، ليس بسبب الحب ولكن من موقع ضـعف وخوف، فهي لـم تكن لتتعلم، وإن تعلمت لاتتعلم إلا في حدود أو بالقدر الـذي يؤهلها لتكون زوجة مطيعة، أما أن تحقق رصيدًا من العلـم والرقـي الإجتمـاعي لنفسها فهذا نادر الحدوث . . ولذلك كانـت إقامـة مجتمـع يحقـق للمـرأة كيانهـا الخاص ووضعها الفكري لـم يكن أمرًا سهلاً من جميع النواحي .

عملية ترشيد الأخوات الجمهوريات في المجتمع الجمهوري:-

كانت عملية الترشيد والتوجيه من الأستاذ للأخـوات تـتم بـأن أنقـل عـن الأستاذ للأخوات التوجيه للواحدة منهن أو للمجموعـة، مـن خـلال الجلـسات الخاصة بهن، وكان يدور حول ذلك التوجيه (حين يكون عامًا) الكثير من النقاش وتقليب وجهات النظر المختلفة، وكان يأمرني بتنفيذ الأمور العامة، فمثلا مسألة الزي المحدد الذي تلتزمه الأخت، فإذا حادت عنـه إحـداهن ولـو بقليـل، كـان يطالبني في ذلك اليـوم أن لاتخـرج للعمـل الميـداني لحمـل الكتـاب الجمهـوري، ومناقشة الفكرة الجمهورية مع الجمهور . . وحينما يحتد النقاش وتتباعد وجهات النظر في بعض الأمور، كنت أنقل له ذلك الخلاف، وكان يحسم الموضـوع بـرأي صـائب يقبلـه الجميـع وفي هـذا الجانـب أذكـر أنـه قـال للأخـوات في إحـدى

الجلسات : (بالطبع أنا لا أكون معكم في داخل المنزل، فأنتن عندما تنصرفون من هنا (يعني غرفته) تكونن في مكانكم الخاص، وبتول هي عيوني معكم داخل المنزل . .)، أيضا كانت تدور النقاشات حول المواضيع الفكرية المختلفة، ويرجع الأمر إلى الأستاذ ليوحد بين جميع الأراء في دقة ولطف كان يتحدث دائمًا عن الإنضباط والألتزام الشديد في التعامل ويقول لنا (بينكم جمهوريين ما جمهوريين اعملوا حسابكم) كان يعلم ان هناك من دخلوا بيننا وهم ليسوا بجمهوريين بعضهم منسوبون لجهاز أمن الدولة ويتجسسون عليه وبعضهم ينتمي إلى جهات معارضة للفكر الجمهوري دخلوا ليبثوا السموم داخل المجتمع، كان يعرفهم ويعاملهم بصدق وإخلاص وعطف، فهو يعرف مكمن مرضهم ولايظهر لهم أنه يعرفهم، وقد لاحظ بعض الأخوان ان هناك أشخاصًا غير معروفين لدينا يحضرون الجلسات ويحملون أوراقًا ويسجلون مايدور فيها، وأخبروا الأستاذ بذلك فقال (نحن واضحون وليس لدينا مانخفيه).

مشاركة الأخوات الجمهوريات فى حملات توزيع الكتاب والدعوة

الأخوات الجمهوريات في المعارض والفرح باديًا عليهن

أسماء وبعض الأخوات الجمهوريات فى المعارض

أحد المارة يستلم الكتاب من أحد اتيام الأخوات

عرض الكتاب على المارة

الأخوات الجمهوريات في احد المعارض
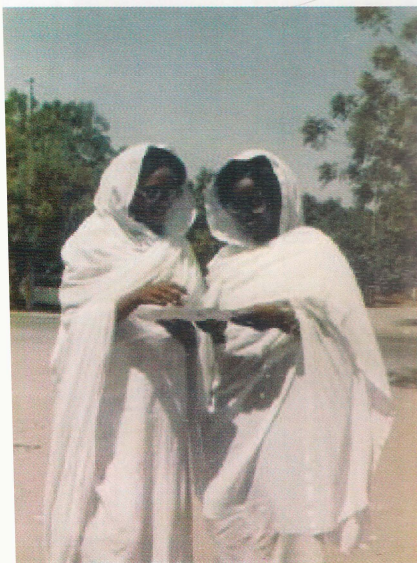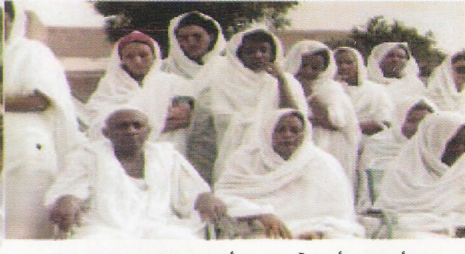
د.بتول (المؤلفة) مع الآستاذة أسماء

الأستاذ وأمنا آمنة والأخوات الجمهوريات

الأستاذ محمود يشرف على أتيام حملات الكتب
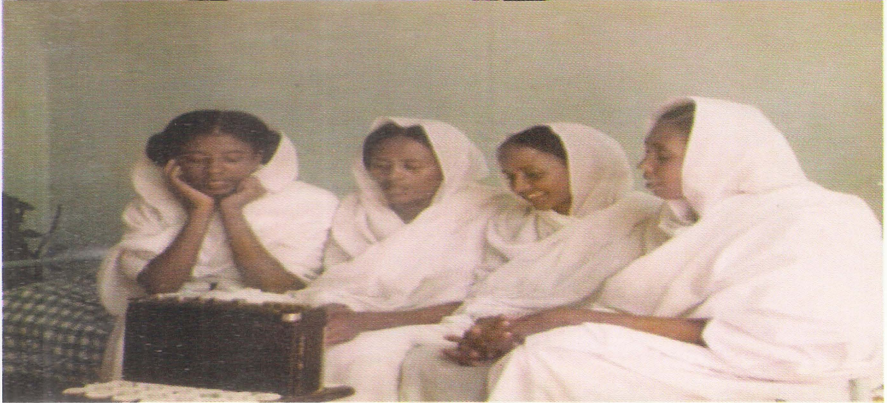
الأخوات الجمهوريات ينشدن ويسجلن الإنشاد العرفاني

الأخوات الجمهوريات داخل البص في الطريق لحملة الكتاب

صورة جماعية لأتيام الأخوات في حملة الكتاب لمنطقة الخرطوم بقيادة المؤلفة

الأخوات الجمهوريات في حملة الكتاب يشرحن الفكرة للمارة

سميه محمود تشرح موضوع الكتب لأحد المارة في الطريق العام

الأخوات يشرحن موضوع الكتاب للمارة في الطريق العام

الأخوات يتحركن للعودة بعد نهاية حملة الكتاب في الخرطوم

الأخوات يعرضن كتب الفكرة على المارة

حمل عصاه على عاتقه يستمع إلى الهدى

الأخوان والأخوات والأيادي مرفوعة يودعون الذاهبون إلى حملات الدعوة

ختام أحد المؤتمرات ووداع ورحيل الوفود الراحلون إلى مدنهم، أمام مترل الأستاذ

صورة جماعية للأخوات الجمهوريات امام قاعة الصداقة بالخرطوم

صورة جماعية لأتيام حملة الكتاب من الأخوات والأخوان الجمهوريين أمام قاعة الصداقة بالخرطوم

كانت أعداد الأخوات في المنزل في معظم الأوقات كبيرة، ومع ذلك يتم الإشراف عليها بطريقة دقيقة ومرنة، وكان ليطمئن أن كل واحدة منهن قد تناولت طعامها، مثلاً يحرص أن يتناولن الوجبات معه في سفرة واحدة. كل الوجبات أحيانًا تتم داخل غرفته، أو في الصالون أو الفناء الخارجي، (الحوش) حيث توضع السفرة وهي (صينية كبيرة تسع عشرة أشخاص) على منضدة وحولها الكراسي، كان الأستاذ يتخذ موقعه في الوسط، وتتوالى الأخوات على تناول الطعام، كلما تنتهي مجموعة تقبل مجموعة أخرى، وهو لايبرح مكانه، حتى تتناول كل واحدة منهن طعامها. . كان يوصي ولا يحبذ أن يسرع الشخص بالقيام من السفرة، خاصة إذا كان هذا الشخص هو صاحب المنزل ولتوكيد هذا المعنى، كان يحكي قصصًا لطيفة في هذا المجال، أذكر في مرة اني هممت بترك السفرة بعد أن أخذت كفايتي من الطعام، قال لنا مشيرًا إلى موقفي (أن أحد الشيوخ كان يتناول طعامه مع مجموعة من ضيوفه فقام أحدهم قبل الأخرين قائلاً: "الحمد لله" فرد عليه الشيخ: الله غير محتاج لحمدك أبقى مكانك لتجامل الناس الذين يأكلون معك)، وكان هو يفعل ذلك مع أنه لا يكثر من الطعام ولكن يأكل ببطء حتى يمهل الجميع.

كذلك كان يرعى حالة الأخوات الصحية، في كل صباح يسأل كل واحدة عن حالها، إذا كان هناك من تشكو من أي علة، وإذا وجدت حالة، يستدعي لها الطبيب (من الجمهوريين) ويتابع العلاج بنفسه. . كذلك يوفر العطف والعناية اللازمة لأمهات وأباء وأطفال مجتمع الجمهوريين. بل أكثر من ذلك كان همه الكبير بكل السودانيين في كل أنحاء البلاد فقد كان يتابع ويحس بمعاناتهم وكان

حتى عندما يشرب الماء يحمل كوب الماء في يديه وينظر إليه ويقول: (مثل هذا الماء الناس في غرب السودان لايجدونه).

ويهذا الجهد المبذول من جانبه أصبح مجتمع الأخوات محدد المعالم، من القياديات إلى القواعد، هناك أربعة قياديات مرتبات، كل واحدة تلي الأخرى، ثم تتبعهن أخريات، كل واحدة تتولى المسؤلية في حالة غياب الأخرى، يقوم هذا الترتيب على الإلمام بالفكرة الجمهورية والإعتقاد فيها والإلمام بثقافة العصر، وفوق ذلك التقدم الروحي لكل منهن، ففي ذات مرة قال الأستاذ أنه يتابع تطور الأخوات الروحي والفكري، وذلك بتتبع سلوكهن وفهمهن لقضية المرأة، كما قال لي ذات مرة: (إني أرى التطور الروحي لتلاميذي كما يُرى الزيت في الزجاجة). كذلك كان يفعل مع الأخوان وقد أصبح مجتمع الأخوان أيضًا محدد المعالم من القياديين، ويتميز عن المجتمع العام ولكن الأستاذ، كان يبذل مجهودًا أكبر، مع مجتمع الأخوات وذلك لأنهن لم يعهدن في التاريخ السابق العمل الفكري والديني المنظم، فليس لهن ماضي في هذا الجانب مثلما كان للرجال، ومن هذا المنطلق كان أكبر نصير فعليًا، وايجابيًا، للمرأة، وليفتح الطريق لعزة المرأة، عمل لإصلاح قوانيين الأسرة، السائدة في المجتمع الآن، فقد رأى أن هذه القوانيين قد أستوعبت حاجة المرأة، حينما كانت عاجزة وضعيفة وجاهلة، أما الأن ففي وقت تعليم المرأة وعزتها، وإزدياد حاجاتها وتطلعاتها، وتبؤها أعلى المناصب، فإن هذه القوانيين تعمل على هضم حقوقها. ولذلك لابد من تطويرها وفي هذا الصدد أصدر كتابه (تطوير شريعة الأحوال الشخصية)، وطرح فيه الحلول الجذرية لقضية المرأة، وقد قصد هذه الشريعة بالتطوير، لأن الأسرة هي

نقطة الإنطلاق لكل فرد في المجتمع. لذلك عمل في هـذا الكتـاب، علـى وضـع اللبنة الأولى بالوضع المتساوي بين المرأة والرجل في الزواج، وقد كان هذا الكتاب عميقًا وعالي النسق. . . لذلك في عام 1970 أصدر كتابًا مرحليًا يعتبر خطوة نحو ذلك الكتاب أسماه (خطوه نحو الزواج في الإسلام)، شمل هـذا الكتـاب بعـض الحقوق المرحلية للمرأة المستندة على الشريعة، لتكون سلمًا ترتفـع بـه لحقوقهـا الأساسية الكاملة في كتاب (تطوير شريعة الأحوال الشخصية)، الذي يقوم علـى أصول القرآن ففي كتاب (خطوة نحـو الـزواج في الإسـلام)، كـل الحقـوق ملـك للرجل، كما هو قائم في الشريعة، يتنـازل عـن بعـضها بـالتفويض للمـرأة مثـل تفويض المرأة في العصمة، وشرط عدم تعـدد الزوجـات، وكـذلك عـالج الحـق المتساوي في حضانة الأطفال في حالة الإنفصال، وبهذا تكون المـرأة قـد وضـعت قدمها في بداية الطريق لنيل عزتها وكرامتها. . وكان المقصود من هذا الكتـاب أن تقوم على أساسه عقودات زواج كل من يرغبون في الـزواج في تلـك المرحلـة مـن الجمهوريات والجمهوريين، ولهذا العقد مميزات واقعية، منها أنه يعطي المرأة حق أن تحضر عقد زواجها، وتوقـع علـي العقـد، أسـوة بالرجـل، ويتحـدث عنهـا وكيلها، كما يتحدث عن الزوج من يوكله. . كما ورد في الـصفحات الـسابقة، عقد الزواج يتم في حفل بسيط يضم الأهل والأصدقاء من الجمهوريين، ومن أسر الزوجين، وتحضر العروس العقد، وتوقع على قسيمة العقد، وهـذا علـى غـير المعهود في المجتمع السوداني. يقدم في هذا الحفل البلح وعصير الليمون، ويقـدم بعده شرحٌ مبسط لمعاني وأهداف ومحتويات العقد التي تضمنها كتاب (خطوة نحو الزواج في الإسلام) وتشتمل أن يفوض الرجل زوجته في حق الطلاق، إذا شاءت تطليقه، على أن يتم ذلك بضوابط، منها حضور الحكمين، وكذلك لها حـق أن

تشترط عليه أن لايتزوج عليها، إلا للضرورة القصوى، مثل المرض المقعد، أو عدم الإنجاب، وذلك بعد الكشف الطبي، بتدخل الحكمين في كل الحالات، كما هو وارد فى الكتاب. يقابل هذه الحقوق أن تتنازل المرأة عن بعض الأشياء التقليدية، على أن يكون المهر رمزيًا جنيهًا واحدًا، وتأخذ باقي المهر حقوقًا معنوية وأدبية. وقد أكد الأستاذ محمود مرارًا، أن هذا العقد الذي حواه هذا الكتاب، ليس للجمهوريين، وإنما لعامة الشعب وأن زواج الجمهوريين يتم على كتاب. (تطوير شريعة الأحوال الشخصية)، الذي يتم من غير ولي، ومن غير مهر مادي مع وجود الشاهدين وتكون الحقوق المتساوية فيه بالأصالة، وليست بالتفويض، وكان يقول للجمهوريين في الجلسات ما معناه يجب أن توسعوا قاعدة الوعي وتنشروا الفكر الجمهوري في أوساط الشعب، حتى تتزوجوا على تطوير شريعة الأحوال الشخصية، وقد اعد قسيمة ذلك الزواج بقلم يده..

فقد كان كتاب (خطوة نحو الزواج في الإسلام)، خطوة حقيقية لإكرام المرأة.. وقد بدأ الزواج على أساس هدا العقد في 11 ديسمبر من عام 1970 بزواج اكبر إخوتي، وقد إستمر الزواج على أساس هذا العقد في وجود الأستاذ بتدقيق وضبط شديدين، في الفترة 1970 إلى 1983، حتى بلغ المئة زيجة، وقد كان الزواج على هذا العقد، نقطة تحول فعلية في علاقات النساء بالرجال في المجتمع الجمهوري وفي المجتمع السوداني أرتفع بالمرأة الجمهورية، عن مجال السطحية والتفاخر بالثياب والمجوهرات والمهر، إلى تحقيق الحقوق والكرامة، وقد كانت الزيجات أكثر في أوساط الجمهوريات اللائي لم يتلقين قدرًا أوفر من التعليم الأكاديمي، واللاتي لم يعملن أو كن قد دخلن مجالات العمل في مستويات

بسيطة، وكان يحفز اللائي وجدن قدراً أكبر من التعليم لتحقيق سجل أعلى ثم الزواج بعد ذلك، وبفضل هذا الترشيد بلغت بعض الجمهوريات درجات أكاديمية وعلمية عالية، لم يبلغها الكثير من الرجال، وقد حفظ الأستاذ قدراً كبيراً للمرأة بتعليمه للأخوات، تدخل ذات مرة في بعض النزاعات التنظيمية وأمام عدد من الحضور قائلاً: (نحن، لولا المجتمع لوضعنا على رأس هذا التنظيم أخت)، وكل حين يقدم الأخوات إلى مواقع حساسة في التنظيم، وكانت أكبر هذه الخطوات، المشاركة الفكرية التامة في نشر الفكرة الجمهورية، فالقياديات منهن يقدمن المحاضرات، ويدرن أركان النقاش في الجامعات، والأندية، والأماكن العامة والأسواق، وكلها ندوات طويلة أو مختصرة، تشرح الفكرة الجمهورية ويبسطن أكثر معاني الفكرة صعوبة للمواطن العادي، مثل رأي الفكرة الجمهورية في صلاة الأصالة والتقليد والاشتراكية والديمقراطية، والمساواة بين جميع البشر لمقتضى انهم بشر، بصرف النظر عن ألوانهم وألسنتهم وأديانهم، وكان منظر الأخوات الجمهوريات في تلك الفترة، وهن يحملن الكتب في الأسواق، ويلتف حولهن الناس، منظراً مألوفا في شوارع الخرطوم. كل هذه الحركة كانت جديدة ولها طابعها الخاص، وحيويتها ومذاقها الفريد، الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ، ولذلك وتقديراً لهذه الكوادر كان الأستاذ دائمًا يقول: (مؤلفاتي تلميذاتي وبناتي). وكانت المرأة العالمة هي أعظم كتاب اخرجه الاستاذ للناس، لذلك كانت جميع الأخوات يتحمسن للخروج في هذه الحركة لحمل الدعوة والفكر (أنظر الصور)... أما على الجانب الأخر فقد سببت هذه الحركة فزعًا وإنزعاجًا شديدين للمعارضة السلفية، التي أخذت تتربص بالأستاذ والحركة الجمهورية.

الفصل السادس

طابع حياة الأستاذ وبرنامجه اليومي

أوضح ملامح حياته، هو تطابقها التام مع فكره، دائمًا تبدو عليه مسحة حزن، لا يظهر فيها ضيق ولاضجر، تنفرج بإبتسامة تبرق، فتضي وجهه، كلما إستقبل ضيفًا، فتشعر الضيف بالترحاب والأمان(أنظر الملحق "مقال هنري كودري")، جاداً في كل شئ. . ينظر دائمًا بعيداً، وينفذ كل شئ بقوة وحزم. كان يردد دائمًا عبارة (أمرنا كله جد، من أعطى الجد، يعطى الجد)، يكثر من التأمل والجلوس على مصلاه خاصة في أوقات السحر. . كلما مرت الأعوام كان يظهر أن فكرته هي همه الأكبر. الفكرة الجمهورية أصبحت تمثل كل حياته، وكل شئ في حياته مستوعب في إطارها، يقضي يومه في تنظيم الحركة، تنظيم حملات الكتب والدعوة، متابعة الحركة اليومية في الميدان، الإطلاع على التقارير والجرائد الحائطية التي تكتب للجامعات، الذكر اليومي أمام منزله، والجلسات الصباحية والمسائية، ومجاملة ضيوفه من جمهوريين وعامة الناس، والصحفيين، يضاف إلى كل هذا تأليف الكتب. .

في بداية السبعينيات ظهرت منازل الأخوان، فأخذ يشرف عليها ويتابع نشاط الأخوان، وتحركاتهم من المدن الأخرى إلى هذه المنازل، ويراجع كل شئ فيها. . . كلما مرت السنوات كانت حياته تأخذ طابع التجرد للفكرة الجمهورية أورد فيما يلي نموذجًا من برنامجه اليومي :ـ

1) بعد صلاة الصبح ننصرف نحن الأخوات من حجرته إلى الصالون حيث الجلسة الصباحية للأخوات، ونعود بعد نصف ساعة لننقل ما دار في تلك الجلسة. .

تستمر الأخوات في مجلسه ثم ينصرفن ويعدن لتحية الصباح والشاي وفي تلك اللحظات كان يسأل كل واحدة عن صلاتها في ثلث ذلك الليل، ثم يسألها عن رؤاها في تلك الليلة، كان يهتم بالرؤى، لا ليرسم عن طريقها المستقبل، بل ليتعرف من خلالها على حالة الفرد النفسية، ويصل عن طريقها إلى المخاوف، والآمال، والعقد النفسية. وكان يعمل لمساعدة كل من يعرف عنه شيئًا من هذه العلل، ويسعى لتخليصه بشتى السبل التي يراها، مثلا إعادة الثقة بالله وبث الطمأنينة في نفوس الخائفين كتب احد الشعراء الجمهوريين (اراك فأزدهي أمنًا * أراك فينجلي حزني)، ويحدث كل فرد بتحويل همه على الله، ويقول له: (أجعل الله همك يكفيك مايهمك)، وأحيانًا يناقش البعض في تفصيل رؤاه بطريقة خاصة وفردية، ثم يسأل كل واحدة من الأخوات عن حالها من الرضا بالله، بطريقة فيها الكثير من الود والأبوه واللطف، كان يقول لها: (كيف حالك مع ربك ؟ مصالحة ولا مخاصمة؟)، يعني راضية أم غير راضية بالله . . . كان يهتم كثيراً بعلاقات أفراد المجتمع الجمهوري ببعضهم البعض، ويعمل لإصلاح ذات بينهم، وكانت تلك أكثر مشاكل المجتمع تعقيداً . . .

2) فيما بين الساعة السادسة والنصف والسابعة صباحًا يجتمع كل من يتيسر له الحضور من الأخوان في صالون منزل الأستاذ ويبدأ هذا الجمع، بحضور الأخوات المقيمات بالمنزل، ثم تبدأ جلسة الإنشاد الصباحية والقرآن، ينصرف بعدها الأخوان إلى مواقع عملهم، وفي جلسة صباح كل سبت تقرأ جريدة جامعة الخرطوم الحائطية، وهي جريدة كان يخرجها الطلبة الجمهوريون في

الجامعة منذ سنوات، كانت تصدر تحت أسم(عطارد) ، ثم أصبح إسمها لاحقا الفكر، كما اقترح الأستاذ. بعد إنصراف الطلبة للجامعات والموظفين إلى أعمالهم، تستمر الجلسة مع باقي الأخوات المقيمات في المنزل، ثم ينصرفن لإعداد وجبة الإفطار التي يتناولنها معه، وهو يرتاح دائمًا للأكل السوداني البسيط المكون من(الكسرة) وهي خبز مصنوع من الذرة السوداني (والملاح) ولايطيق غيرها وفي إعتقادي مع بساطتها لها طعم ومذاق لايوجد في اشهى الوجبات التي تقدم في موائد الدنيا ـ تفاصيل أكثر في باب التحدث عن طعامة . .

3) وقت راحته كان دائماً بين الحادية عشر والنصف إلى الواحدة ظهراً وفي كثير من الأحيان يقطع الزوار هذه الراحة وكان لايقبل أن اصرف احد الضيوف بحجة ان الأستاذ في وقت راحته وكان يقول لي : (إن الناس يتحملون المشاق للوصول إليُ فكيف ترديهم بحجة أني في وقت راحة) يجب أن أقابل كل قادم للزيارتي، وأحيانًا يستغرق وقت الراحة في مراجعة بعض الكتب التي يعدها الجمهوريون، وتصدر تحت أسم (الاخوان الجمهوريون) .

4) في الواحدة والنصف ظهراً يخرج إلى الصالون لمقابلة الأخوان القادمين من جامعة الخرطوم وجامعة القاهرة فرع الخرطوم، للإستماع لما دار في أركان النقاش التي إقيمت هناك، وهي أركان نقاش حول الفكرة الجمهورية، يقيمها الطلبة الجمهوريون يوميًا في تلك الجامعات مابين الحادية عشر والواحدة ظهراً، يشترك في تقديمها الأخوات والأخوان ويشارك فيها بالنقاش عامة الطلبة .

5) من الساعة الثالثة وحتى الرابعة بعد الظهر ، تبدأ وجبة الغداء ، وكان يجلس أخر الناس إلى السفرة ، ويشرف على إطعام الضيوف بنفسه ، حيث يجلسون في مجموعات إلى السفرة ويتأكد من أن كل فرد قد أخذ كفايته من الطعام ، وكان لا يغادر المائدة حتى يغادرها الجميع .

6) في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر يبدأ الذكر بأسم الله المفرد(الله ، الله ، الله . .) ويستقبل مجموعات الأخوان التي تقبل على منزله في مسيرات راجلة من منازل الأخوان المجاورة ، التي ذكرت سابقًا ، رافعة الذكر ، يستقبل الأستاذ تلك المسيرات القادمة أمام المنزل ، يستمر الذكر حتى آذان المغرب حيث ينصرف الناس للصلاة ، وبعد الصلاة يطلع على تكوين (الأتيام) ويراجع عدد الكتب وأسماء وأعداد المشتركين في حركة حمل الدعوة في الميدان ومواقع الحملات في المدن الثلاثة أم درمان ، الخرطوم والخرطوم بحري ، بعد ذلك يركبون البصات المتجه إلى تلك المواقع . تشترك الأخوات بأتيامهن الخاصة على قدم المساواة مع الأخوان ، في حركة نشر الدعوة ، من حمل كتاب وحلقات نقاش ، وكنت أقوم بإعداد هذه (الأتيام) وقياداتها (أنظر الصور ، الأستاذ يراجع الأتيام مع المؤلفة) .

7) بعد الساعة التاسعة مساء تجتمع كل أتيام الحركة الميدانية في منزل الأستاذ ، حيث تعقد جلسة كبيرة في الميدان الواقع جنوب منزله ، يستمع فيها إلى تقرير شامل عن كل ما حدث في الحركة الميدانية ، يقدم قيادي الأخوان تقريراً عن الأخوان وأقدم أنا تقريراً عن أداء الأخوات ، في هذا الإجتماع ينظم عمل الغد ويتناول الأخوات والأخوان وجبة عشاء خفيفا ، بعدها ينصرف الأخوان إلى

منازلهم، ويتم ترحيل الأسر التي شاركت في الحركة بعربات الأخوان إلى منازلهم، وكانت عربتي تشارك في توصيل الأسر، وتبقى الأخوات المقيمات في منزل الأستاذ. في ذات يوم في فصل الصيف وضع سريراً امام حجرته وهممنا ان نودعه لننصرف للمكان المخصص للنساء، وكنت عادة اخر من يودعه، وقد حاولت احدى الأخوات ان تنصرف بعدي، وقد لاحظ الأستاذ ذلك فحكى لنا قصة متنافس بريطاني في الإنتخابات البريطانية هزم جميع منافسيه وبقى له منافس واحد، فقال:

(Mr... is the least I want to the last of) ومجاراة لتلك العبارة قال الأستاذ: " Batoul is the least I want to the last of ". وقد فهمن ان الأستاذ يريد ان تكون بتول آخر من ينصرف عنه) وفعلن..

هكذا كان برنامجه اليومي لاشيء غير الفكرة الجمهورية وهو صورة لرجل وظف كل وقته لإصلاح نفوس الناس وتقويمها على النهج الإسلامي الصحيح.. كان يخرج في بعض عصريات الجمع لزيارة بعض المرضى في المستشفيات ترافقه زوجته أمنا آمنة محمد لطفي عبد الله، وبعض من الأخوات الأخوان..

الأطفال في عالم الأستاذ محمود:-

يضع الأستاذ للأطفال إعتباراً خاصاً، يؤمن إيماناً عميقاً بأن الأطفال يمثلون النقاء والبراءة التي لم يمسخها أو يغيرها النفاق الإجتماعي الذي يكتسبه الإنسان أثناء الكد والبحث عن العيش.. ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ (سورة

المطففين)، يقول الأطفال عالميون، فهم يقبلون على كل الناس ويبتسمون لكل الناس فالأطفال صفحة نظيفة من البراءة، التي خلق الله الناس عليها، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يمجسانه أو ينصرانه)، الفطرة هي سلامة العقل وصفاء القلب. . قال أن الطفل يعتقد أن والده يستطيع أن يفعل كل شيء، حكى لى ذات مرة أن محمداً أبنه "الذي توفى غرقًا عام 1954" قال له: (محمود جيب لي خاتم المنى)، قال لي: (أنا منذ ذلك اليوم في رحلة لأحضر له خاتم المنى)!.

يوفر للأطفال كل الإحترام، ويصرعلى أن يتناولوا طعامهم قبل الكبار، وبصورة أنسانية مثل نوع الطعام والأواني التي يقدم عليها، ثم مكان الجلوس للطعام. . . إذا أقبل على الجلوس في مقعده الخاص ووجد طفلاً جالسًا عليه لاينهضه ليجلس مكانه، وإنما يبحث عن مقعد آخر، وقد أخذ الجمهوريون عنه هذا السلوك، فهم لايخلون أي طفل من مقعده ليجلسوا عليه، حتى صار هذا تقليداً في المجتمع الجمهوري. .

يجتمع حوله الأطفال منذ الصباح الباكر، ويأخذهم إلى جواره ثم يجلسهم على حجره ليأخذوا كوب الشاي من يديه وتراه كثيراً يحول الشاي من كوب إلى كوب آخر ليصبح بارداً للطفل، يهرع إليه الأطفال في كل وقت ليحتموا به إذا تشاجروا فيما بينهم أو ظلمهم الكبار، ويبلغونه تظلمهم حتى في أثناء الإجتماعات وكان يقطع الإجتماع، ويستمع إلى الشكوى، ويطيب خاطر الطفل (انظر الصور)، ثم يواصل الإجتماع. في ذات مرة كان يرتدي ملابسه كاملة وهي الجلباب السوداني والعمة والشال، في طريقه إلى الخروج من المنزل، وتعلق به

طفل فحمله بين يديه وسرعان ما أعاده إلى الأرض، فقد كان الطفل متسخا فإلتفت ناحيتي وقال لي: (الجلباب النظيف فصلني عن الحياة)، لينه مع الأطفال يذكرني بيت إدريس جماع: (هين تستخفه بسمة الطفل، قوي يصارع الأجيال).

إعتنى بالأطفال وشجع على قيام فصل لترشيدهم، كنت قد بداته أنا وإحدى الأخوات وواصلت فيه أخرى بعدنا، الفصل يهدف لتعليم الأطفال منذ الصغر، السلوك الإنساني مثل الطريقة المثلى للتحية والإعتذار والشكر وكذلك طرق الأكل والشرب..

أحبه الأطفال كثيراً، وتعلقوا به، وإفتقدوه في إعتقاله الأخير، وقد حاول بعضهم، وهم دون سن الدراسة، ولم يتعلموا القراءة والكتابة بعد، أن يكتبوا له الخطابات، فكانوا يرسمون له خطوطا منظمة ويضعونها على الظروف ويرسلونها له، وكان ينظر إليها مليًا وهو يبتسم، فتدخل عليه الكثير من السرور. فقد كتبت له إحدى الطفلات خطابًا وكان الخطاب عبارة عن خطوط هكذا (=..=..=) وحملته له في المعتقل، علق الأستاذ على ذلك الخطاب بأن هذه الخطوط هي لغة القلوب، وهى تعبير عن الشعور بالمحبة من غير المقدرة على الكتابة، وفي إحدى زياراته للسلاح الطبي للمراجعة الطبية في فترة إعتقاله وقد كنت اصحبه، قابلته تلك الطفلة مع والدتها فإنحنى لها الأستاذ وقبلها على خدها وقال لها: (شكراً على خطابك فقد وصلني وكان جميلاً، وقد فهمته..) وبعد تنفيذ الحكم الجائر بإغتياله، أخذ رجال الأمن يهجمون على منازل الجمهوريين يفتشونها بطريقة همجية ويصادرون الكتب وأشرطة المحاضرات وينزلون صور الأستاذ التي تكون دائماً معلقة على الجدران في غرف المنازل، وعندما أخذوا تلك

الصور من أحد المنازل واجهتهم طفلة قائلة لهم : (إنتوا اخذتوا صوره من الحيطان ، ولكن الصور موجودة في قلوبنا ماذا ستفعلون لها ؟) ، كانت عبارات قوية وغريبة تصدر عن طفلة وهي في عامها الخامس !! . . .

مواقيت نومه :ـ

كان لاينام إلا قليلاً . . . . ففي المساء وبعد نهاية الجلسة المسائية ، وإنصراف جميع الضيوف والأخوان إلى منازلهم ، كان يجلس إلى السفرة للعشاء الذي يكون غالبًا في الصالون أو في غرفته ، وتتجمع الأخوات لتناول وجبة العشاء معه ، ولا يترك أيًا منهن تذهب للنوم من غير تناول وجبة العشاء ، ومن لا تريد طعامًا يقدم لها كوبًا من الحليب أو العصير . . يجلس إلى المائدة ويأكل قليلاً . . قليلا ، وكلما إكتفت مجموعة من الأخوات ، تقبل مجموعة أخرى ، وبعد إنتهاء وجبة العشاء لا يذهب إلى سريره إلا بعد أن يتأكد أن الجميع قد أخذوا مواقعهم وأنهم مرتاحون في تلك المواقع ، وأن أبواب المنزل الخارجية قد أوصدت ، وعندما يكون معه البعض في الغرفة ، وليس هناك موضوع أو عمل يعمل ، كان يقول لهم دائمًا : (كان ما سوينا خير ، النوم أخير ، نوموا مبكرين ، علشان تقوموا الثلث الأخير من الليل) . وكان دائمًا يذهب إلى سريره بعد الحادية عشر يفضل النوم على جانبه الأيمن ، ينام ساعة أو ساعتين وأحيانًا نصف ساعة ثم يستيقظ ليجلس على مصلاه ، كان يشجع الجميع على قيام الثلث الأخير من الليل ، كلما يلاحظ أن أحدنا قد أكثر من النوم كان يردد مقولة الصوفية : (فاتوني الآقوام لومي أنا النوام) ، وكانت تلك إشارة لطيفة للتنبيه لقيام الليل . يكثر من الوضؤ وهو يتلو سورة يسن ، ويطلب منا ذلك وكان كثيراً ما يحببنا في حفظ هذه السورة بترديد

الحديث النبوى الشريف ، (لكل شيء قلب وقلب القرآن يسن ، ويسن لها قلب " سلام قولاً من رب رحيم ") .

زي ولبس الأستاذ:.

له لبسة كثيراً مايرتديها في المنزل وفي الأيام الأخيرة ، خرج بها في المحطة الوسطى في الخرطوم للمشاركة في حلقات الذكر وهي الثوب والسروال الطويل والقميص البلدي (الزي القومي المعروف في مدن وسط السودان) ، (أنظر الملحق مقال هنري كودري والصور) في فترة الخمسينيات وحتى عام 1967 ، كان يرتدي القميص والرداء الأبيض والشرابات البيضاء الطويلة وهذا الزي الذي يذهب به للعمل وأعتقد أنه كان يساعده على سرعة الحركة . . . إلى جانب هذا كان يلبس القميص والبنطلون والبدلة وربطة العنق ، وهذا الزي كان يظهر به في الأعمال المكتبية الأخرى ، كما كان يرتديه عندما كان يأخذنا كل يوم خميس وأحد من أجل الترفيه إلى السينما أوالحدائق العامة والمسرح القومي لحضور المسرحيات والفرق الأجنبية الزائرة . . كان حتى بداية السبعينات يستأجر مكتباً في الخرطوم في السوق العربي ، في عمارة رجل أعمال سوداني ، أسمه أب نعوف سليمان ، وكان ذلك المكتب بإيجار بسيط وعندما إرتفعت الإيجارات أخلى المكتب وسلمه لصاحبه ، وقال لي عن ذلك : (أننا كنا نستأجر ذلك المكتب بسعر قليل ، وعندما إرتفعت الإجارات سلمناه لصاحبه ليستفيد منه) وقد حكى لي أحد أصدقاء الفكر الجمهوري ، أنه قابل أحد أبناء صاحب تلك العمارة خارج السودان ، وقال له أنهم منذ أن ترك الأستاذ ذلك المكتب لم يستأجروه لأحد وظل مغلقًا بأسم محمود عليه . .

عند خروجه في الأمسيات وأيام الجمع، كان يلبس الجلباب والعمة والشال والمركوب السوداني (وهو حذاء بسيط محلي الصنع) . . أما في المنزل فكان يرتدي السروال الطويل، وفوقه القميص البلـدي، وأحيانًا فوقـه (فـردة) ثـوب محلـي مصنوع من الدمور، أو ثوب من القطن الخفيف (أنظر الصور) . .

في عام 1967 تخلى عن العمل الهندسي، وأهدى كل ملابس العمل والبدل إلى أخوتي الكبار، وبعض معارفه. منذ ذلك التاريخ لم أره إلا في الزي السوداني القومي الجلابية والـشال والعمامـة، أو القمـيص والـسروال الطويـل، والثـوب الأبيض، والأخير زي قومي معروف فقط في الأريـاف، أكثـر مـن المـدن (انظـر الصور). منذ عام 1967 إتجه نحو البساطة أكثر فأكثر. . كان لايـشتري الثيـاب الجديدة إلا إذا بليت القديمة تمامًا، ودائمًا يردد لنا حـديث الـنبي صـلى الله عليـه وسلم للسيدة فاطمـة: (إن أردت أن تلقـيني يـوم القيامـة فلاتغـيري ثوبًـا حتـى ترقعيه)، (أنظر الملحق خطابات الأستاذ من المعتقل للمؤلفة). كان دائمًا مظهره بسيط ووسط، ولا يغالي في اللبس، وفي ذات مرة أهداه أحـد الجمهـوريين كبـار السن، كمية من القماش يصلح لعمل قمصان فسألنى: (هل أبـدو مقطعًـا حتـى يهدى لي الناس ملابسًا ؟). وقد اهدى ذلك القماش لاحد زواره .

منذ عام 1974 وحين بدأت العمل، كنت أهتم كـثيراً بتجهيـز ملابـسه، وكنت أفرح فرحًا شديداً عندما أراه يرتديها . . وقد كان هناك ترزي معروف من الجمهوريين في السوق العربي في الخرطـوم، كنـت أحـضر لـه القمـاش، فيقـوم بتفصيله، وكان هو الأخر يسعد بتلك المهمة . .

كان بعض أصدقائه كثيراً ما يهدون له أقمشة، ولكنه كان لا يستعملها بل يهديها، ولذلك كانت هداياه للناس كثيرة، ومتواصلة، حتى بعض الملابس التي كنت أعدها له (مع أنه لا يهدي الملابس التي أجهزها له كثيراً)، كان يقدمها لمن هو أكثر حاجة إليها يعطي ملابساً لكل من دخل عليه بملابس بالية، أو طلب ملابس، وكثيراً ماكنت أفحص حقيبة ملابسه فأجدها شبه خالية، فأعوض الملابس التى أهداها . . وعندما كنا في الثانوية العامة كانوا يعلموننا إعداد فنائل البرد، فكنت أعدها في مقاسه، ولكنها لاتستمر معه حتى نهاية الشتاء، فقد كان يهديها . . أذكر في طفولتي كنت أغضب عندما أراه يهدي تلك الفنائل، ولكن لا أظهر له الغضب، وفي السبعينات عندما أشتري له فنائل البرد كان أيضا يهديها للمحتاجين.

أهدت له إحدى شقيقاته بعد عودتها من الحج في الستينيات، مفرشًا من الحرير الجميل، وكانت تريده أن يستعمله . . طلب منه أحد الفقراء مساعدة لزواج أبنته، فأهداه ذلك المفرش. وعندما عرفت عمتي ذلك غضبت غضبًا شديداً ولامتنا بأننا قد تركنا له ذلك المفرش في متناول يده، حين دخل عليه ذلك الرجل، ومهدنا له ليهديه. فذهبت إليه محتجه في غرفته تسأله عن المفرش، فقال لها: (هل ما زلتي تريدينه؟، أتريدي أن تأخذيه ؟ وأضاف، أنتي أهديتيه لي وقد أعجبني ولذلك أهديته) فصمتت، وقد كان غضبها مثيراً للضحك، فقد ألفنا نحن على مدى حياتنا معه، أنه يهدي كل شيء.

طابع حياته:ـ

حياته كلها جد (أمرنا كله جد من أعطى الجد يعطى الجد)، يفكر في كل شيء بجد وينفذ فكره بجزم شديد، يتأمل كثيراً وينظر لكل أمر بجد حتى عندما

يمزح أو يلاطف أحداً، تشعر أنه يوصل له رأيًا أو معنىً محدداً، ومع كل هذا الجد، يشرق وجهه وتبرق عيناه المضيئتان بإبتسامة حين يقابل كل إنسان، تشعر ضيفه بفرح، فيحس بحرارة الترحاب، مما يجعله سعيداً بالزيارة (أنظر الصور، ومقال هنري كودري)، كل من يقابله يتعلم منه شيئًا. أذكر أني كنت أرافقه في أحد تحركاته، وكنا نريد أن نأخذ عربة تاكس، فاوقف الأستاذ تاكسيًا، وحدد له المشوار فسارع سائق التاكس قائلاً للأستاذ(خمسة جنيه) فرد عليه الأستاذ: (لماذا تتعجل بإشتراط السعر، هل طلبت مني هذا المبلغ ورفضت أن أدفعه لك ؟)، وترك العربة قائلاً للسائق: (سأدفع هذا المبلغ ولكن لغيرك)، وفعلاً تركناه، وأخذنا عربة أجرة أخرى ولم يطلب سائقها شيئًا، فدفع له الأستاذ مبلغ خمسة جنيهات!!.

في ذات يوم جاء سائل إلى منزل الأستاذ يطلب مساعدة مالية، فأعطاه الأستاذ مبلغ اثنين جنيهًا، فاحتج السائل وهو خارج من المنزل يقول: (تعطيني مبلغ اثنين جنيهًا؟ هذا المبلغ ممكن للمرأة أن تعطيني إياه)، فلم يرض الأستاذ عن ذلك التعليق فقال له (اتريدني أن أغنيك) فأمر أحد الأبناء في المنزل أن يلحق بالسائل ويعيد منه الأثنين جنيهًا ويعطيها لسائل أخر.

كان الأستاذ يقرب كل إنسان منه ويفتح له قلبه، حتى قام فى بال كل فرد أن الأستاذ يوفر له الحب، أكثر من الأخرين، وقد إستطاع أن يخلق جنة من الحب والرحمة في قلوب جميع من عرفوه. . وهناك قصائد من الشعر العرفاني كتبها بعض الجمهوريين تعبر عن هذه الحالة.

يعمل بجد متواصل، لايعرف الراحة ويحفز الآخرين للجد، وللعمل، وقد لازمه هذا الجد طوال حياته، فمنذ أن كان طفلاً كان يساعد والده في إسفاره في التجارة، عندما كان طالبًا، كان يعمل في الزراعة في الإجازة ويدرس في باقي العام، وبعد التخرج عمل في الهندسة. يواصل العمل طول النهار ويمارس العمل السياسي والفكري والكتابة في الصحف ثم التأليف في المساء.. فوق ذلك كله رعاية الأسرة رعاية أطفاله وأطفال أخيه مختار والأسرة الممتدة.. كما أنه كان يمتاز بقوة جسدية هائلة فبالرغم من تقدم السن كان يعمل بجد طول الوقت ويحمل أشياء ثقيلة لايستطيع من في عمره حملها، مثلاً في ذات يوم والمطر يهطل بغزارة حمل وحده جوال ذرة كان في فناء المنزل ووضعه داخل المطبخ الذي كان على بعد خطوات من مكان الجوال.

في الجلسات الأخيرة أمام منزله عام 1984، كان يحفز الأخوان للعمل بقوله: (لا تعجزوا عن الحركة والعمل.. أنا أكبركم سنًا وأكثركم حركة، وأقلكم خلودًا للراحة..)

كان لايدخل إلى الجزء الخاص بالنساء إلا في حالة الضرورة القصوى، المرض المفاجئ أو الوفاة وبعد أن يعلموا سلفًا بمجيئه، وحينها كانت جميع الأخوات يكن في حالة إستعداد كأنهن يتأهبن للخروج وقد ذكرت ذلك في زيارته لمربيته ربي جود. وكان محور حياته في غرفته وحول الجزء الخاص بالرجال والصالون والفناء الملحق به، وأمام مدخل المنزل حيث حلقات الذكر اليومية وإستقبال ووداع الوفود والمتحركين لنشر الدعوة[1].

---

(1) أنظر الصور.

كان يوقد الند وبخور اللبان الجاولي دائمًا في غرفته، أحيانا ينظر إلى الدخان المتصاعد ويشرح كيف أن الدخان يميل حيث إتجه بـه الهـواء ويقـول يجـب علـى السالك ان يكون مسلمًا للإرادة الإلهية مثـل هـذا الـدخان تـسيره راضـيًا كيفمـا إتجهت به .

صيامه وقيامه:ـ

كان يمارس رياضات روحيه كثيرة، فوق طاقة الشخص العـادي . . فمـثلاً قيام الثلث الأخير من الليل، كان كثير القيام في الليلة الواحدة، يقوم عدة مـرات لاينام إلا قليلا، يخلد إلى سريره بعد الساعة الحادية عشر، ثم ينام ساعة أو نصف ساعة لينهض فيجلس على مصلاته التي كانت دائمًا أمام سـريره، ثـم ينـام مـرة أخرى، وينهض وهكذا . . من الساعة الثالثة صباحًا وحتى الخامـسة يظـل علـى مصلاته، وفي نفس الوقت يتابع قيامنا الثلث الأخير من الليل، فنحن كنا دائمًا، نؤدي الثلاثة ركعات (ختام الثلث الأخير) إلى جوار مصلاته . .

في فترة سجنه في الأربعينيات كان يصوم صيامًا صمديًا متواصلاً، في بعض الأحيان أسبوعًا وخمسة عشر يومًا متوالية، وفي الأيام العادية كان يصوم كـل يـوم أثنين وأيام متفرقة من الشهر في كل شـهور العـام، هـذا إلى جانـب صـيامه شـهر رمضان . . أخذ يكثر من الصيام في السنوات الأخيرة بين 1975 إلى 1983(هذه ملاحظاتي) كان في فترات متباعدة يتوقف عن تناول القهوة والشاي لمدة أشهر ثم يعود لتناولهم مرة أخرى، وقد شرح لي ذلك بأنـه يريـد أن يتحـرر مـن سـلطان الكيف، يريد أن يتحرر من كل شيء يمكن أن يصبح له عادة ويـسترقه، يريـد أن يتحرر من رق الأشياء، ومن سلطان العادة، أو العمـل الآلـي الـروتيني، الـذي

يؤدي من غير فكر . . كنت أتوقف عن تناول الشاي عندما يتركه، وعند سفري للدراسة في إنجلترا عام 1978 كان متوقفًا عن الشاي وقد كنت كذلك فكتب لي خطابًا يقول لي ما معناه أنه الأن يتناول الشاي فعودي إلى الشاي فإن أوربا باردة وأنت تحتاجين لشيء دافيء (أنظر الخطابات).

طعامه وإلتزامه النباتية:-

من وقت مبكر في الستينيات إتجه إلى أن يكون نباتيًا، إذ كان لايميل إلى الأطعمة المعدة باللحوم ويقول لنا دائمًا: (أنا لا أحب اللحوم ولكني منتظركم لتكونوا في هذا الإتجاه)، إذ كان لايرغب أن يعد له طعامًا خاصًا به، وفي السبعينيات توسعت الدعوة، وأخذ يحدث الجمهوريين عن ضرورة الإقلاع عن أكل اللحوم، ولكنه ينبه دائمًا أن ذلك متروك للمواقف الفردية، وميول الإنسان ومقدرته ومشهده الخاص.

وفي 1979 تحدث عن النباتية وعلاقتها بالفكر الجمهوري إذ من المطلوب أن يعيش الإنسان في سلام مع الأحياء والأشياء، فإننا نتقاسم هذه البيئة مع الحيوانات (هم إخواننا في الحياة)، لذا يجب أن نعيش في سلام معهم، وتوضيحًا لهذا الإتجاه صدر في ذلك العام كتاب (الضحية غير واجبة!! لا على الفقراء!! ولا على الأغنياء!!)، وقد اوضح أن هناك وشيجة بين ذبح الحيوان والفداء، فقد تم الفداء، في الفهم الدقيق للآيات الكريمات عن سيدنا إبراهيم: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن

يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (سورة الصافات) ففدى الإنسان بالحيوان، فقد كان الفداء اولاً بذبح الإنسان، في قوله تعالى: ﴿ . . . فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (سورة البقرة)، والآن قد آن الوقت لترك ذبح الحيوان وهناك الآن كثيرون لايذبحون الحيوان وأعداد النباتيون في العالم تتزايد كل حين (أنظر كتاب الرسالة الثانية من الإسلام الباب الثالث)، وفي عهد السلام (الرسالة الثانية من الإسلام) تسقط الضحية بالحيوان، تبعًا للحديث النبوي: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، والمسلم هنا تشمل الأحياء والأشياء قال تعالى: ﴿ . . . **وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ** ﴿٨٣﴾ ﴾ (سورة آل عمران) وآية أخرى: ﴿ . . . وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ . . . ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة الإسراء)، ولذلك يكف المسلم عن ذبح الحيوان لأي غرض من الأغراض ومنذ السبعينيات تحول طعام منزل الأستاذ إلى نبات وقال لي أنه يتأذى ولايرتاح إلى رائحة اللحوم خاصة عندما يمر على أماكن بيعها أو إعدادها.

كان رفيقًا بالحيوان، فعاش في إلفة تامة مع مظاهر جميع هذا الكون كان له عمق خاص وتعاطف إنساني مع كل الأحياء، وفي هذا السبيل ما كان يلاحظ من رفق معاملته للقطط التي كانت تعيش معنا في المنزل، فقد كانت تألفه ولا تغادر غرفته، تنام على الكراسي حوله وتحت سريره، وأحيانًا تقفز فوق سريره فيلاطفها

ويمسح على شعرها بيده ويطعمها بنفسه، ولا تشرب الحليب ولا تأخذ أي طعـام إلا داخل غرفته، وقد أصبح من المعروف لدينا في المنزل أن هذه القطط لاترغب في أي طعام يقدم لها في المطبخ، إلا في غرفة الأستاذ . . وحين تصاب هذه القطط بأي مرض يرسلها للطبيب البيطري . أذكر أنه كانت هناك قطة مزعجة فحملها أخوتي داخل جوال ووضعوعها في مكان بعيد عن المنزل، وبعـد عـودتهم وجـدوها قـد عادت إلى المنزل، وذهبت على التو إلى غرفة الأستاذ وبقيت تحت سريره في حالـة من الغضب ظاهر، فقال لي : (إنها غضبانة منكم قد تكـون جـدة قديمـة لكـم) .
وعندما تموت إحدى تلك القطط يرسل إخوتي لدفنها تحت الأشجار في المنـزل .
أخر هذه القطط بقيت في منزل الأستاذ أيام المحكمة وتنفيذ الحكم بإغتياله، وقـد ظلت مصدر ذعر لرجال الأمن الذين إحتلوا المنـزل وطـردوا سـكانه منـه، فقـد حكى بعضهم أنها كانت تتجول في المنزل وتـصيح كـل الوقـت بـصورة مخيفـة، خاصة أثناء الليل، لدرجة كـانوا لايـستطيعون النـوم مـع صـياحها وحركتهـا، وكانت ترفض أي طعام يقدمونه لها . .

التسامح:ـ

ومـن الأشـياء الغريبـة والـتي يعرفهـا الكـثيرون عنـه أنـه كـثير التـسامح والإخلاص للناس حتى أؤلئك الذين عقوه وأنكروا ما قدمه لهم، فقد عقه بعض ممن بذل الكثير في تعليمهم وإدخالهم مجالات العمل التي لولاه لـما تمكنـوا منهـا، ومع ذلك كان يكثر من التسامح والعفو ولين الجانب لهـم بطريقـة تـصعب علـى الكثيرين . . عاد له مرة أحد هؤلاء ، بعد طول قطيعـة ليعيـد الـصلة بـه، وكـان يعتذر عن الماضي فتقبله الأستاذ وقال له مبتسماً : (أن السيد المسيح قال أن الإنسان لا يفرح بزيادة القطيع، وإنما يفرح كـثيراً عنـدما تعـود الـشاة الـتي خرجـت مـن القطيع) . .

وفي ذات مرة مرض أحد أقاربه المعارضين للفكرة الجمهورية، ولزم سرير المستشفى بالخرطوم، وقد كأن ذلك الرجل معارضًا مسفًا في معارضته، قرر الأستاذ زيارته ولم أرحب أنا بتلك الفكرة، وطلبت منه أن يرسلني مع من يختار من الناس لزيارة المريض نيابة عنه، ولكنه رفض إقتراحي وقال لي: (يابتول أنا ما بزورهم ليهم هم، ولكن لله فيهم). . وقد شعرت بإرتياح لتلك العبارة، والحق أني فرحت أكثر عندما وصلنا إلى بوابة المستشفى ورفض الخفير السماح لنا بالدخول بحجة أن وقت الزيارة قد إنتهى، وقد علق الأستاذ على ذلك الموقف بقوله: (بتول كانت ماموافقه. .).

يضاف إلى هذه المواقف في التسامح أنه في عام 1982 توفي رجل يدعى الأمين داؤد، وهو ضمن من رفعوا قضية الردة ضد الأستاذ وطالبوا بقتله. . حين بلغه خبر الوفاة، كنا وقتها فى أحد الإجتماعات في صالون منزله، وقد كان الجمع كبيراً فطلب منا أن نرفع الفاتحة ترحمًا على روح شيخ الأمين وأن نسأل الله له الرحمة، وقد إستجبنا لطلبه مع دهشة الكثيرين، وهناك من رفع الفاتحة على مضض أما شقيقته كلتوم فقد رفضت ذلك الترحم ببساطتها ووضوحها المعهود. .

في إحدى زيارتي للأستاذ خلال ايام إعتقاله الأخير جاء حديث ان الأخوان الجمهوريين يخشون في النهاية ان يتم العفو عن نميري، فقال الأستاذ رادًا على ذلك الحديث : (الناس ما يغيب عن بالها ان اعمال جعفر نميري الجيدة ما بتضيع، وعمله يكون محفوظ، وفي النهاية معفي عنه، هو جاء ليؤدي مهمة معينة ولما تنتهي

مابكون ضده شيء . . نحن ما معتقلنا هو نحن عندنا مهمة جينا من أجلها لما تنتهى بنطلع) . وهذا دليل على ان الأستاذ حتى في الإعتقال لم يكن حاقداً على نميري .

الوفاء:-

بعد إطلاق سراح الأستاذ عام 1948 من إعتقال المستعمر البريطاني له ، سدد كل الديون التي كانت عليه ، وهي عبارة عن خدمات أداها له بعض الأقارب أثناء فترة إعتقاله ، كما دفع بعض المبالغ التي صرفت على أسرته في غيابه ، وقد حكى لي أحد ممن رافقوه في تلك الفترة ، أنه ذهب إلى الحلاق الذي حلق شعر رأسه قبل دقائق من إلقاء القبض عليه بواسطة السلطات البريطانية ، وأعطاه ثمن تلك الحلاقة ، وهنالك أمثلة كثيرة ورد بعضها في مواقع أخرى من هذا الكتاب وأخرى لاتحصيها هذه الصفحات . .

ومن الوصايا التي كتبها في 1951 وآخرها التي كتبها في بداية السبعينيات ، طلب حين وفاته أن تسدد ديونه من المبالغ العائدة من كتبه ، وأن يلف في ثيابه القديمة . . ولكن بحمد الله فقد سدد تلك الديون في نهاية السبعينات بنفسه ، وقد كانت عبارة عن باقي حساب بينه وبين مالك المنزل الذي كان يستأجره في مدينة كوستي والذي كان الأستاذ يؤدي له أعمال الهندسة في مشاريعه الزراعية ، لم تكن تلك الديون حقيقة عليه لأن صاحب العمل لم يعطه حقه في العمل ، ولكنه قرر أن يتحملها وفعل ، أما الجزء الثاني من الوصية وهو أن يلف في ثيابه القديمة ، فقد كان له ما أراد ، فبعد تنفيذ الحكم الجائر عليه نفذت سلطات نميري من غير أن تدري وصيته فلفته في ملابسه القديمة!! وقد ذهب عزيزاً خالصًا لم يتشرف أحد حتى بتجهيزه مثل ما يحدث لجميع الناس .

الأستاذ يتشاور مع احد كبار القياديين

الأستاذ يستمع إلى أحد كبار السن

الأستاذ يدير جلسة وداع المؤلفة وهي في طريقها إلى لندن للدراسة

جلسات تداول وشرح الفكرة والمعارف الدينية في منزل الأستاذ ويظهر في الصورة جمهوري إسترالي

الأستاذ إلى جواره زوجته آمنة وبتول و أسماء وسمية وبعض الأخوات

الأستاذ وسط الذكر أمام منزله

الأستاذ وسط الذكر أمام منزله

الأستاذ يصغي ويستمع إلى الأحاديث التي تدار في الجلسات في منزله

الأستاذ يؤشر لإيقاف الذكر

الأستاذ يودع اتيام الأخوان والأخوات المتجهة للحركة الميدانية

الأستاذ يرعى الأطفال وهم في المهد بكل العطف

الأستاذ يتوسط بنتيه أسماء وبتول وهو خارج من منزله

الأستاذ بشرف على سبر الحركة و تو دبع أتيام

الأستاذ أمام منزله الذي صادرته حكومة مايو
يستمع بكل إهتمام لمن يتحدث معه

الأستاذ امام منزله يودع احد تلاميذه من الأخوان

الدراويش في حركة دائبة في الذكر
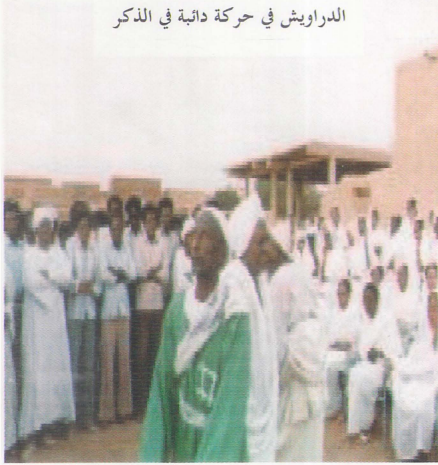
الأيام الأخيرة ، الأستاذ محمود يتوسط حلقات الذكر ، يلتف حوله بعض الدراويش

بعض الأخوان الجمهوريين في إحدى معارض الفكر الجمهوري

الأخوان الجمهورين يناقشون زوار في معرض للفكر الجمهوري

الأستاذ يراجع تقارير العمل الميداني
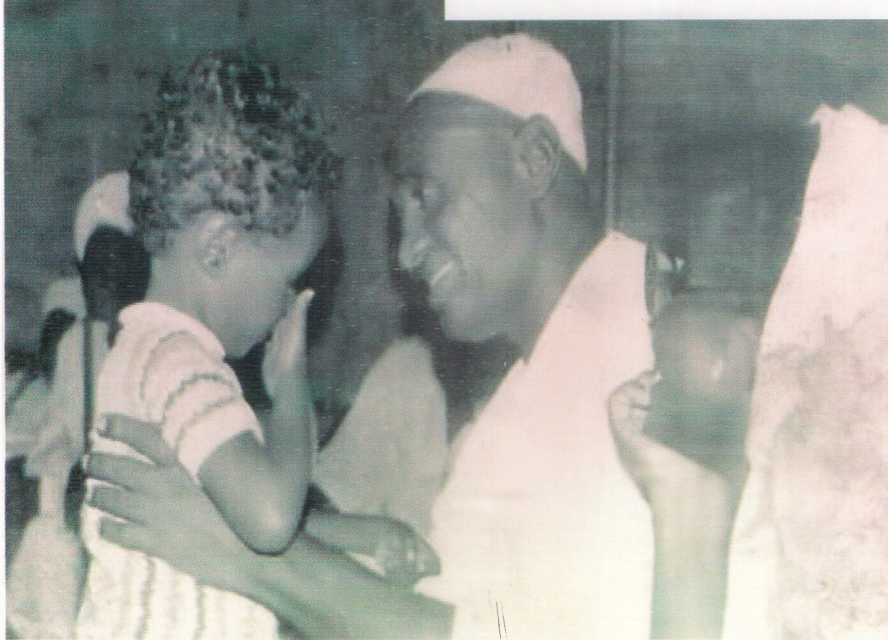
الأستاذ بجواره المؤلفة يستمع إلى شكوى احد الأطفال

الجلسات الفكرية في الفناء امام منزله

الأستاذ مع المؤلفة يراجع أتيام حملة الكتاب
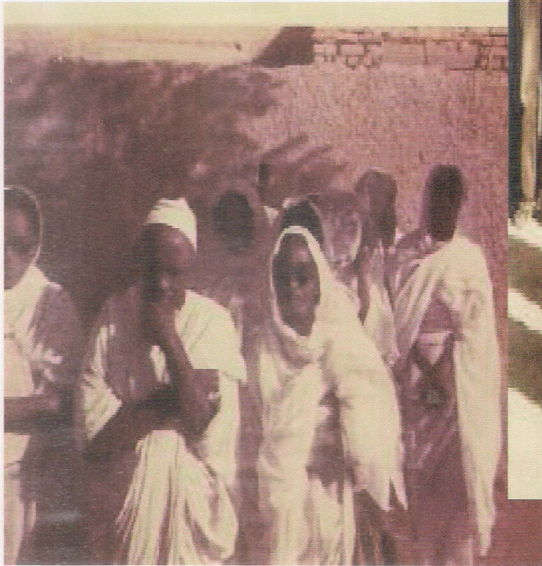
الأستاذ مع المؤلفه قبل الخروج

الأيام الأخيرة ، الذكر بعد خروج الأستاذ من الاعتقال الذي اعقبه الحكم الجائر عليه، يرى في الصورة الدراويش الذين جاءوا من النيل الأبيض لزيارته

ذكر الايام الاخيرة، والدراويش الذين حضروا إلى زيارة الأستاذ، من منطقة النيل الابيض

الأستاذ محمود والأخوات والأخوان في زيارة لقبر مربيته امنا ربي جود محمود يلاحظ قبرها ربي جود محمود

الأخوان يلتفون حول الأستاذ بعد الخروج من الاعتقال

الأستاذ متأهب للخروج امام المنزل
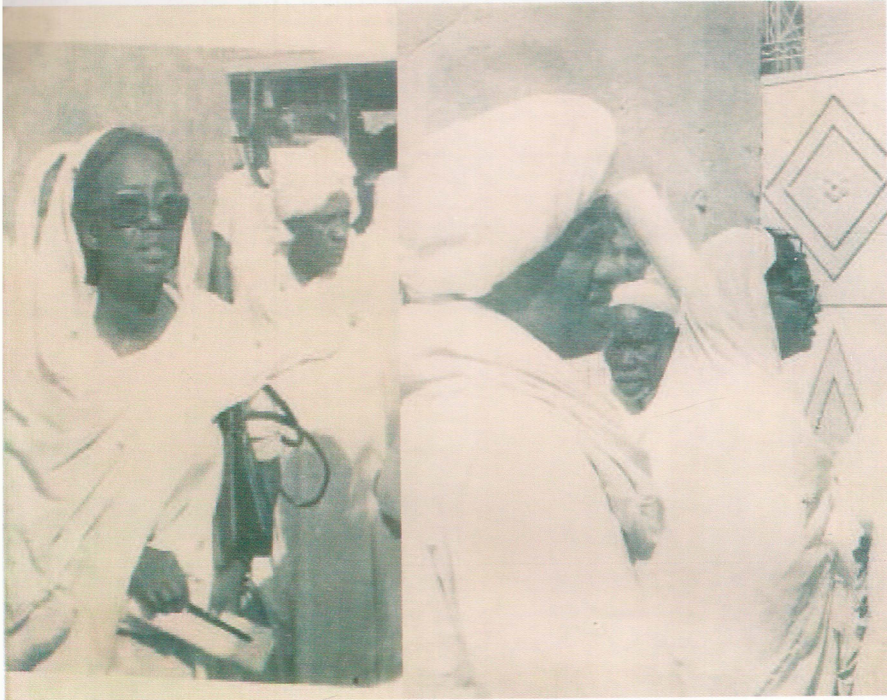
الأستاذ مع المؤلفة
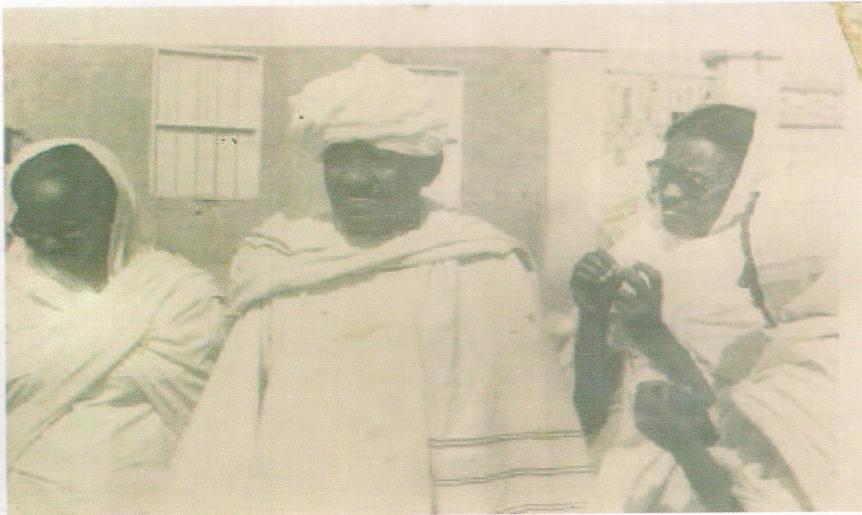
الأستاذ يتوسط بتول وأسماء

تأليف الكتب منذ نشأة الفكر الجمهوري 1946وإلى 1984:ـ

بدأ التأليف منذ وقت مبكر، وذلك بعد خروجه من فترة الخلوة التي فرضها على نفسه، بعد خروجه من السجن الذي فرضته عليه الحكومة البريطانية في السودان 1946ـ 1948م، بدأ في الخلوة الإختيارية مابين 1948 ـ 1951 التي إستمرت مدة ثلاثة سنوات، إذ قال أنه بعد خروجه من تلك الخلوة، تبينت له معالم الفكرة الدينية، فكتب منشورات كثيرة وقليلة الصفحات ينبه فيها المسلمين إلى حالهم، ثم إلى رفض الإستعمار وإلى المقاومة، وفي نفس الوقت مبينًا معالم الفكرة الإسلامية الصحيحة، وَمَن تلك المنشورات كتيب (السفر الاول 1945) ثم (قل هذه سبيلى 1946)، بيان رئيس الحزب الجمهوري 1951 وفي عام 1955 صدر كتاب (أسس دستور السودان) وهو الكتاب الذي شمل فكرة نظام الحكم الفدرالى لبلد مترامي الأطراف (مليون ميل مربع) ومتعدد الأعراق والديانات مثل السودان، فدعى في هذا الكتاب ورسم الطريق للحكم الفدرالي إبتداء من حكومة المركز في الخرطوم العاصمة، إلى حكومات الولايات، وحكومات المدن وإلى مستوى القرية، ثم أبان وشرح القانون الدستوري، وتحدث عن ضرورة إستقلال القضاء، وكانت تلك أول مرة في السودان ينادي فيها حزب سياسي بالحكم الفدرالي. تبع هذا الكتاب كتاب (الإسلام) وهو كتاب مختصر وشامل، تحدث فيه عن ضرورة الفهم الذري للإسلام في عصر الذرة حيث قال: (فالعلم التجريبي الروحي ـ الدين ـ ليس جديدًا، ولكنه سيعود جديدًا، لأن عصر الذرة يتطلب فهمًا ذريًا للدين ـ أعني فهمًا دقيقًا، يصل إلى نواة الدين، ويفجر تلك النواة تفجيرًا يسمع له دوي أعتى من دوي تفجير النواة

المادية). وكذلك تحدث عن العلم والإيمان، وأن العلم والدين توأمان، وأن العلم الحقيقي والصحيح يقود إلى الإيمان وليس العكس وقد أورد بعض عبارات عن العالم إنشتاين التي تحدث فيها عن كيف أن العلم يقود إلى الإيمان. . . وفي هذه الفترة أيضًا كتب عدة مقالات في الصحف السودانية، ناقش فيها السياسة وقضايا الفكر والدين، وقد جمع الكثير من هذه المقالات وأصدرها في سلسلة كتب(أسئلة وأجوبة) و(رسائل ومقالات). . .

في العام 1965 (بدأت مرحلة التأليف الجاد) كما قال في اللقاء الصحفي معه الذي جرى ذكره في هذا الكتاب، فاصدر كتاب (رسالة الصلاة)، شرح فيه أن الصلاة صلاتان، صلاة معراج، وصلاة صلة، كما جاء في الحديث النبوي: (الصلاة معراج العبد إلى ربه والصلاة صلة بين العبد وربه) ثم شرح معنى علاقة العبد بربه (الأصالة) وترجمة العبادة لمعاملة بين الناس، وكيف أن صلاة كل منا تقوده في النهاية إلى ملاقاة ربه وفق الآية الكريمة: (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه)، تطرق في هذا الكتاب أيضًا لمعنى آيات الفروع وآيات الأصول، وقد أثار هذا الكتاب معارضة شديدة في أوساط السلفيين، ومازال فهم موضوع الصلاة يشكل عقبة كبيرة أمام الكثيرين. .

في فبراير 1966 صدر كتاب (طريق محمد) وعام 1967، كان عامًا حافلاً بالتأليف، فقد أصدر فيه الأستاذ كتاب(الرسالة الثانية من الإسلام)، وكما ذكر سابقًا هو يعني أن الإسلام رسالتان، والرسالتان موجودتنان في المصحف الشريف، ورسولهما النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بلغهما بمعنى تبليغه القرأن. الرسالة الثانيه قامت على أصول القرآن المكي وقد عاشها النبي صلى الله

عليه وسلم، في خاصة نفسه، وكانت أعلى من مستوي الأمـة، والرسـالة الأولى قامت على فروع القرآن المدني، عاشتها الأمة في ذلك الوقت، أشار إليها الـنبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقـولهم). وكـان الأسـتاذ يقـول عـن هـذا الكتـاب أنـه الكتـاب الأم للفكـرة الجمهورية، وهو يشمل أساسيات الفكـرة في بعـث الإسـلام مـن جديـد، علـى أساس تطوير التشريع الإسلامي الذي يعني أن الإسلام أصول وفروع، الأصـول هي الأيات المكية التي تدعو إلى الحرية والمساواة بين الناس جميعًا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة الحجرات). . ثم الدعوة إلى الحرية، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (سورة النحل) ثم المساواة بين النساء والرجال ﴿ . . . لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ . . . ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة النساء) وهي آيات أعتبرت منسوخة، يجب أن تبعث اليـوم ليقـوم عليهـا التشريع الآن، لتفي بحاجة الإنسان المعاصر. . كما شمل بيـان فـروع القـرآن. . فالفروع هي الآيات التي قام عليها التشريع، بعـد نـسخ آيـات الأصـول في حـق الأمة، وآبات الأصول التي ظلت تنـزل علـي مـدى 13 عامًـا تـدعو إلى الحريـة والمساواة، والتي ثبت عمليًا عدم إستعداد المجتمع لها، فإستبدلت بأيات الفروع، التي كانت في إستطاعة الإنسان في ذلك الوقت، الذي لم ينتشر فيـه العلـم، ولم تدخله الآلة، فأيات الفروع قامت على نشر الدعوة بالإكراه، بحد الـسيف بـنص

الآية الكريمة : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة التوبة) كما قامت على عدم المساواة بين النساء والرجال ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (سورة النساء) إلخ . . وقد خدمت تلك النصوص غرضها حتى إستنفدته ، والأن حكم الوقت يوجب تطوير التشريع من آيات الفروع(آيات الوصاية ، وعدم المساواة) ، إلى آيات الأصول في القرأن ، حيث المساواة والحرية لجميع الناس . راجع كتاب الأستاذ (الرسالة الثانية من الإسلام) .

وفي نفس العام 1967 أصدر كتاب (مشكلة الشرق الأوسط) ، وهو كتاب يشتمل على إستقراء تاريخي وتحليل سياسي لمشكلة الشرق الأوسط ، حلل فيه جذور المشكلة ونشأتها ، وقد أوضح الحق المشترك لليهود وللعرب في المنطقة بالإستقراء التاريخي لجزور سكان وقبائل الشرق الأوسط ، وطالب بالحل السلمي للمشكلة . مهد لهذا الكتاب في نفس العام بكتاب أخر هو(التحدي الذي يواجه العرب) ، ومفاده كما ورد سابقًا في هذا الكتاب ، هو إما أن يرتفع العرب إلى مستوى الصراع والأحداث أو أن يخرجوا عن التاريخ ، وأن سيرهم في طريق الحروب وعجزهم عن إقامة حكومات ديمقراطية في بلادهم ، وعجزهم عن بناء

دواخلهم على الصدق هو مشكلتهم الأساسية، فإن إستمروا في هذا الطريق فسوف يخرجون من التاريخ . .

في عام 1968 أصدر كتاب (الإسلام والفنون)، وهو عبارة عن متن محاضرة ألقيت على طلبة المعهد الفني (كلية الفنون الجميلة والتطبيقية) في يوم 24/ 9/ 1968، وقد عرف الفنون بقوله: (إن الفن هو وسيلة التعبير عن ملكة التعبير . . . إن ملكة التعبير إنما هي الحياة . . والحياة تعبر عن نفسها بوسائل مختلفة، في مستويات مختلفة . . فهي تعبر عن نفسها بالحركة، وتعبر عن نفسها بالغذاء، وتعبر عن نفسها بالتناسل، كما تعبر عن نفسها بالشعر، وبالنثر، وبالغناء، وبالرقص، وبالنحت، وبالرسم، وبالتصوير، وبالتمثيل، وبالموسيقى، وبغيرها من ضروب الطاقة الفكرية والجسدية، التي تفيض، وتنبجس . .)، وقد أبرز في هذا الكتاب أيضًا جزءاً كبيراً من دعوته التي قام على أساسها تقسيم الفكر الإسلامي إلى أصول وفروع (شريعة وسنة)، وكيف أن مستوى الشريعة حرم الرسم والنحت، كما أبان الأسباب التاريخية لذلك التحريم، وكيف أن الفنون تعبرعن ملكة التعبير في الحياة، وهي ليست محرمه في أصول القرأن، كما أكد أن الفنون ليست أحسن الوسائل لمعرفة النفس البشرية، وإنما الدين في أصل أصوله هو الوسيلة لمعرفة الحقيقة المركوزة فينا . .

وأيضا في هذا العام أصدر الأستاذ كتاب (الدستور الإسلامي؟ نعم ولا) وضح فيه أن الدستور الإسلامي إذا دعى له ليقوم على الشريعة "فلا"، أما إذا دعى له ليقوم على السنة وأصول القرأن، حيث حرية الفكر والمساواة "فنعم"،

وهو المطلوب الأن، وقد كانت الأحزاب التقليدية في ذلك الوقت، تدعو لإجازة الدستور الإسلامي القائم على الشريعة، من خلال الجمعية التأسيسية . .

تبع هذا الكتاب في نفس العام كتاب (الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسانية القرن العشرين)، ومن عنوان هذا الكتاب تظهر للمطلع، فكرة الأصول والفروع التي ورد ذكرها في مجالات عدة أعلاه، وقد أثار هذا الكتاب عاصفة من الضوضاء، والشغب، في أوساط السلفيين، مما إنتهى بهم إلى ما يسمى بمحكمة الردة التي ورد ذكرها في موقع سابق من هذا الكتاب، وتبعه العديد من الكتب مثل: (زعيم جبهة الميثاق الإسلامي في ميزان: 1ـ الثقافة الغربية 2ـ الإسلام، من كتابه اضواء على المشكلة الدستورية)، وكتاب(بيننا وبين محكمة الردة)، وكتاب(أسس حماية الحقوق الأساسية). .

في 25 مايو 1969م صدرت الطبعة الأولى من كتاب (لا إله إلا الله)، حدد هذا الكتاب أدق معاني التوحيد، وأهم تطبيقاته العملية في وحدة الفاعل، لا فاعل لكبير الأشياء وصغيرها إلا الله . .

في عام 1970 صدر له كتاب خطوة نحو(الزواج في الإسلام)، وقد ورد مجمل هذا الكتاب في الصفحات السابقة. في هذا العام أيضًا صدرت الطبعة الأولى من كتاب: (أسئلة وأجوبة)، وهو عبارة عن أجوبة على أسئلة وردت من بعض المفكرين وأصدقاء الفكر الجمهوري. . وفي عام 1971 أصدر كتاب: (القرأن ومصطفي محمود ومحاولة لفهم عصري للقرأن). وفي هذا العام أيضًا أصدر كتاب (تطوير شريعة الأحوال الشخصية)، وهو الأصل عند الأستاذ، في تنظيم علاقات النساء بالرجال، بالتكافؤ والمساواة. . كتب هذا الكتاب في منزله بالثورة أثناء

عطلة المدارس السنوية ما بين مارس ويوليو ، وكتبت له هذا الكتاب بنفس الطريقة التي أملى عليَّ بها الكتب السابقة ، وقد عالج فيه أهم القضايا حساسية ، وهي قوانيين الأسرة ، وقد فتح به الطريق للمساواة بين الرجال والنساء ، على أساس لم يسبق له مثيل في الفكر الإسلامي ، وهو يعتبر ثورة وفتح جديد للحياة الإنسانية. فقد جاء في صفحة "4" من هذا الكتاب مايلي : (وحين جاء في شرع الله أن المرأة على النصف من الرجل ، جاء في دينه أن المرأة مساوية للرجل أمام القانون . . قال جل من قائل : ﴿ . . . وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ (سورة البقرة) . والمعروف هو ما تواضع عليه الناس ، بحسب حكم وقتهم ، بشرط أن لايخل بغرض من أغراض الدين التى محورها تحقيق كرامة الأنسان من رجل أو إمراة . . والمعروف ، عندنا في القرن العشرين ، هو ان نعلم المرأة لأعلي الدرجات ، وقد اصبح لدينا منهن الأن الطبيبة ، والقاضية ، والمحامية ، والمهندسة ، والزراعية ، والإدارية إلخ... وهذا العرف ، بما يحقق من كرامة الانسان ، فأنه لايعوق اغراض الدين وانما يحققها ، ولكنه ، في نفس الوقت ، ولنفس السبب الذي ذكرنا ، يوجب تحولا جذريًا في امر الحقوق والواجبات التي قام عليها (حكم الوقت) في القرن السابع . . فجاء من هاهنا قوله تعالي : (ولهن مثل الذي عليهن) . . يعني لهن من الحقوق مثل الذي عليهن من الواجبات التي عليهن وينهضن بها ، مساوية للواجبات التي على الرجال ، وينهضون بها ، فقد أصبح لهن من الحق مثل مالهم لاوكس ولاشطط . . أحبُ لبناتنا أن يعلمن هذا ، وأن يجودن فهمه ، وأن لايترددن في وصف قصور شريعة القرن السابع(وبخاصة في أمر الأسرة) عن شأو القرن العشرين ، وليكن واضحًا في أذهانهن أنهن ، حين يفعلن ذلك لاينسبن الظلم والقصور إلى الله ، تعالي الله عن

ذلك ، وإنما ينسبنه إلى رجال الدين ، الذين يطيب لهم أن يتحدثوا بأسم الله ، وهم لايكادون يفهمون عنه شيئًا ، وإنما يتحدثون فيما لايعلمون ، حين يريدون للناس أن يعتقدوا أن كلمة الإسلام الأخيرة في أمر التشريع قد قيلت في القرن السابع . .) . *[2]

في عام 1971 أصدر كتاب (الثورة الثقافية) ، وهو كتاب يدعو للتغيير عن طريق الفكر ، وفي عام 1972 أصدر كتاب (تعلموا كيف تصلون) ، وهو كتاب يعيد الروح للصلاة ، ثم يعين المصلى أن بنشرها في كل الأوقات ، مابين الصلوات (الدين المعاملة) ، وفي عام 1973 أصدر كتابي(رسائل ومقالات الأول والثاني) ، وتبعهما في نفس العام كتيب صغير يشرح الآية(الله نور السموات والارض) ، وفي أكتوبر أصدر كتاب(الإسلام وإنسانية القرن العشرين) وشرح هذا الكتاب مضمن في كتاب الرسالة الثانية ، وكتاب الماركسية في الميزان ، وفي هذا الكتاب كان الأستاذ منصفًا للماركسية على غير نهج الدعاة الإسلاميين عمومًا فقد وضح حسنات الماركسية ، كما بين سلبياتها ، واما الحسنات فقد قال أن كارل ماركس قدم دراسة إقتصادية جيدة ومتميزة جعلت المسألة الإقتصادية خاضعة للتخطيط والتطبيق ، هذا في جانب الحسنات ، وأما في جانب السيئات فإشكال الماركسية الأكبر هو قطعها للصلة بالغيب وقد جاء في مقدمة كتاب الماركسية في الميزان قوله : (لقد كان كارل ماركس فيلسوفًا "عمليًا" . . ولقد لجت به "عمليته" هذه حتى اصبح نبتًا ارضيًا ، صلته بالسماء واهية ، وفروعه في الأعالي قريبة . . وبذلك فقد اصبحت فلسفته سطحية ، بصورة مؤسفة . . إن ماركس ، اذا ما وضع في إطاره

---

(2) أنظر كتابه (شريعة الاحوال الشخصية) .

الحقيقي، والطبيعي، كفيلسوف مرحلي، يصبح مقبولاً، ومحموداً، فيما أدى من خدمة مرحلية في تطوير المجتمع البشري. . اما إذا وضع كفيلسوف لجميع الأزمنة، كما يدعي الماركسيون، فإنه لاينهض، ولايقوم، إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس . .) وفي عام 1974 أصدر كتاب(الدين والتنمية الإجتماعية)، وكتاب(الدعوة الإسلامية الجديدة) ثم كتاب (من دقائق حقائق الدين). وفي عام 1975 أصدر كتاب(الأستاذ محمود يحدث النساء في حقوقهن). وفي 1983 أصدر كتاب(الهوس الديني يثير الفتنة ليصل إلى السلطة) وفي عام 1984 أصدر كتاب (الموقف السياسي الراهن). وفي 25 ديسمبر صدر 1984م أصدر منشور (هذا . . او الطوفان).

الجلسات الصباحية:-

في منتصف السبعينيات بدأت تقام في منزل الأستاذ جلسات صباحية، فقد كانت هناك أعداد كبيرة من الجمهوريين يقيمون في منازل الجمهوريين المسماة (أ، ب، ج، د)، وقد كانوا يقابلونه يوميًا، وهم في طريقهم للعمل، ونسبة لذلك، تقرر أن تكون هناك جلسات صباحية، تدار فيها مواضيع فكرية مثل نقاش بعض الأعمال التنظيمية للإعداد للفترة المسائية، أو طباعة الكتب، وتنظيم الوفود الذاهبة إلى مدن السودان المختلفة. تبدأ تلك الجلسات حوالي الساعة السادسة والنصف صباحًا، حيث يجتمع الناس في صالونه. . يبدأ هذا التجمع بالأخوات المقيمات في المنزل، تفتتح الجلسة بقراءة للقرآن (سورة نون) و(تبارك) و(عم) و(سورة القدر) التي تقرأ في بداية كل جلسة وختامها (قد اوصى الأستاذ بالإكثار من قرآءتها وآخى بينها وبين الجمهوريين بقوله في إحدى الجلسات:

(في يوم الله هذا المبارك، الآحد، الحادي عشر من شهر الله هذا المبارك (رمضان) من عام الله هذا المبارك 1396هـ في أخر الثلث الأخير من الليل وقبل الفجر، قد آخيت بين السورة ـ سورة القدر ـ وبين جميع الجمهوريين والجمهوريات. فأجعلوها في وضوئكم وأجعلوها في صلاتكم وأقرأوها في جميع اوقاتكم واكثروا من قراءتها في ليالي وأيام هذا الشهر المبارك وأقيموا بها الثلث الأخير من كل ليلة، أنشئوا معها صلات المحبة والعشق هيموا بها في جميع اوقاتكم تبدي لكم اسرارها إن شاء الله وما أعظم أسرارها !! وستكون إلى ذلك عودة إن شاء الله.

ام درمان الآحد 5 سبتمبر 1976 م ـ 11 رمضان 1396 هـ)

وتواصل الجسلة في الإنشاد الديني. فقد حفز الأستاذ أصحاب المواهب والأصوات الجميلة من الأخوات والأخوان، ليحفظوا الشعر الصوفي القديم، مثل ابن عربي والنابلسي وابن الفارض وغيرهم، وكانت تنتقى أجمل القصائد بألحان جميلة، ويردد بعضها في الصباح وفي الخامسة مساء حتى سميت تلك الجلسات بجلسات الإنشاد، وفي أثناء الانشاد وبعد نهايته تنتقي بعض أبيات من الشعر الصوفي، وتطرح للنقاش، حيث يدلي كل من يرغب من الحاضرين برأيه حول معنى تلك الأبيات، وفي النقاش يجمع الأستاذ الأراء الصحيحة التي وردت، يدعمها ويثني عليها، ويضيف عليها عبارات تفتح الطريق لفهم أكبر، وقد خلق هذا العمل نوعًا من الجو الفكري والسمو الروحي وزاد الإقبال من جانب الأخوات والأخوان للمشاركة في النقاش. . .

قامت مجموعة المنشدين هذه بتلاوة القرأن بطريقة ملحنة وجميلة، وكانوا يقومون بهذه التلاوة في تلك الجلسات، وهذه الطريقة الملحنة أشار بها الأستاذ، وأورد الأدلة على صحتها، في حين إستنكرها الكثيرون من المعارضين، وقد جاء الدليل في عدة أحاديث نورد منها: (حدثنا علي إبن عبد الله، حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ما أذن الله لشئ، ما أُذن للنبي أن يتغنى بالقرآن)، وقد كان لها فضل تحبيب القرآن في نفوس الكثيرين خاصة الجمهوريين. . كان الأخوان ينصرفون من هذه الجلسات لأعمالهم، بمعنويات عالية، وعندما كثر الإنشاد والحفظ، ظهر من بين الأخوان الجمهوريين من يكتبون شعراً حديثًا في معاني العرفان، كلها تتعلق بالسنة النبوية، وبتأصيل المعرفة على الحقيقة الأحمدية، وبالتحديد معاني وردت في الفكرة الجمهورية، تختلف تمامًا عن الشعر الشعبي الذي، يقوم به المداحون من محبي التصوف، كما أنه يختلف عن الشعر الصوفي القديم لحداثة عباراته ومعانيه، وعندما تأسس الإنشاد إقترح الأستاذ أن تنشر هذه الأشعار في أوساط المثقفين، وعامة الناس في المجتمع السوداني، حتى تسمو بشعورهم، وتنأى بهم عن المعاني المبتذلة، التي يتغنى بها البعض من الناس، إذ للشعر الصوفي، معانيه العميقة في اللغة، وفي رقة الشعور، ولنشر هذا النهج وسط الجمهور بدأ تسجيل أشرطة الإنشاد في الجلسات الصباحية، وفي بعض جلسات العصريات، كانت هذه الأشرطة يقدم لها أحد الأخوان أو الأخوات شرحًا وافيًا، يبدأ بذكر المكان الذي غالبًا ما يكون منزل الأستاذ وبحضوره، ثم التاريخ وأسم مقدم الشريط والمنشد وعدد القصائد، وكان يتم التقديم بالطريقة التي تشوق المستمع لسماعها، وقد قدمت لعدد من تلك الأشرطة. . . وكانت تباع بأسعار

زهيدة لتسهل على المشتري ثم تساهم في إعداد المزيد منها كل حين، وقد جمعت بعض تلك الأناشيد في كتب سميت (أناشيد في طريق الرجعى).

الحوار داخل المجتمع الجمهوري:-

أسس الأستاذ محمود مبدأً للحوار والبحث العلمي داخل المجتمع الجمهوري حيث كانت تطرح للنقاش في الجلسات العديد من المواضيع الدينية، والإجتماعية، والثقافية، داخل المجتمع الجمهوري، وتسير بروح ديمقراطية عالية. تبدأ معظم هذه المواضيع دائمًا بمبادرة من الأستاذ. أطول هذه النقاشات كانت تدار في جلسة كبيرة في مساء كل يوم جمعة تبدأ بعد صلاة المغرب وتنتهي في الساعة الحادية عشر، سميت (جلسة الجمعة)، تتطرق هذه الجلسات لنقاش أكثر المواضيع تعقيداً في الحياة، مثل موضوع (النسب)، وكيف أن النسب يؤثر على سلوك الفرد وسلالته، وفقاً لحديث النبي صلى عليه وسلم، (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) وربط النسب عنده بالدين، فكلما أتقن الفرد تقليد النبي الكريم في العبادة والمعاملة إرتقى بنسبه. كما نوقش موضوع (المرأة في الشريعة.. ثم المرأة الإنسان)، ثم موضوع (الغيرة) وجذورها عند الإنسان والحيوان وأسبابها.. كما نوقش على نفس النهج (موضوع الرسالة والنبوة، ومحمد الإنسان، والصلاة، والآصالة، والآصيل الواحد، والخليفة وموضوع الخواطر، كما نوقشت بعض أراء الفلاسفة مثل بوذا وكنفسيوش وكتاب (نقد الفكر الديني) لصادق جلال العظم، ومواضيع وقضايا حيوية أخرى عديدة، وكانت هذه المواضيع تناقش بدقة وبتوسع شديدين، وكل من يريد أن يدلي برأيه يستمع إليه الجميع في صبر وسعة صدر، ولا يضيق به أحد، ولا يتحدث شخصان في وقت واحد، وفي النهاية يصل الحوار إلى خلاصة وتقييم محدد وفق مبادىء الفكر

الجمهوري أنظر(أنظر "مقال هنري كودري")، . إلى جانب المواضيع الفكرية والجدلية، كانت تناقش المواضيع التنظيمية والعرفانية.

وفاة مربيته ربي جود محمود:-

في مساء يوم الأثنين 30/ 8 / 1982، بدأت حالة أمنا ربي جود الصحية في هبوط مفاجىء، وأخبر الأستاذ بذلك وجاء إليها مسرعًا، طلبت منه ألا يتحرك من جوار رأسها وهي في أقصى حالات التعب سألته: (هل أنت جالس أم واقف؟)، وقد علق الأستاذ مؤخراً على هذا السؤال قائلاً: (إنها دائمًا مشغولة براحته حتى وهي في أصعب حالاتها الصحية)، وأحضروا له كرسيًا بعد سؤالها هذا، فجلس إلى جوار رأسها ولم يمض وقت طويل حتى فاضت روحها إلى بارئها. قد كنا نحن في تلك اللحظات في حركة أركان النقاش ونشر الدعوة في الخرطوم. . وعندما عدنا قابلنا الأطفال أمام المنزل منزعجين وأبلغونا بخبر وفاتها، وقد كان ذلك اليوم يومًا حزينًا، قضينا معظم الليل في تجهيز جثمانها، وقد شيع الجثمان لمثواه الأخير بالذكر بأسم الله المفرد إلى مقابر الشيخ البكري غرب مدينة أمدرمان، ووري جثمانها الثري بعد الساعة الثانية صباحًا، وقال الأستاذ للأخوان: (صلوا من أجلها وأعفوا لها تعبكم فقد كانت مهمة دفنها صعبة فالآرض قوية في هذا المكان)، وقد تحققت أمنيتها، فقد لاحظت أن الأستاذ قد قام بوضع رأسها في قبرها بيده، كما كانت تتمنى " انت تحت رأسي وترجع بناسي "، وجلس أمام قبرها لبضع دقائق. . . كانت لحظات هادئة وحزينة إشتركت الأخوات في تشيعها على قدم المساواة مع الأخوان.

عندما جهز الأخوان الشاهد ليوضع على قبرها سألوه عن أسم والدها فقال لهم : (أكتبوا ربي جود محمود ، فقد لاحظت عندما تـذهب إلى المستـشفى وتـأتي كانت تحمل الروشتة بأسم ربي جود محمود فقـد كانـت تريـد أن يكتـب إسمهـا هكذا) " أنظر الصور " كان الأستاذ يقول نحن لاندفن موتانا في مقابر احمـد شـرفي فأحمد شرفي فقيه ، ولكنا ندفن عند مقابر الصوفية مثل البكري والشيخ حمد النيـل وكان يفعل ذلك . .

أضحى الأستاذ حزينًا لفقدها ، وقد زارها عام 1983 وكنت معه وعـدد من الأخوان والأخوات وقضى وقتًا طويلاً يجلس أمام قبرها ، وقـد كنـت أنـوي الوقوف إلى جانبه ، ولكن أشار عليّ أن أتركه وحده فأبتعدت ، وكأن هناك سـراً بينهما . في نهاية الزيارة سألني الأستاذ لماذا قبرها طويل؟ ولم أعرف السبب ، فقال لي لأنها كريمة كانت يدها طويلة .

صورة للأستاذ بإبتسامته المعهودة وهويحمل بعض الأوراق للإطلاع عليها

الأستاذ يتحدث في ندوات المثقفين في حي الموردة بأمدرمان
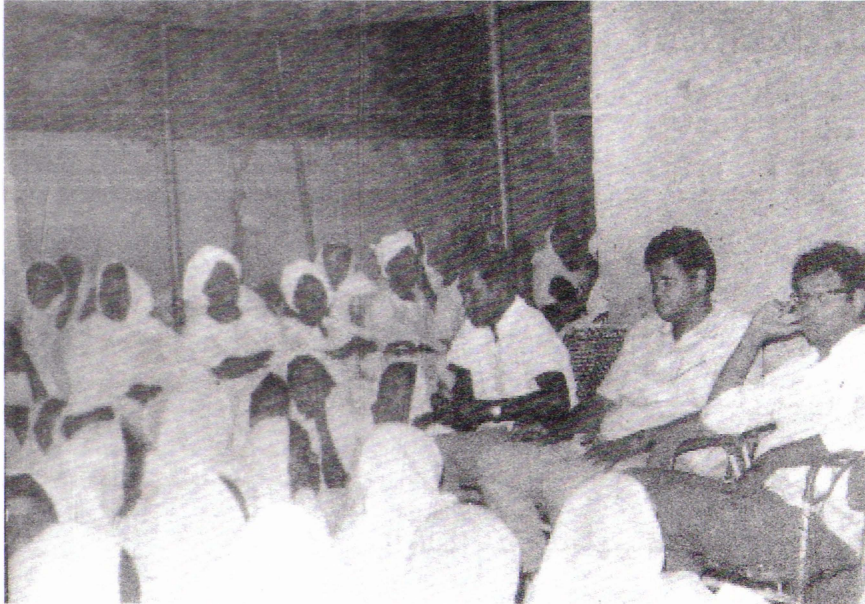
جانب من الجلسات الداخلية للأخوات والأخوان

جانب من الجلسات الداخلية
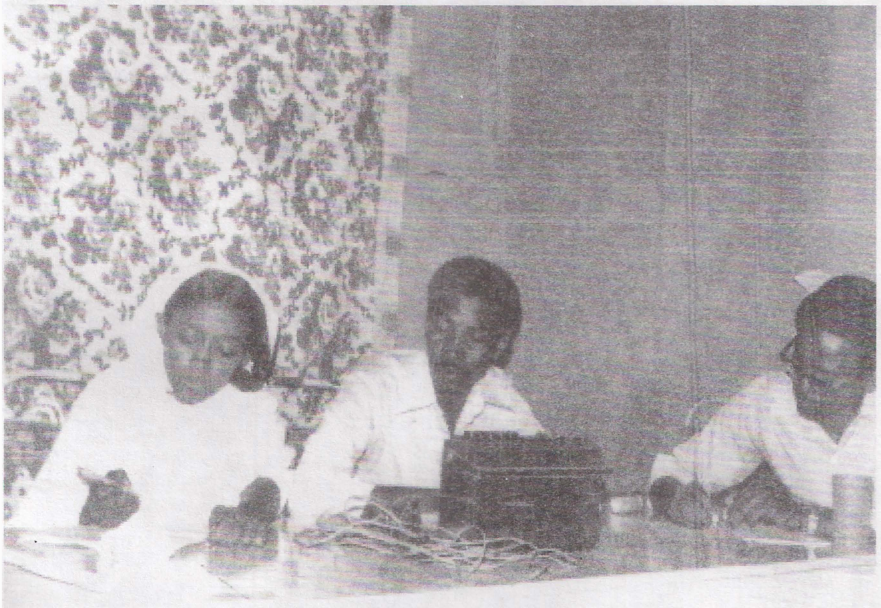
لجنة الرصد في أحد مؤتمرات الفكر الجمهوري

بعض الآخوان يراجعون احد الكتب على الشمع لطاعته

الأخوان يعملون ليل نهار في ماكينة الرونيو صانعة المعجزات

الإعداد للعمل الخارجي

تجهيز كتب الفكرة للعمل الميداني
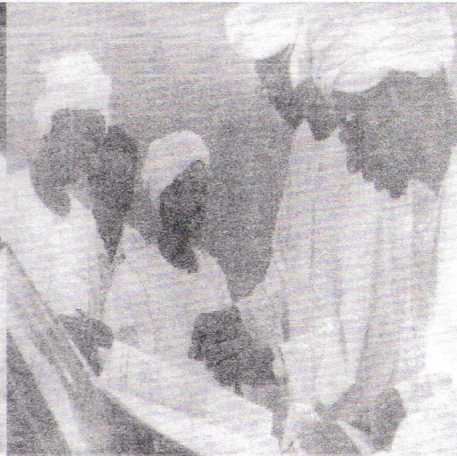
الأخوان الجمهوريين في حملة الكتاب وشرح الفكرة على المارة
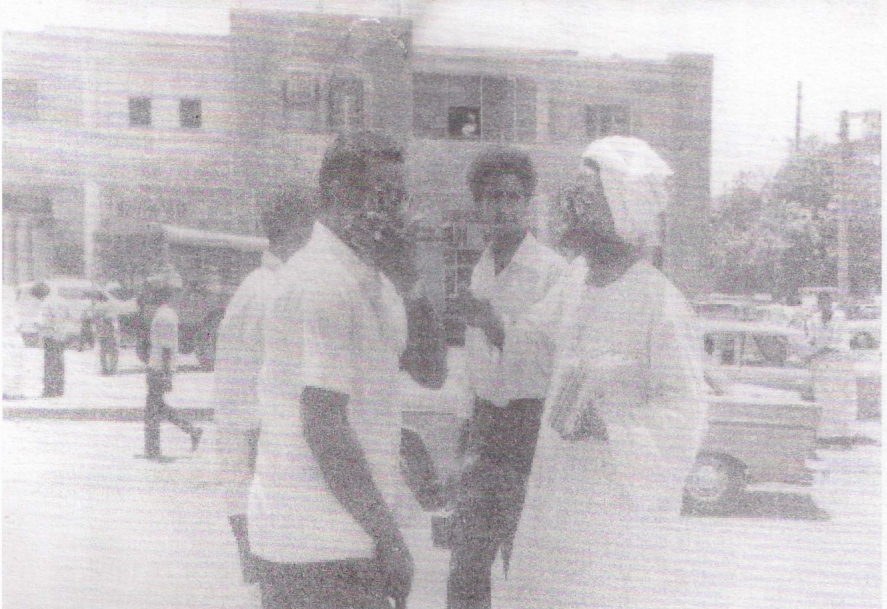
الفصل السابع

التمهيد لقوانين سبتمبر 1983

في عام 1983 بدأ جعفر نميري وأعوانه يعدون المسرح، لإعلان قوانين الشريعة الإسلامية والتي أسماها الأستاذ محمود بقوانين سبتمبر1983 لبعدها عن الإسلام، ولذلك بدأت الجهود في تنظيم حملة، ضد الأستاذ محمود وأفكاره تمهيدًا لتصفيته الجسدية، وبالتالي تصفية الفكر الجمهوري لتخلو لهم الساحة من المعارضة وينفردون بالشعب في غياب الوعي.. وفي الجانب الأخر من تلك الحملة ظل ديدن رجالات الأزهر الذين جلبتهم حكومة نميري إلى السودان، تنظيم الحملات ضد الفكر الجمهوري، وذلك بحملة نشطة بالسباب للأستاذ محمود، وكان هؤلاء يتوافدون على جامعة أم درمان الإسلامية كأساتذة. ومنذ زمن طويل بدأوا مهاجمة الفكر الجمهوري من غير إطلاع، ولاسابق معرفة، بما يقول الأستاذ محمود متناسين قول الله تعالي: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ (سورة النور). وجامعة أمدرمان الإسلامية هي إحدى معاقل المؤسسة السلفية في السودان.. هي جامعة خرجت من معهد أمدرمان العلمي القديم، وكذلك كان إسمها السابق، قامت هذه الجامعة على النهج السلفي، بها كلية منفصلة للبنات، وذلك بناء على مبدأ رفض الإختلاط في الشريعة، ولكن الأساتذة الذين يدرسون البنات في هذه الكلية، هم رجال الفقه الإسلامي من السودان ومصر!!، والمعروف أن كل السلفيين المنبوذين في مصر، قد وجدوا في السودان مأوى ومرتعًا خصبًا لهم، وأخذوا يمارسون النشاط الذي كان ليس من الممكن أن يمارسونه في مصر، وأصبحت جامعة أمدرمان الإسلامية وكرًا لهم!!. هذه الجامعة تجد دعمًا ماليًا من المملكة العربية السعودية، كما كان يفد إليها السعوديين.

بدأت الحملة ضد الأستاذ بأحد الفقهاء الوافدين على تلك الجامعة من مشايخة الأزهر، الذي دعي خصيصًا لهذه المهمة، يدعي (المطيعي) وهو نفس الشخص الذي أثار الفتنة الدينية في مصر، قبل مقتل الرئيس أنور السادات، وقد جاءوا به للسودان ليقيم الندوات والمحاضرات ضد الأستاذ، والفكر الجمهوري، بغية الغدر بالأستاذ، وقد قدم الكثير من الأحاديث من منبر جامع التقوى في حي كوبر الذي يعرف بجامع عمر محمد الطيب رئيس جهاز أمن الدولة ابان حكم جعفر نميري وقد كانت كل تلك الأحاديث هجومًا غير موضوعي، وغير أمين، وإنما هو سيل من الإساءات والتلفيق، وإمتد نشاطه من هذا المسجد إلى مساجد أخرى، وقد أخذ يذاع حديثة من أجهزة الإعلام الرسمية المختلفة. . وقد أخرج الجمهوريون كتيبًا ضد هذا الهجوم تحت عنوان (الهوس الديني يثير الفتنة ليصل إلى السلطة)، وقد وضح للناس من هو المطيعي، ثم شرح الغرض الذي يستغل به المطيعي الرجل الدخيل، للهجوم على الأستاذ الرجل الوطني وعلى الفكرة الجمهورية، إنتقد ذلك الكتاب كل أحاديث المطيعي ودحض الكذب الذي حوته ، والتي كانت تذاع في المساجد وأجهزة الدولة الرسمية، وقد بدأ الجمهوريون نشاطًا كبيرًا بهذا الكتاب وذلك بإقامة الندوات، ويقيمون الندوات وأركان النقاش والحوارات حوله، في الجامعات والأماكن العامة من أجل التوعية. . . لم تحتمل السلطة هذا النشاط فبدأت حملة إعتقالات واسعة في وسط الجمهوريين، الذين يقدمون هذه الأركان. . كل من يقدم ركنًا للنقاش حول هذا الكتاب يعتقل، وإستمرت الإعتقالات حتى وصل عدد المعتقلين إلى خمسين معتقلاً. . وقد تم إعتقالي بعد أن قدمت منبرًا في كلية الطب في جامعة الخرطوم، بعد دخول هذا العدد الكبير إلى السجون، أوقف الأستاذ حلقات النقاش، ثم

وجه ان يسجل نفس الموضوع فى عدد من الأشرطة توزع على الجمهور، وفعلاً سجل الأخوان والأخوات الجمهوريات، عددا من الأشرطة حتى بلغت ستة وعشرين شريطًا، سجل فيها نفس الكلام الذي كان يدور في الأركان عن الهوس الديني، وأخذت هذه الأشرطة تجد رواجًا كبيرًا. . وهكذا تدرجت المقاومة السلمية متغيرة في الأشكال والصور لتبصير الناس بخطر الهوس الديني، من أجل الإسلام والسودان، وإنتشر هذا النشاط وتواترت أخباره في المدينة، حتى فقد نظام نميري صوابه، تجاه هذا العمل المكثف في التوعية، والهجوم على السلطة، التي أصبحت أداة من أداوات الهوس الديني، فشن جهاز الأمن حملة واسعة على منازل الأخوان التي ورد ذكرها في هذا الكتاب، فصادروا جميع نسخ ذلك الكتاب من أماكن إعدادها، كما صودرت ماكنات الطباعة وجميع الأشرطة. .

في شهر رمضان الموافق يوم الخميس 9/ 6/ 1983 أعتقل الأستاذ محمود، ووضع في أحد المنازل التابعة لجهاز أمن الدولة (دار إتحاد الضباط الإداريين سابقًا، ثم نقل إلى منزل كان يسكنه الأستاذ بونا ملوال سابقًا) كما أعتقل عددٌ من الأخوان بسجن كوبر، وأعتقلت أنا وثلاثة من الأخوات بسجن أمدرمان (قسم النساء). .

إعلان قوانين سبتمبر 1983:ـ

بعد أن اعتقدت السلطة أنها أخمدت صوت الجمهوريين في الخارج، وخلت لها الساحة من المعارضة، أعلن جعفر نميري في سبتمبر 1983 القوانين التي أسماها زورًا وبهتانًا بالقوانين الإسلامية، التي أطلق عليها الأستاذ (قوانين سبتمبر 1983) وذلك لأنها قوانين قامت على تشويه الإسلام، وتعذيب الشعب، فقد

سنت قطع اليد على السرقة من المال العام، مع أن الحكم في الشريعة تعزيراً ولا يتم القطع في حالة السرقة من الحرز، كما سنت قطع اليد والرجل من خلاف على السرقة من الطريق، والقطع من خلاف في الشريعة لايتم إلا لقطع الطريق الخلوي وإرهاب الناس والسرقة، وليس من وسط المدينة كما حدث في نظام نميري في قضية المواطن الواثق الشهيرة، فقد نفذوا فيه القتل والصلب والتمثيل بجثة المتوفي (وعلقوا جثتة في بوابة السجن) وهو ماحرمه الإسلام.. كما أوسعت هذه القوانين الشعب جلداً لأقل المخالفات التي لم ترد حتى في الشريعة، وأباحت التجسس الذي نهى عنه الإسلام. هذه هي قوانين سبتمبر في جملتها، وقد أصدر الأستاذ منشوراً بتاريخ 11/ 8/ 1984، واجه فيه قوانين سبتمبر، وقانون الطوارئ في هذا المجال، نجتزئ منه مايلي: (إن سلطة مايو أخذت تسير في الظلام منذ إعلانها قوانين سبتمبر 1983، وهي قوانين كما سنبين أنها مفارقة للدين، ومفارقة للشريعة.. وقد نصحنا سلطة مايو في كتابنا الأخير: (الموقف السياسي الراهن 3 مارس 1983) نصحًا صادقًا، حتى تعدل عن هذا الطريق المظلم ـ طريق الفتنة العمياء ولكنها لم تنتصح).. وقد نقد المنشور قانون الطوارئ الذي أقر فيه الطاغية مبدأ التجسس في خطابه 24/ 5/ 1984 الذي قال فيه: (هذا هو الإسلام النهج الإسلامي، وكل ذلك هو الإسلام الصحيح والصحيح حقًا، ولكن الإسلام له طوارئ، فعندما نرى المجتمع قد فسد أو إنحرف إنحرافًا شديدًا، نعلن الطوارئ، ندخل البيوت، ونفتش الناس في كل مكان، من يشرب في الخفاء ومن يزني ..). ورد الجمهوريون في منشورهم على الطاغية بالآتي: (إن الدين قد نهى عن التجسس نهيًا قاطعًا، قال تعالى: ﴿ ... وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ...﴿١٢﴾ ﴾ (سورة الحجرات).. وقال النبي الكريم: (ولاتحاسدوا،

ولاتباغضوا، ولاتجسسوا، ولاتناجثوا وكونوا عباد الله إخوانا) رواه مسلم ـ رياض الصالحين. . وقال: (إنك إن تتبعت عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم) رواه أبو داؤد بإسناد صحيح ـ رياض الصالحين ـ . . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من إطلع في بيت قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فلا دية له ولاقصاص) زاد المعياد لإبن القيم ـ جزء 3 الطبعة الأولى صفحة 275 ـ فليس في الإسلام (طوارئ) تبيح للمسلمين الخروج على قيم دينهم وروح شريعتهم فإن صلاح الناس لايكون قط بمخالفة أمر الله، وأمر نبيه . . أكثر من ذلك فقد نصت قوانين سبتمبر على مخالفة أمر الله، فقد جاء في قانون الإثبات لاترفض البينة المقبولة لمجرد أنه قد تم الحصول عليها بوسائل غير مشروعة، متى ما إطمأنت المحكمة إلى سلامة البينة من الناحية الموضوعية ـ الفصل السادس من المادة11ـ). . هذا ما إجتزيناه من منشور الجمهوريين أنف الذكر.

لم تكن فترة الإعتقال فترة جمود وصمت، أو تعطيلاً للعمل الفكري أو السلوكي كما ظن رجالات النظام. . وقد ظل العمل الجمهوري جاريًا بأساليب جديدة، وظلت رعاية الأستاذ للمجتمع قائمة من على البعد، بطرق متنوعة وجديدة أيضًا، وقد كان هدف النظام من حبسه منفردًا، هو إبعاده عن المجتمع الجمهوري، وإشرافه عليه. . ففي السجن أشرف الأستاذ محمود على كل التحركات وقام بإعداد منشور في نقد ومهاجمة قوانين سبتمبر في 11 أغسطس 1984م، وقد ساق ذلك المنشور أدلة قوية في معارضة تلك القوانين، وخروجها عن الشريعة، وبالتالي تشويهها للإسلام كما فصل أعلاه، وقبله أصدر في 3 مارس 1983م أصدر كتاب (الموقف السياسي الراهن) الذي جاء فيه: (أن

القوانين الأخيرة ليست إسلامية !! بل أنها ليست شرعية، وهي عمل ضد الإسلام وبصورة محزنة !! فإنها قد شوهت الإسلام في نظر الأذكياء من شبابنا، وفي نظر العالم ، وجردت الإسلام من حكمته، وأظهرته بصورة قسوة تنصب على المساكين والمستضعفين لحماية الأقوياء والأغنياء) إلى أن قال: (ويكشف التطبيق العملي لهذه القوانين الجديدة، عن مفارقات واضحة للنهج الإسلامي الصحيح، الذي يقتضي أن يكون التطبيق للقوانين الإسلامية الصحيحة ، على آديم أرض ثابتة من إستقامة أمر الناس على جادة التربية والترشيد الإسلامي، ومن رسوخ أقدام العدالة الإجتماعية)، كما أوضح فيه تردي الموقف السياسي، وضعف الموقف الإقتصادي والخطر الذي تواجهه البلاد، في حالة عدم القيادة، وعدم الإتزان العقلي، الواضح في تصرفات جعفر نميري. . إنتشر هذا الكتاب في الخرطوم، وبعض المدن الكبرى، وإنطلقت الشائعات بين الناس بأن الأستاذ محمود قد إتهم نميري بالجنون. . أيضًا في فترة الإعتقال تلك، كتب الأستاذ ديباجة الدستور، وهي آخر ما كتبه، وقد بدأها بالآية الكريمة: ﴿ . . .ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا . . .﴿٣﴾ ﴾ (سورة المائدة)، وفيما بعد إتضحت لي دلالات هذه الآية التي كانت خفية عليّ في وقتها وضع الأستاذ في الديباجة الأسس التي يقوم عليها الدستور ومدخله، كما شرح معنى كلمة الديمقراطية ومقاصدها، ومعناها حكم الشعب بواسطة الشعب لمصلحة الشعب، وفي الجانب التطبيقي كان حكم الشعب عن طريق الحكم النيابي، ومن هنا نشأت الأحزاب السياسية، وقد توسع في شرح معنى الديقمراطية وتاريخ تطورها عبر العصور، ثم ما إعترى تطبيقها من عقبات، اولها عدم وعي الشعوب

بحقوقها، وثانيها أنانية الحكام، فكل الحكام حتى في أعـرق البلـدان الـتي تـدعي الديقمراطية يعملون لمصالحهم وليس لمصالح الشعوب، وأورد في هؤلاء ما قالـه ابو العلاء المعري:

مل المقام، فكم أعاشر أمة **** امرت بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا الرعية وإستباحوا كيدها **** وعدوا مصالحها، وهم أجراؤها

ثم قيم تجارب المعسكرين الشرقي (روسـيا) والغربـي (بريطانيـا وامريكـا) وكيف أنهما فشلا في تحقيق الديقراطية والإشتراكية، وقد وضـح تجربـة المعـسكر الشرقي الذي يعتبر اكثر تقدمًا من المعسكر الغربي ومع ذلك فهي الأكثر فشلا فقد قال عنها: (الناس يتحدثون في الوقت الحاضر عن العلمية بتأثر كبير برأي كـارل ماركس ولكنهم غير دقيقين في هذه التسمية . . إشتراكية كارل ماركس علمانية ، وليس علمية . . وكذلك كلما يتحدث عنه الناس الأن ، إنما هو علماني ، وليس علميًا . . الفرق بين العلمية ، والعلمانية ، إن العلمانية علـم نـاقص . . وتجـئ العبارة عنه في القرآن: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (سورة الروم) سماه ، ونفى عنه ، أته علم : قال (لايعلمون) ثم قال (يعلمون ظاهراً . .) وهذا الظاهر إنما هو المادة كما تتبادر لحواسنا . . العلمانية تتعلق بالحياة الدنيا ـ الحياة السفلى ـ حيـاة الحيـوان ، وتغفـل عـن الحيـاة الأخـرى . . الحيـاة العليـا . . وهـي جيـاة الإنسان).

وتحدث الستاذ عن تجربة السودان التي اقعدها قلة الوعي والطائفية، ثم اوضح حاجة الإنسان للإشتراكية والديقراطية، واوضح المنهاج لتحقيقها، وقد شملت الديباجة تصوراً شاملاً لعلاقة الإنسان بالكون، وعلاقة الإنسان بالدين، وبالبيئه حوله، ثم علاقتة بالله، كما شملت حديثًا علميًا شاملاً عن الكون الخارجي، والكواكب، والمجرات، والنجوم، وعلاقة كل هذا بالنفس البشرية، ومن هنا جاء ليربط بين التصور التام للكون وبين دستور الامة الذى يمكن، أن يقوم على النظام الإشتراكي الديمقراطي، الذي يحرر الإنسان من الخوف، ويمهد له سبيل العودة إلى الله (راجع ديباجة الدستور) وتعتبر الديباجة إنجاز جديد إضافة إلى إنجازات الفكرة الجمهورية، وبهذا المعنى، كماقال: (فإن الإعتقال قد كان على موعد مع عمل عظيم . .).

تم إطلاق سراح الأخوات الجمهوريات من سجن ام درمان في يوم 28/ 2/ 1984 وبعد فترة وجيزة تمكنت من تنظيم زيارات للأستاذ في معتقله عن طريق الرجل المسئول عن القسم (السياسي العقائدي) كما يسمونه في جهاز امن الدولة، وكان قد سمح لزوجته امنا آمنة محمد لطفي بزيارته أيضًا. وفي تلك الفترة التي بدأت فيها زيارتي كان مشغولاً بكتابة ديباجة الدستور، وكان في كل زيارة له، يعطيني صفحات من الديباجة، على فترات، وفي دفعات، كان يرسلها معي ليطلع عليها الأخوان، والأخوات، في الجلسات الصباحية، وكان يوصيني بالتحفظ عليها، وكذلك أن يتحفظ عليها الأخوان والأخوات، وذلك لأنها تحتاج لبعض الوقت حتي يتمكن الناس من الإطلاع على كتب الفكر الجمهوري وعلى

فهمها، ليتمكنوا من فهم الديباجة . . لأن فهم كتب الفكـرة الجمهوريـة يـساعد على فهم الديباجة .

صلة الأستاذ بالمجتمع الجمهوري أثناء فترة الإعتقال:ـ

كـان في فـترة الإعتقـال علـى صـلة تامـة بـأفراد المجتمـع الجمهـوري، وبالمعتقلين، كان يوصي الأخوان الذين يحملون له ولنا وجبات الطعام، بكل مـا يريد أن يقوله لنا، كان يعرف أحوالنا بدقة ونحـن في الـسجون، ويتـابع حالاتنـا الصحية، كانت عنايته شـاملة بكـل المعـتقلين وأسـرهم، فقـد أمـر بجمـع جميـع زوجات المعتقلين وأبنائهم المقيمين في الخرطوم في منزله بمدينة الثورة، حيـث كـن يتابعن أخبار أزواجهن وأخبار باقي المعتقلين من منزل الأستاذ، ويـتم الإشـراف على علاجهن، وعلاج أطفالهن وتنظيم زيارات الأسر للسجون، من منزله أيضًا كان يحمل إلينا القادمون من زيارته، وصاياه مكتوبة على قصاصات من الورق، كـانوا يكتبونهـا بعـد أن يوصـيهم بهـا ويبـدأ هـذه الأوراق ب(بتـول وأسمـاء و. . إلخ)، أو بتول وأخواتها، كان تركيزه كبيرًا في فترة الإعتقال هذه، أن يكون الجميع في داخل السجون وخارجها، في حالـة حـضور تـام، يوصـي بالإهتمـام بالصلاة، وخاصة قيام الثلث الأخير من الليل، ثم يرسـل لنـا، مقترحًـا لـبعض الموضوعات، لنكتب فيها ثم نرسلها له، ليطلع عليها ويرسل لنا تعليقاته عليها، كان يحفزنا على الكتابة وتجويدها بإرسال الهدايا لنا في السجن، أرسل لنـا جميعًـا هدايا أذكر بعد ان كتبت موضوعًا نال إعجابه، علق أنه ممتاز، أرسل لي مصلاته الخاصة التي كان يستعملها في المعتقل وما زلت أحتفظ بها كأعز ما أملك في هـذه الدنيا . .

كنا جميعًا من داخل السجون، نتابع بضيق شديد تطبيق العقوبات (غيرالإسلامية) على المواطنين من حدود مشوهة، مثل قطع اليد، والقطع من خلاف، والقتل والصلب والجلد، وقد كانت تلك أيامًا سوداء في تاريخ الأمة السودانية، وعمل شبيه بالجنون، خاصة يوم أن أعلنوا عن صب الخمور في نهر النيل، فقد أعلن جعفر نميري وجماعته، عن ابادة جميع الخمور، وجمعت كميات كبيرة منها، ووسط جمع غفير من المسؤلين، والجيش، والبوليس، وجموع المواطنين ألقيت الخمور في النهر . . . ومن المتناقضات أن حضر إلينا عدد كبير من عساكر السجون ممن شاركوا في مهمة إلقاء الخمور في النهر، أتوا جميعًا مخمورين فقد تناولوا كميات من تلك الخمور التي كان يجب أن تباد!!

إطلاق سراح الأخوات الجمهوريات:-

في يوم 28/2/ 1984 تم إطلاق سراحنا(الأخوات الجمهوريات الأربعة) من سجن أمدرمان، من غير قيد ولا شرط، ومن غير أي سبب واضح، وقد سمعنا بعض الشائعات تقول أن بعض المواطنين السودانيين قد أعابوا على عمر محمد الطيب، رئيس جهاز أمن دولة نميري، إعتقال البنات!!، إذ أنه يعتبر عملاً منافيًا للأعراف السودانية، ولكن بعد فترة تأكد لنا أن تلك كانت مساعي منظمة حقوق الإنسان. . في تلك الفترة أيضًا تقرر إطلاق سراح الأستاذ وحده، من غير إطلاق سراح الأخوان الجمهوريين الموجودين في سجن كوبر وبقية السجون، وقد رفض الأستاذ الخروج بقوله (أن أبنائي الجمهوريين في السجون، قد دخلوا جميعًا بسبب الفكر الجمهوري وهو مسؤليتي أنا ولا يمكن أن أخرج وهم في السجون) نسبة لهذا الموقف صرفت الحكومة النظر عن إطلاق سراح الأستاذ، وبقي في السجن حتى 19 ديسمبر 1984، حيث أطلق سراحه مع جميع الأخوان

الجمهوريين، في حين أن بعض زعماء الأحزاب قد قبلوا الخروج من السجن قبل خروج أعضاء أحزابهم وقد خرجوا فعلاً.

في أثناء فترة تواجده في السجن ظللت أتردد عليه منتهزة كل الفرص وكل الأسباب التي تمكنني من ذلك، فقد كنت أنا رسميًا الشخص الذي يحمل له وجبات الطعام بعربتي، ولم يكن من المسموح لي أن أذهب له في مكان معتقله، وكان من المفروض عليّ أن أقف أمام رئاسة جهاز أمن الدولة، ثم يأتي أحد العساكر يأخذ مني الطعام ويعطيني الإناء الفارغ، الذي أحضرت فيه الطعام في اليوم السابق، وفي ذات يوم أحضرت الغداء، فوجدت الفطور الذي أحضرته في الثامنة صباح الأمس موجودًا في مكانه، لم يحمل إليه بعد، وأنه لم يتناول طعامًا منذ الأمس وحتى الساعة الثالثة.. وقد أثار ذلك غضبي وصحت في العساكر (أنكم إذًا تريدون قتله جوعًا)، وهنا ثارت حفيظة العسكري وإنفجر ينتهرني، ودارت بيننا معركة كلامية، كدت أن أعتقل فيها مرة أخرى، ثم قررت الإتصال تلفونيًا برئيس (القسم العقائدي)، لمقابلته، وقد تمت المقابلة، لم يكن عدوانيًا في تلك المقابلة، أخبرته بما حدث في أمر الطعام، وطلبت منه أن أزور الأستاذ، وأن أحمل إليه الطعام بنفسي فوافق.. في الفترات السابقة كنت عندما أسلم الطعام لرئاسة الجهاز، كنت أمر أمام مكان إعتقال الأستاذ في منزل بونا ملوال في شارع البلدية، لأنظر إليه من النافذة، وعندما سمح لي بالزيارة وقابلتة قال لي: (إني كنت أخاف عليك عندما تمرين أمام نافذتي، وأحسب دائمًا أنهم قد أخذوك إلى أحد محاكمهم، وقاموا بجلدك، ولذلك كنت أريد فعلاً أن تطلبي زيارتي، بهذه الطريقة..)، بعد السماح لي بالزيارة تمكنت من إستخراج إذنًا بالزيارة لشقيقتيه

كلتوم وبتول، وعند وصولهن ساد الفرح، وقد كان لقاء حارًا، ومنذ ذلك اليوم بدأت عمتي كلتوم أكثر تماسكًا من ذي قبل فقد اطمأنت عليه . .

في ذلك اليوم ظهر لى أن مع الأستاذ في المنزل معتقلاً أخر، هو رجل الأعمال السوداني الدكتور خليل عثمان . . كانت الغرفة التي يسكن فيها الأستاذ في منزل حكومي في شارع البلدية، كنا نقول عنه دائمًا منزل (بونا ملوال) فقد كان هذا المنزل مخصصا للسيد بونا ملوال . . كان المكان متسخًا بصورة غريبة . . كان للإستاذ في الغرفة سرير، ومصلاة بجوار السرير، وجرة صغيرة للماء، وتربيزة، عليها حقيبة ملابسه . . حز في نفسي كثيرًا إتساخ الغرفة بتلك الصورة، فذهبت لرئيس القسم العقائدي في جهاز أمن الدولة، وطلبت منه أن أذهب لنظافة الغرفة بنفسي، فرد عليّ أن هناك من سيذهب للنظافة، ولكني أصررت أن أقوم بالنظافة بنفسي، فوافق وذهبت في صباح اليوم التالي، وقمت بالنظافة كاملة، ومنذ ذلك اليوم أصبحت أستغل تصديق النظافة لزيارته، مرتين، أوثلاثة، في الأسبوع، كما أني وقبل ذهابي إلى مكتبي أحمل له الشاي في الصباح الباكر، كل ذلك كان للإطمئنان على صحته، فلم يكن يحرص على الشاي، كنت في كل زيارة أقوم بنظافة الغرفة، كان يمنعني من النظافة بقوله، أن زمن الزيارة قصير ولا يصح أن تضيعه في النظافة، كنت أقول له أن زمن الزيارة ساعتين، فكان يقول لي مهما كان الزمن طويلاً فإنه ضيق، ولا تضيعيه في النظافة تحدثي معي[1] . .

أذكر في أحد المرات، نظفت الأرضية، وبقيت أثار قدمي مرسومة على الأرض وجفت على ذلك، وعندما عدت في المرة القادمة مسحت الأثر فقال

---

(1) كل هذه الزيارات مسجلة على أشرطة كاسيت ودونت بالقلم في حينها وحفظت .

لي : (لاتمسحيهما فقد أناستنى في الأسبوع الماضـي . . وأضـاف ، اليـدين يمـثلان صفحة العقل ، والقدمين يمثلان صفحة القلب ، وأنت لما تركتي أثـار قـدميك في المرة السابقة ، كأنك تركتي قلبك مع أبوك) ، من هذه العبارات أدركت كيـف أن السجن المنفرد يكون موحشًا للإنسان . . علق على إتساخ الغرفة بقولـه (إن هـذا المكان الغير نظيف ، يشعرني بالإنكسار والتواضـع ، ففـي خـارج الـسجن كنـتم تخدموني ، وقد كنت مقدسًا عندكم . . .) وقد كان هذا الحـديث يـثير في نفـسي الكثير من الحزن ، فالمعاملة داخل المعتقل بهذا الـشكل ، كانـت دون مـستوى أي رجل في مكانتة وعمره ، بدون أي سبب فقط لأنه إختلف في رأي ديني ، مـع مـن يدعون الإسلام في بلاده وهم في عمر أبنائه والإسلام منهم براء ! ! .

المواضيع التي كان يتحدث عنها الأسالذ وهو في السجن (1984):-

كان يحدثني في تلك الزيارات أحاديثًا عميقة ، وحزينة ، في نفـس الوقـت ، كانت بعض الكلمات تمر عابرة ، ولا يعيدها مرة أخرى ، لا أتبينها تمامًا ، ويظـل صداها حزينًا عالقًا في ذهني . . قال لي مرة أنه يجـد متعـة طيبـة في الـسجن ، ثـم أردف (ولكنى أقول أحيانًا ، لو كنت خارج السجن لقدمت أكثر للناس) .

أغتيلت أنديرًا غاندي وهو في السجن ، وفي إحدى زيـاراتي لـه ، وجـدت عنده مجلة (نيوز ويك) الأمريكية تحمل الخبر ، وصور أنديرًا وهي قتيلة ملقاة على الأرض ، وقد كان حزينًا لإغتيالها ، وقد علق بأنها(إمرأة عظيمـة ، وماتـت ميتـة عظيمة وقال هي أول إمرأة تغتال في التاريخ ، حياتها كانت عظيمة ، فقـد كانـت حريصة على وحدة الهند التي منذ أن جاءت إلى السلطة وجدتها موزعـة ، وكـان السيخ يطالبون بالإنفصال لإقليمهم ، فـإذا سمحـت لهـم بـذلك فكـل الأقـاليم

ستطالب بالإنفصال، وما فعله السيخ مستهجنًا وليس هناك قضية تنتصر بهذا الأسلوب والإغتيال كان فيه خسة وغدر فقد قتلها حرسها الذي كانت تطمئن إليه وإغتيالها كان شبيه بإغتيال السادات. . وقد أُعجب بتعليق وزير الخارجية الأمريكي الذي قال: (أنه حزين عليها وأن فقدها لايعوض) ولكن الأستاذ قال أن إنديرا ستعوض بمن هن أقيم وأفضل منها وذلك في مستقبل الجمهوريات وقد تحدث أيضًا عمن إغتالوها من السيخ وعن قوى الشر في العالم)، وإنتهزت هذه الفرصة وسألته بتعليقي: (ولكن الشر دائمًا منتصر)، رد على قائلاً: (ينتصر لنهايته). .

في نفس تلك الأيام ترشحت السيدة فرارو لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، كان سعيداً جداً بترشيح تلك السيدة لمنصب الرئاسة الأمريكية، وكان في سلسلة من زياراتي له في تلك الفترة، يتحدث عن ذلك الحدث، وظل يتابع أخبار الإنتخابات في (التايمز، ونيوزوييك)، وكل المجلات والصحف التي ترد فيها أخبار الإنتخابات الأمريكية، كان دائمًا يبدو سعيداً بتقدم تلك السيدة، قال لي في إحدى الزيارات أنه يحب تقدم المرأة، ويفرح له وأضاف هناك عقدة عداء للمرأة، وعقدة محبتها، وقال أنه لايعاني من أي من العقدتين. بعد إغتيال أنديرا كان يتحدث أحاديث كثيرة حزينة عن الإغتيالات، مثل إغتيال عمر ابن الخطاب وإغتيال عثمان بن عفان، ويردد بعض أبيات الشعر العربي عن صبر الإبن بعد فقد الوالد، وكيف أن صبر الإبن يعين الأخرين على الصبر وتلى الأبيات التي قالها أحد شعراء العرب يعزي عبد الله بن عباس في والده:

(أصبر نكن بك صابرين فإنما *** صبر الرعية بعد صبر الرأس

خير من العباس أجرك بعده *** والله خير منك للعباس)

لم أكن أفهم حقيقة مرامي تلك الأحاديث، في ذلك الوقت، ولكن بعد إغتياله بدأت أفهم أنه كان يلمح ليعدنى لذلك الحدث. . وتحدث عن وصف ابو العلاء المعري لوقار والده في بيت الشعر :

(ألا ليت شعري هل يخف وقاره إذا صار أُحد في القيامة كالعهن

وهل يرد الحوض الرويَّ مزاحمًا أم يأبا الزحام فيستأني) .

أحيانًا كانت تحدث بعض الأشياء الغريبة أثناء زياراتي له، أذكر أنه في ذات مرة كنت أجلس على طرف سريره، كان ينظر من الغرفة إلى بلكونة مواجهة إلى باب الغرفة، وقد لاحظت أنه فوق زاوية جدار تلك البلكونه، كان يقف صقر ضخم الجسم، فجأة قطع الأستاذ حديثه معي، وقال لي في دهشة : (أنظري لقد جاء، إني أحب ذلك الصقر، فعندما يجلس فى ذلك المكان أرتاح له. . الصقر طائر هادىء وقليل الحركة، إنه لا يحرك رأسه كثيرًا، مثل السمبر)، (والسمبر طائر معروف في السودان) كثير حركة الرأس، وأخذ يتطلع للصقر، وتبرق عيناه بريقا شديدًا، وقد ظل الصقر واقفًا بلا حراك طوال فترة حديث الأستاذ عنه. . لم أفهم شيئًا ولكني كرهت ذلك الصقر في تلك اللحظات، ففي الثقافة السودانية الصوفية، أن الصقر يرمز للأولياء والصالحين الأقوياء، ولكن العامة يتشائمون منه، وقد إنتابني شعور العامة! .

في أحد الأيام قمت بنظافة غرفته ووجدت جردلاً (إناء ماء) مخرومًا، فألقيت به في ركن قصي في صالة مهجورة، في مكان سكنه، وفي زيارة قادمة،

وجدته قد أعاد الجردل إلى مكانه، داخل الحمام، ثم أخرجته، وأعاده، وفي المـرة الأخيرة طلب مني أن لا أخرج ذلك الجردل من الحمام مرة أخـرى، قـائلا: (لأن ذلك الجردل قد خدمني في أيامي الأولى، عندما لم يكن معي جردل جديد) ثم قال لي: (نعم إن ذلك الجردل قديم، ولكنه قدم لي خدمة، وأريده أن يكون محفوظًـا في مكان جيد نسبه لما أداه لي من جميل)، ومثل هذا الوفاء غريب فهو ليس للناس فقط، وإنما للأشياء أيضًا، وهو تحقيق لفكرته التي يقول فيها أن يعيش الإنسان في سلام مع الأحياء والأشياء).

في إحدى زياراتي وجدت عنده قطعة من التفاح، كانت ضمن الطعام الذي أحضر له بالأمس، فقدمها لي قائلاً (كنت فكرت أن أعطيها لحارسي، من رجال الأمن، ولكن تذكرت أن اليوم يوم زيارتك، فإحتفظت بها لك، يقولون أن الولد مجبنة مبخلة). .

في كثير من الزيارات الأخيرة كان يحدثني عن ضرورة (قراءة الأيام)، وهو أن يحاول كل شخص أن يرجع إلى ماضـي حياتـه، ويـسترجع جميـع الحـوادث، والمواقف، التي إتخذها فإن كل شخص سيجد أن ماضي حياته لم يكـن ليحـدث أحسن مما حدث، وأن كل المواقف لم يكن هناك بديل لها، أفضل من الذي إتخذه وهي تدل على تسيير الله الحكيم والدقيق، لكل إنسان في حياته، وكان مـن هـذا المنطلق يطلب مني أن أجلس مرة لقراءة أيام حياتي، كما حكـى لى قرآءتـه لأيـام حياته يجدها القارئ في الفصل الآول من هذا الكتاب (تاريخ الاسرة).

في ثاني زيارة لي، رافقني أحد رجال الأمن إلى حجرة الأستاذ، فخاطبه الأستاذ قائلاً(بتول إبنتى وكانت غير موجودة، والأن ستكون هي الشخص الذي يأخذني إلى طبيب الأسنان)، وقد تمكنت من إعداد تلك الزيارات، وكان طبيب أسنانه هو المرحوم دكتور حسن حسين ملاسي، كان رجلاً طيبًا وكريمًا، وكان يكن للإستاذ تقديرًا واحترامًا كبيرين، وكان يصر أن لا يأخذ أجرًا على علاج الأستاذ، وعند إصرارنا كان أحيانًا يأخذ مبلغًا زهيدًا ورمزيًا فقط، وبعد فترات متباعدة.. بعد فترة من الزمن سعيت لإستخراج إذن لزيارة احد الأطباء الجمهوريين للأستاذ كل يوم (أثنين)، وبذلك إرتفع عدد زيارتي له وكان يسعد كثيرًا برؤية واحدًا من أبنائه الأطباء. (أنظر خطابات الأستاذ من المعتقل).

19 ديسمبر 1984 إطلاق السراح الأستاذ والتآمر على حياته:-

في أثناء فترة وجود الأستاذ في المعتقل، وبعد صدور قوانيين سبتمبر 1983، كانت حكومة نميري في حيرة ماذا تفعل بالمعتقلين ؟ أو لعلها كانت تبحث عن المداخل التي تصل بها لإغتيال الأستاذ محمود وإلباس ذلك التآمر ثوب القانون، فإنطلقت بعض الشائعات تقول أن خليل عثمان، ومحمود محمد طه، سوف يقدمان للمحاكمة بسبب معارضتهما الشريعة الإسلامية، يعنون قوانيين نميري، وفعلاً صدر خطاب يتضمن اسماءهم للمحاكمة، وبعد ذلك عدل هذا القرار ليعود في شكل جديد، فقد صدر خطاب يقول: (سيقدم للمحاكمة خليل عثمان ومحمود محمد طه والصادق المهدي للمحاكمة)، وقد ألغي الخطاب، وظهر قرار أخر بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، حيث أبرم أمر في الخفاء، هو أن يطلق سراح الجميع، ثم يقدم للمحاكمة تحت تلك القوانيين، كل من يقوم بمعارضتها.

ففى حـوالى يوم 15/ 12/ 84 أطلق سراح رجل الأعمال الدكتور خليل عثمان، والذي كان معتقلاً مع الأستاذ لمدة تسعة أشهر وعشرة أيام، وقد كان أنيـسا ممتعًـا للأستاذ بحسن خلقه وطيب شمائله. وفي زيارتي للأستاذ في ذلك اليوم، أخبرنـي بنبأ إطلاق سراح خليل عثمان، وقال لي يبدو أنهم سوف يطلقون سراحنا أيضًا، ولكننا لا نريد أن يجيء يوم إطلاق سراحنا بغتة، فإننا نريد أن نعد له، ليكون فيه إعلان كبير، وسنقوم فيه بحركة كبيرة، وطلب منى في طريقي إلى إمدرمان أن أمر على خليل عثمان، لأبارك له إطلاق سراحه. . وفعلاً ذهبت وكان فرحًا بمقابلتي كما هو حاله دائمًا، وأخبرني بإطلاق سراح جماعـة الأنـصار. . وعنـدما عـدت للأستاذ عرفت أنهم قد عرضوا عليه أمر إطلاق السراح، فوافق بـشرط أن يطلـق سراح الجمهوريين، ويحضروا له في مكانه ليتأكد من إطلاق سراحهم، لأنهم كما قال لرجل الأمن أنهم أعتقلوا بسببه ولا يمكن ان يخرج ويتركهم فـى الـسجون، وتمت الموافقة على الشرط الذى عرضه عليهم، وأمرني أن أنقل الخـبر للأخـوان وأن يقوموا بالإستعداد لإطلاق الـسراح، وهـم بـدورهم قـاموا بتجهيـز الميـدان المجاور لمنزله. . ثم أمرني أن أذهب لإستخراج إذن مرور عبر الكباري، للبصات التي تحمل الأخوان، في موكب يرفع فيه أسم الله المفرد في الطريق مـن المعتقـل في الخرطوم حتي منزله في مدينة المهدية في أمدرمان، وقد فعلت. ثم ذهبت في نفس اليوم وقابلت الرجل المسؤل عن القسم العقائدي في جهاز أمن الدولة، وقال لـي أن الأمر بإطلاق سراح الأستاذ سوف يجيء اليوم، وقـد كـان يقـول لـي بطريقـة معممة وغير مباشرة، أن لايقوم الجمهوريين بأي حركة بعد إطلاق السراح وارجو ان تكونوا متعاونين، وكأنه يعلم أن مكروها قد يحدث، وهو لايريـد أن يفـصح

عنه . . بعدها رجعت للأستاذ وأخبرته بما دار بيني وبين المسؤل في جهاز الأمن ولم يعلق .

في صباح ذلك اليوم 19/ 12/ 1985 وصل الأمر بإطلاق سراح الأستاذ والأخوان . . وإنصرفنا للإستعداد لخروجه، حيث نصبت الصيوانات أمام منزل الأستاذ، ووضعت الكراسي، وأعد عصير الليمون، والكركدي، والبلح . .

كنت مع الأستاذ في المعتقل حيث حضر أحد الموظفين من جهاز أمن الدولة ومعه عربة بيجو حكومية 405 تابعة للجهاز، وقال للأستاذ: (لقد أمرت أن أحضر بهذه العربة لأوصلك إلى منزلك)، وقد لاحظت أن الموظف كان مهذبًا في مخاطبته للأستاذ وهذا على غير المعهود، شكره الأستاذ على عرضه وقال له: (أنا لا أريد أن أذهب بعربة، ولو كنت أريد ذلك لركبت عربة بنتي بتول، فهي معي الآن، ولكن أريد أن أصل بالبص مع أبنائي الجمهوريين). بعد أن أطلق سراح الأخوان المعتقلين بسجن كوبر، وكان عددهم كبيرًا، ذهبت البصات وأحضرتهم إلى مكان إعتقال الأستاذ، وقابلهم أمام معتقله، وقد كان يوم فرح كبير، ممزوج بالحزن نسبه للشعور بالظلم، وهضم الحقوق، الذي كان يحسه كل سجين، أطلق سراحه في ذلك اليوم، إذ لم يكن ما يدعو للإعتقال إبتداءً، ولا يمكن أن يسجن مواطنٌ لأنه كتب كتابًا، راداً على دخلاء على بلادنا، إستغلوا أجهزة الإعلام الرسمية في الدولة، والمساجد، ليسيئوا إليه ويشوهوا سمعته وأفكاره، وهو إبن هذ البلد الوطني المعروف!! .

خرج الأستاذ بجلبابه الأبيض، والشال، والعمامة البيضاء، وكان وجهه مضيئًا، ومفرحًا، كعادته بإبتسامته المعهودة، يشع منها نور الوضؤ والصلاة. . فأقبل عليه الأخوان يحيونه، وركب البص مع الجميع، وقد رجع أحد الأخوان بعربتي إلى امدرمان. . أخذ الأستاذ مجلسه في أحد المقاعد الأمامية في البص، أنا على يمينه، وزوجته أمنا أمنة على يساره، وبالقرب منا عدد من الأخوات القياديات، وتحركت البصات والذكر عاليًا، وطابع الفرح ظاهرًا في أصوات الأخوان والأخوات. . مرت البصات بكل الطرق الرئيسية في الخرطوم دخلنا أمدرمان عن طريق كبري شمبات الذي يربط بين أمدرمان والخرطوم بحري، وصوت الذكر بأسم الله المفرد يدوي ويتردد صداه في أرجاء المدينة، وجدنا أعدادًا كبيرة من الأخوات والأخوان من غير المعتقلين، ينتظرون امام منزل الأستاذ، بعضهم من أنحاء العاصمة المختلفة، وبعضهم من الأقاليم. . وأقبل الجميع يتدافعون نحو الأستاذ، يحيونه، ويقبلون على بعضهم البعض، مهنئين بالخروج. . ولا يعلمون ما تخبيئه الأقدار. .

أخذ الأستاذ مجلسه، في الصيوان المعد للإستقبال مع الأخوان، وتقرر في نفس الوقت أن يعقد إجتماع كبير في المساء لتحديد صورة النشاط الجديد. . من الجانب الأخر كان رجال الأمن دائمًا يتابعون ويراقبون الحركة، بحضور الإجتماعات، وتسجيل وقائعها، وكنا نلاحظ ونعلم ذلك ولم يأبه الأستاذ بهم، كان دائمًا واضحًا ومحددًا، وكل عمله واضح للعيان وليس هناك عمل في الخفاء. . وعندما تصله أنباء متابعة رجال الأمن، كان دائمًا يقول: (ليس لدينا ما نخفيه). .

المؤامرة (الأيام الأخيرة 19 ديسمبر 1984ـ 18 يناير 1985):ـ

في يوم 19 ديسمبر 1984، بعد خروج الأستاذ محمود من الإعتقال، عقدت العديد من الجلسات، سُمعت فيها إنطباعات الأخوان المعتقلين، الذين خرجوا من السجون، وسمع شعور كل فرد من الأخوات والأخوان كان يريد أن يدلي برأيه، أبان فترة الإعتقال ومدى الفائدة التي جناها من الإختلاء بنفسه، وبعده عن الحياة العامة، وقد ختم الأستاذ إحدى تلك الجلسات بما معناه أننا قد خرجنا من السجن الأصغر إلى السجن الأكبر، وهو يعني الوضع العام الذي يعيشه الناس في السودان. . الناس خارج السجون يعانون من عنت الحياة ومن العقوبات التي فرضت عليهم. وفي نفس تلك الجلسات سُمعت إنطباعات الذين كانوا خارج السجون، من الأخوات والأخوان، فقد كانوا يشغلون جل وقتهم في متابعة أحوال المعتقلين، وتلبية طلباتهم، وقد كان الأستاذ يبدو راضيًا بما تم في المجتمع الجمهوري من عمل في تلك الفترة، ووجه الحديث للجمهوريين في تلك الأيام بقوله: (العناية الإلهية إختارتكم إختيار أولي، وكل الدلائل تشير إلى أنكم أنتم أصحاب هذا الأمر، فجودوا العمل، وجدو فيه، لأن الله ما مقيد، وتلى الآية: ﴿. . .وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾ (سورة محمد) فإني أرجو من الله لكم، البيدلو منكم يبدلو من داخلو، مايلفطوا ويجيء واحد غيره).

بعد خروج الأستاذ من السجن، لاحظت عدم إنشغاله الواضح بمظاهر الحياة اليومية، مثل التنبيه بالأخطاء، أو التحدث إلى الأخوان في سلوكهم، كما لم يكن يتحدث معي في الأمور التي تخص المنزل، كما عهدته، بل كان كثير التفكير، والجلوس في مصلاه وكأن إهتمامه قد ذهب بعيداً. .

في هذه الأيام كانت تدور بعض الأحاديث في غرفته، عن أخطاء نظام نميري وبطشه، وتعذيبه، للشعب، ففي ذات يوم من تلك الأيام، حين كان الأستاذ يجلس على مصلاه، قالت إحدى الأخوات أنه قد نقل عن نميري أنه قال: (لم يقابله سوداني ما خواف)، فرد عليها الأستاذ وهو ينهض من مصلاه ليجلس على سريره بقوله: (كذاب!).

كان في بعض الجلسات في منزل الأستاذ يدور الحديث كثيراً عن قرب نهاية نظام مايو، وفي واحدة منها قال الأستاذ (أن لنميري مهمة سوف لايذهب قبل أن ينجزها) وقد قالها قبل ذلك اليوم عندما كان يدور الحديث عن البديل لمايو، في ذلك الوقت، لم أكن أعرف تلك المهمة، لكن بعد تنفيذ الحكم عليه وزوال نظام نميري عرفت ماكان يعني.

أصيب الأستاذ بمرض السكر، أثناء فترة إعتقاله، بسبب التجويع الذي تعرض له لعدم تقديم الوجبات بإنتظام، ونقل إلى المستشفى العسكري وقد أخفي عنا الخبر وجاءت بعض الشائعات أنه كانت هنالك محاولة لتسميمه حتي يموت في المعتقل.. وعند خروجه من المعتقل ألمحت له بعزمي على تغيير طريقة الطعام في المنزل ليكون مناسبًا لمرض السكر فهو لايحب ان يكون له طعام خاص، فرد عليَّ قائلاً: (مين قال ليك أنك ح تغيريه ؟)، وقد فهمت في حينها أنه لن يسمح لي بتغيره، ولكن بعد تنفيذ الحكم، فهمت أنه كان يعني أني لن أجد متسعًا من الوقت لأغير طريقة الطعام..

صدور المنشور (هذا... أو الطوفان) :-

بعد إطلاق سراح الأستاذ من المعتقل عُقدت عدة إجتماعات وقد تقرر في أحد هذه الإجتماعات إصدار منشور في أعياد الميلاد يتحدث للناس عن الموقف السياسي الراهن ويُعلن المعارضة لقوانين سبتمبر، التي سميت بالقوانين الإسلامية، ويشرح المنشور المخاطر التى تهدد وحدة وإستقرار البلاد بسبب تلك القوانين وفعلا أعد لإجتماع في منزل الأخوان الجمهوريين المجاور لمنزل الأستاذ في الثورة، عين له عدد من القياديين من الأخوات والأخوان، لإعداد ذلك المنشور وفي طريقي للإجتماع دعاني الأستاذ وحدد لي النقاط الأساسية التي يجب أن يشتمل عليها ذلك المنشور كما قال يكون أسمه: (هذا. . . أو الطوفان)، (ويقرر أن قوانيين سبتمبر ليست قوانينًا إسلامية، وأنها شوهت الإسلام وهددت وحدة البلاد. وأن يطالب بإلغائها، وبالحل السلمي لمشكلة الجنوب) وبعد كتابة المسودة إطلع عليها الأستاذ، ووضع المنشور في صورته النهائية، وقد صدر المنشور في 25/ 12/ 1984، شاملاً لكل تلك النقاط. . تقرر في أحد الإجتماعات أيضًا أن تواصل الحركة نشاطها بحلقة ذكر كبيرة في المحطة الوسطى في الخرطوم، ثم تقام حركة ميدانية بمجموعات (أتيام) من المدربين والمتمرسين من الأخوات والأخوان على إدارة الحوار في الفكرة الجمهورية. . كان يراعي في تلك الأيام القوة الفكرية للأخوات، المشتركات في الحركة ويراجع معي الأتيام بعد أن أكونها، في نفس الوقت تقام في منزله جلسة للمرضى، وكبار السن الذين لايمكنهم المشاركة في الحركة الميدانية.

بعد خروج الأستاذ من السجن، أخذ يخرج معنا إلى حلقات الذكر في الخرطوم مرتديًا السروال الطويل، والقميص البلدي، والعمامة، والمركوب الأبيض، وهذا هو الزي القومي الأصيل، الذي يرتديه أهل السودان في الريف السوداني، ولايلبسه سكان المدن إلا نادرًا.. كان أحيانًا يقف في وسط الحلقة، وأحيانًا يلف حولها، وكان هذا المظهر يمثل معارضة صامتة للنظام، فمنذ سنوات لم يخرج الأستاذ للمنابر العامة، وإنما كان تلاميذه هم الذين يقومون بذلك العمل، وقد لفت خروجه إنتباه عامة المواطنين، وأصبح الناس في حيرة، فهذا حزب سياسي يخرج بقيادة زعيمه الذي أطلق سراحه حديثا، إلى الميادين العامة.. وقد بدأت الأخبار تنتشر في المدينة، بأن الأستاذ بعد أن خرج من السجن أصبح يخرج مع تلاميذه إلى العمل الميداني، وأخذ الناس يتدافعون لرؤيته، ويشيرون إليه بأصابعهم، ويطل البعض من نوافذ مكاتبهم فى منطقة المحطة الوسطى فى الخرطوم، وقد لاحظه أحد المارة وعلق قائلاً: (طلع ليهم بره عديل)، يعني للحكومة ولمعارضيه، وبدأ شعور عام بأن هناك شيئًا غريبًا سوف يحدث، والكل يذكر صلابة موقفه في معارضة الإستعمار، كما أنهم كانوا يتعجبون، كيف يتجرد للمعارضة وقد صمت جميع زعماء الأحزاب الذين أطلق سراحهم معه..

في أحد تلك الأيام وجدته يستعد للخروج معنا إلى حلقة الذكر في المحطة الوسطى في الخرطوم، فإستجديته ألا يخرج معنا، وأننا سنقوم بكل ما يريد فعله، فرد عليّ قائلا: (نعم يا بتول كنتم تخرجون لوحدكم وكنتم تؤدون كل العمل المطلوب، لكن هذه الأيام غير عادية، هذه أيام مواجهة، ولا يمكن أن أبقى أنا في المنزل، وأترككم تخرجون لوحدكم، يجب أن أكون معكم)... كان يسيطر على ذهني هاجس أنه سوف يقتل في الميدان، بواسطة أحد المتطرفين الدينيين، ولذلك

كنت دائمًا في حلقة الذكر أتبعه وأحيانًا أراقبه، ولا يهدأ خاطري حتى تنتهي حلقة الذكر، ونعود إلى المنزل. وأعتقد أن هذا الهاجس كان يراود الكثيرين.

1984/12/21 إعلان الأستاذ عن المؤامرة التي تحاك ضده:-

في عصر ذلك اليوم، كنا نقف في حلقة الذكر في الميدان، الذي يقع غرب منزله إتصل أحد الأخوان الجمهوريين من بريطانيا، يسأل الأستاذ عن موضوع إطلاق السراح، ويستفسر عن ماذا سيحدث بعد ذلك.. بعد إنتهاء المحادثة عاد الأستاذ وقال لنا: (هذا فلان) ذاكرًا أسمه(وقد رديت عليه بأنه نعم قد تم إطلاق سراحنًا ولكننا نظن أن إطلاق السراح قد تم بمؤامرة.. فهم يدبرون لنا أمرًا) إنتهى حديث الأستاذ.. فقد كان يعلم جيدًا أن سراحه قد أطلق ليعارض تلك القوانين، ثم يقدم لحكم جاهز ينتظره، ولكنه كان لا يبالي، وواصل عمله في المعارضة..

صدور المنشور هذا.. أو الطوفان:-

في هذا اليوم 25 ديسمبر 1984م خرج على الناس المنشور (هذا... او الطوفان).

اورده فيما يلى :-

(بسم الله الرحمن الرحيم

"هذا... أو الطوفان!!"

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ صدق الله العظيم . .

(سورة الأنفال) . .

غايتان شريفتان وقفنا، نحن الجمهوريين، حياتنا، حرصًا عليهما، وصونًا لهما، وهما الإسلام والسودان. . فقدمنا الإسلام في المستوى العلمي الذي يظفر بحل مشكلات الحياة المعاصرة، وسعينا لنرعى ماحفظ الله تعالى على هذا الشعب، من كرائم الأخلاق، وأصايل الطباع، ما يجعله وعاءً صالحًا، يحمل الإسلام إلى كافة البشرية المعاصرة، التي لا مفازة لها، ولاعزة، إلا في هذا الدين العظيم . .

وجاءت قوانين سبتمبر 1983 ، فشوهت الإسلام في نظر الأذكياء من شعبنا، وفي نظر العالم، وأساءت إلى سمعة البلاد. . فهذه القوانين مخالفة للشريعة، ومخالفة للدين، ومن ذلك أنها أباحت قطع يد السارق من المال العام، مع أنه، في الشريعة، يعزر ولايحد، لقيام شبهة مشاركته في هذا المال. . بل إن هذه القوانين الجائرة، أضافت إلى الحد عقوبة السجن، وعقوبة الغرامة، مما يخالف حكمة هذه الشريعة ونصوصها. . هذه القوانين قد أذلت هذا الشعب، وأهانته، فلم يجد على يديها سوى السيف، والسوط، وهو شعب حقيق بكل صور الإكرام، والإعزاز. . ثم إن تشاريع الحدود والقصاص، لاتقوم إلا على أرضية من التربية الفردية ومن العدالة الإجتماعية، وهي أرضية غير محققة اليوم . .

إن هذه القوانين، قد هددت وحدة البلاد، وقسمت هذا الشعب في الشمال والجنوب، وذلك بما أثارته من حساسية دينية، كانت من العوامل الأساسية التي أدت إلى تفاقم مشكلة الجنوب. . إن من خطل الرأي أن يزعم أحد أن المسيحي لا يضار بتطبيق الشريعة. . ذلك بأن المسلم في هذه الشريعة وصي على غير المسلم، بموجب آية السيف، وآية الجزية. . فحقوقهما غير متساوية. . أما المواطن، اليوم، فلا يكفي أن تكون له حرية العبادة وحدها، وإنما من حقه أن يتمتع بسائر حقوق المواطنة، وعلي قدم المساواة، مع كافة المواطنين الآخرين. . إن للمواطنين في الجنوب حقا في بلادهم لا تكفله لهم الشريعة، وإنما يكفله لهم الإسلام في مستوى أصول القرآن (السنة). . لذلك فنحن نطالب بما يلي :-

1) نطالب بإلغاء قوانين سبتمبر 1983، لتشويهها الإسلام، ولإذلالها الشعب، ولتهديدها الوحدة الوطنية.

2) نطالب بحقن الدماء في الجنوب، واللجؤ إلى الحل السياسي والسلمي، بدل الحل العسكري. ذلك واجب وطني يتوجب على السلطة، كما يتوجب على الجنوبيين من حاملي السلاح. . فلابد من الإعتراف الشجاع بأن للجنوب مشكلة، ثم لابد من السعي الجاد لحلها. .

3) نطالب بإتاحة كل فرص التوعية، والتربية، لهذا الشعب، حتى ينبعث فيه الإسلام في مستوى السنة(أصول القرآن)، فإن الوقت هو وقت السنة، لا الشريعة (فروع القرآن). . قال النبي الكريم، صلي الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا، كما بدأ، فطوبى للغرباء!! قالوا: من الغرباء يارسول الله؟؟ قال: الذين يحيون سنتي بعد إندثارها!!) بهذا المستوى من

البعث الإسلامي، تتحقق لهذا الشعب عزته، وكرامته، ثم أن في هذا البعث يكمن الحل الحضاري لمشكلة الجنوب، ولمشكلة الشمال، معًا... أما الهوس الديني، والتفكير الديني المتخلف، فهما لا يورثان هذا الشعب إلا الفتنة الدينية، والحرب الأهلية. . . هذه نصيحتنا خالصة، مبرأة، نسديها، في عيد الميلاد، وعيد الإستقلال، ونرجو أن يوطئ لها الله أكناف القبول، وأن يجنب البلاد الفتنة، ويحفظ إستقلالها ووحدتها وأمنها. .

وعلي الله قصد السبيل.

الأخوان الجمهوريون ـ أم درمان 25 ديسمير 1984م ـ 2 ربيع الثاني 1405م).

منذ يوم 25/ 12/ 1984 وحتى يناير 1985، إستمر الأخوان الجمهوريون في توزيع المنشور، وقد بدأت السلطات في إعتقال أعداد منهم. . في فترة إستمرار الإعتقالات هذه، كنت وبعض الأخوات نجلس مع الأستاذ في غرفته، فقالت إحداهن: (بعد هذا سيجئوا لإعتقال الأستاذ)، فتاضيقت من تلك العبارة كثيرًا، وكنت أجلس إلى جوار الأستاذ. فقلت لها: (أبدًا هم يعتقلون من يحملون المنشورات، وليس هناك سببٌ لإعتقال الأستاذ)، فإلتفت ناحيتى وقال لى: (غريبة يابتول تفهمي مثل هذا الفهم، لازم تعرفي أنهم قاصدين أبوكم وح يجوني). وقد أحزنني ذلك القول كثيرًا فقد كانت رؤيته واضحة وكان يدرك تمامًا حقيقة ما سيحدث. .

إجتماع مساء الجمعة 4/ 1/ 1985:ـ

في يوم الجمعة 4/ 1/ 1985 ، إنعقد إجتماع الجمعة المسائي المعهود(جلسة الجمعة)، وتحدث فيه الأستاذ حديثًا غريبًا عن الفداء، قال فيه أن الفداء معروف عند الدينيين، وغير معروف عند العلمانيين، وأنه من المعروف عند الصوفية، وهم أسلافنا، أنه كلما ألم بلاء، أو وباء، أو مرض خطير في البلد، لايرفع ذلك المرض إلا بوفاة أحد كبار العارفين من الرجال الصالحين، وقد حكى قصصًا من التراث، فال فيها أن بعض الأوبئة والأمراض الفتاكة، لم ترفع عن الناس إلا بعد أن ذهب أحد الصوفية الكبار، فداء لهم، وقال أنتم ستفدون الشعب السوداني وبعضكم يفدي بعض.

وفيما يلي إختصار لحديث الفداء الذي قاله الأستاذ في الجلسة المشهودة:ـ

(حديث الأستاذ في ختام المؤتمر الذي أقيم بمناسبة عيد الإستقلال، في يوم الجمعة الموافق 4/ 1/ 1985 . .

قال الأستاذ: الزمن إضطرنا لنوقف الحديث، ولكن كثير من الأخوات والأخوان عندهم إنطباعات ليقولوها، الحديث القيل، طيب جداً. . أفتكر مؤتمرنا لابد يؤرخ تحول عملي، في موقف الجمهوريين زي ماقلنا قبل كده. . الناس سمعوا مننا كتير. . الكلمة المقرؤة والمكتوبة. . نحن عشنا زمن طويل في مجالات عاطفية (الإنشاد، والقرأن، والألحان الطيبة). . جاء الوقت لتجسيد معارفنا، وأن نضع أنفسنا في المحك، ونسمو في مدارج العبودية سمو جديد. . الصوفية سلفنا ونحن خلفهم، وورثتهم كانو بيفدوا الناس، الوباء يقع يأخذ

الشيخ الكبير، الصوفي الكبير، وينتهي الوباء. . دي صورة غيركم مايعقلها كتير. . (الجدري في قرية التبيب تذكروه؟ كان في كرنتينه في القرية لا دخول ولا خروج. . الشيخ الرفيع ود الشيخ البشير أخو الشيخ السماني مات بالجدري في قرية التبيبب. . في شيخ مصطفي (هو صديقنا ويزورنا كتير. . قال حصلت وفية، ومشيت أعزي. . مر على الشيخ الرفيع قال ليهو بمشي معاك. . قال مشينا سواء، إيدو في إيدي، كان فيها سخانة شديدة، وصلنا محل الفاتحة، واحد قال ليهو(الشيخ، المرض دا ما كمل الناس، الشيخ الرفيع قال: المرض بنتهي، لكنو بشيل ليهو زولا طيب). قمنا من المجلس وصلناه البيت والسخانة كانت الجدري. . مات الشيخ الرفيع ووقف الجدري. . السيد الحسن مات بوباء وإنتهى الوباء. وفي سنة 15 الشيخ طه مات في رفاعة بالسحائي. . كان مستطير بصورة كبيرة، ماعنده علاج ومابنجى منو زول. . المابموت بتركه بعاهة، مات الشيخ طه، والمرض إنتهى. . الحكاية دي عند الصوفية مضطردة ومتواترة، العلمانيين تصعب عليهم. . إنتوا هسع لابد تفدوا الشعب السوداني، والذل والمهانة الواقعة عليهم والجلد. . واحد من الأخوان لاحظ قال، القيمة من المسيرة أن تشاهدوا الجلد الوقع، واحدة من الأخوات قالت، العسكري شاب والمجلود شيخ كبير والقاضي واقف يستمتع. هي مسألة أضغان وضغائن، ونفوس ملتوية، تتولي أمور الناس. .

قد تجلدوا، ما تنتظروا تسيروا في المسيرة تحصل معجزه تنجيكم. . وهي بتحصل لكن ما تنتظروها. . خلوا الله يجربكم ما تجربوه. . تعملوا الواجب العليكم. . تنجلدوا. . ترضوا بالمهانة. . من هنا المحك البيهو بتكونو قادة

للشعب العملاق . . يكون في ذهنكم قول الله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (سورة آل عمران)، وآية ثانية : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (سورة البقرة) . . ما أحب أن تصابوا بخيبة أمل من العقبات البتلاقيكم في الطريق . . يكون مؤكد الأمر النحن بنواجهو، بنحتاج ليهو في الداخل . . كل أذى يساق ليكم يقويكم، هو عناية من الله بيكم وملطف . . لكن الناس يسوقوا أمرهم بالجد، وكل واحد يدخل في مصالحة ورضا بالله . . تواجهوا أمركم دا لتفدوا شعبكم وبعضكم يفدي بعض، لترتقوا درجات في واجبكم وعبادتكم . . أمركم قريب ومعنى بيه، أنتم محفوظون . . لكن ما تفتكروا الطريق أمامكم مفروش بالورد . .

إستعدوا في قيامكم، والواجب المباشر تكونوا دايمين النعمة، وموضع نظر الله وعنايتو . . أقبلوا عنايته . . ثقوا بيه . . وأرضوا بيه . . إن شاء الله أمركم قريب والله إدخركم للأمر دا . . وأنتم اليوم الغرباء بصورة كبيرة . . كل المجتمع السوداني في كفه والجمهوريين في كفه . . والجمهوريين مطلوبين . . الناس الطالبنكم فداية ليكم . . ظلماتكم نور . . أنتم موضع عنايته . . تقبلوا العنايه . . سيروا راضين بالله . . بالصورة دي يكون ختام مؤتمرنا . .) إنتهى حديث الآستاذ .

منذ تلك اللحظة شعر البعض أن الأستاذ سيقدم نفسه فداء للشعب، ليرفع عنه قوانيين سبتمبر ولكنهم لم يعلنوا ذاك الخاطر، كما ظن البعض أن الأخوان سيتعرضون للجلد، منذ ذلك اليوم بدأ الأسى، والجو المليء بالحزن، وعدم وضوح الرؤيا يخيم على الأخوات والأخوان . .

قبل يوم 5/ 1/ 1985 اعلن عن محاكمة بعض الأخوان الذين إعتقلوا وهم يوزعون المنشور، وقد تقرر أن تكون المحكمة داخل مبنى بالقرب من دار الإذاعة، في حي الملازمين بأمدرمان، وقد تقرر أن نذهب إلى مقر المحكمة في مسيرة راجلة، نردد أسم الله المفرد، وذهب معنا الأستاذ، قد كان موكبًا مهيبًا. . سار خلف المسيرة موكب من العربات، كان يحمل المرضى وكبار السن. . في لحظة إقترحت على الأستاذ، أن يستغل إحدى تلك العربات، فقد كنت قلقة عليه، فقال وهو ينحنى ناحيتي(لاتكوني مثل الأم الأثينية، كوني مثل الأم الإسبارطية ترسل ولدها لميدان الحرب. .)، ثم صمت. . إجتمعنا في ميدان المحكمة، كنت أتابعه في كل تحركاته. . أقدم عليه أحد كبار السن من المارة، وأخذ ينادي بأسم الأستاذ من على بعد، وكان يهلل فرحًا بالموكب ويقول: (يا محمود نصرت الإسلام، نصرك الله)، وتقدم الأستاذ نحوه، ولحقت به فقال لى: (إنتي ما دايرة تنفطمى لسه ؟)، يعنى بفطامي أن لا أتبعه. . !

بعد لحظات جلس على الأرض، وجلسنا حوله على النجيلة ومعنا عدد من الأخوات وكانت إحداهن تتحدث إليه وهي تقطع النجيلة بيدها فقال لها: (لاتقطعيها فإنها تتألم حين قطعها!).

في أثناء مجلسنا في فناء المحكمة، تم الحكم بالجلد على أحد الرجال المتقدمين في السن، تم جلده على مسطبة مجاورة لنا، وأمام مكتب القاضي، والقاضي واقف يشاهد ذلك الجلد، وكنا نتابع ذلك المنظر المحزن، وقد علقت إحدى الأخوات، بأن المحكوم عليه رجل كبير، وأن العسكري الذي قام بجلده شاب صغير، كما أن القاضي أيضًا شاب صغير، ظل الأستاذ ينظر إلى ذلك الحدث من

مكان مجلسه، في إمتعاض شديد، ثم علق قائلاً: (هذا العمل لن يستمر)، وكان يبدو على محياه الحزن والإستياء.. لم تتم المحاكمة في ذلك اليوم وأجلت الجلسة إلى أجل غير مسمى، ورجعنا إلى منزل الأستاذ في مدينة الثورة بأمدرمان، ولم تعاد المحكمة إلا في يوم 7/ 1/ 1985 . ونحن في فناء محكمة العدالة الناجزة رقم (4) في إنتظار جلسة محاكمة الأخوان الأربعة، علمنا من قاعة المحكمة بأن الجلسة قد أوجلت إلى آجل غير مسمى.. تحركنا مع الأستاذ إلى منزله بمدينة الثورة في امدرمان ولم تعاد تلك المحكمة إلا في يوم 7/ 1/ 1985م بعد أن أُضيف الأستاذ إلى البلاغ.

تدرجت الحكومة في الوصول إلى الأستاذ، فقد بدأت الصحف الحكومية تنشر أسماء الأخوان الأربعة الذين سوف يقدمون إلى المحاكمة، وبعد ايام تمت إضافة أسم الأستاذ ليكون الخامس ثم وصلت إلى هدفها أخيراً، بأن وضع الأستاذ أول المتهمين وأخذت الصحف تنشر (محمود محمد طه وآخرون)، وكان واضحًا كما قال الأستاذ من قبل (أنهم يقصدونه).

السبت 1/5 /1985 الإعتقال الثاني بعد إطلاق سراحه في 19 ديسمبر 1984:-

بعد جلسة الجمعة التي ألقى فيها الأستاذ حديث الفداء، طلب من الأخوان الذين أطلق سراحهم أن يذهبوا لزيارة أسرهم، لتقضية بعض الوقت بعد غيابهم لفترة في المعتقلات.

في يوم السبت 5/ 1/ 1985 وقبل عودتي من الجامعة، تم إعتقال الأستاذ الثاني. قالت لي إحدى الأخوات أنهن كن معه في الصالون، سألهم عن

الساعة، عرف أنها الثانية عشر ظهراً وكأنه كان ينتظر أمراً، في تلك اللحظة سمع طرق على الباب الخارجي. . دخل بعض رجال الأمن ومعهم ضابط قال لمن قابله امام الباب: (أنا الرائد سيف أُمرت بإعتقال الأستاذ، وجئنا لتنفيذ الأمر. .) وقابل الأستاذ وقال له نفس الكلام رد عليه الأستاذ بقوله: (طيب) ودخل إلى غرفته، وإرتدى زيه القومي، حاول هذا الضابط الدخول لقسم الأسرة في المنزل فقال له الاستاذ: (انت جئت لإعتقالي وأنا ذاهب معك ولاداعي أن تدخل إلى مكان الأسر)، فعدل الضابط عن الدخول وخرج الأستاذ معهم، وهمَّ أحد الأخوان بإحضار فرشة ليأخذها معه فقال له الآستاذ لا أحتاج لها فأنا مرتاد سجون، يعني الإعتقالات السياسية الكثيرة، وعندما رأي الحزن باديًا على وجوههم أمرهم بالصبر بحزم، وطلب من الأخوات ألا يخبروا عمتى كلتوم، إلا بعد ذهابه وكلتوم هى شقيقته الكبرى، التي كانت تسكن معنا في أمدرمان، منذ وفاة زوجها في الستينيات، وكانت تحبه حبًا كثيرًا. .

ودعته الأخوات بالذكر، من أمام المنزل وإنصرفت العربة، والحزن، والصمت خيما على المنزل. . أحست شقيقته كلثوم بالحركة غير العادية فى المنزل، ثم سألت، عما يجري وأخبروها بإعتفاله، فأخذت تبكي بكاءً مرًا، وتجزم بأنها سوف لاتجد فرصة لرؤيته بعد ذلك اليوم، وأنهم أخذوه ليقتلوه، وكانت تأكد وهي تبكي، أنهم لن يتركوه ليعود إلى منزله بعد اليوم، الكل كان حزينًا، وخاصة أفراد الأسرة، ولكن روح النضال والصبر، اللذان أُنشأ عليهما الجميع، عصمتهم من إبداء أي ضعف. .

بعد عودتي من الجامعة كما قلت صدمت بالجو الغريب المخيم على المنزل وأخبروني قبل دخولي بأن الأستاذ قد أعتقل، وفي نفس اللحظة ذهبت، وعدد

من الأخوان والأخوات، إلى القسم الأوسط بأمدرمان، ووجدنا الأستاذ، قد وضع بإحدى الحراسات المزدحمة بالمتهمين، من مرتكبي الجرايم الجنائية . . سعي بعض الجمهوريون بواسطة بعض الضباط، لإيجاد ركن مناسب له، كما تم إحضار بعض الأشياء الضرورية العاجلة له، من منازل الجمهوريين المجاورة للقسم، ثم رجعت إلى المنزل وأحضرت له بعض الأشياء التى تجعل المكان مناسبًا، مثل مرتبة، ومخدة، وفردة الدمور التي إعتاد على إستعمالها إلخ . . . .

بعد لحظات من دخوله الحراسة. أسرع نحوه العديدون من التجار من أعمار مختلفة، والذين أعتقلوا بسبب القوانين الجائرة، وتعسف الإجراءات، وظلم المحاكم. . إستقبله هؤلاء إستقبالا حارًا، فرحوا بوجوده بينهم، وقد قابلوا دوره بإحترام كبير، كانوا يحسون بأنه نصيرهم الوحيد، تجاه القوانيين الظالمة التي سميت جوراً وبهتانًا بالإسلامية، وألقت بهم في قاع السجون، حيث يسامون مر العذاب، إلتف حوله هؤلاء، وكانوا يتدافعون لخدمته، طيلة أيام وجوده بينهم، كانوا يطمئنوننا عليه ويقولون لنا: (نحن أبنائه مثلكم وسوف نقوم بخدمته وبرعايته ولاتكثروا الحضور إلى هنا). .

كنت وعدد من الأخوات والأخوان قد تمكنا من زيارته عدة مرات. . مثلاً كنت أزوره كل يوم في الصباح الباكر، ترافقني في هذه الزيارات، أمنا أمنة، نحضر له الشاي ونطمئن على صحته، ثم بعدها نحمل له وجبة الإفطار، وكذلك وجبة الغداء ونزوره في المساء. ولم تتيسر هذه المقابلات التي كانت تتم فقط بخروجه لنا من خلف أسوار الحراسة، إلا بعد أن تمكنت بواسطة أحد زملائي، وبواسطة أحد أصدقائه من رجال البوليس، من إستخراج إذن بالمقابلة لتوصيل

الوجبات . . كان معظم رجال البوليس متعـاطفين معـه ، مـنهم مـن يبـدي هـذا العطف ، ومنهم من يخفيه خوفًا على وظيفته . كان الجميع في حالة ذهول وحيرة ، لما قد يحدث بأسم الدين والقانون في تلك الأيام الحالكة السواد ، في تـاريخ الأمـة السودانية . .

الأوضاع داخل الحراسة:ـ

الحراسة التي وضع فيها الأسـتاذ ، كانـت تعـج بـالمتهمين بالقتـل العمـد ، والسرقة ، والكسر ، والإحتيال ، وكان الإزعـاج فيهـا لـيلاً ، أكثـر مـن سـاعات النهار ، حيث يعلو الصراخ والهياج ، فقد كان هؤلاء يلاقون أقـسى المعاملـه مـن رجال البوليس ، مثل الضرب ، والركل ، والتوبيخ ، وكان الأستاذ في وسط هذا الضوضاء ، يتألم لحالهم ويتأذى من تعذيبهم . وعندما يزوره المحامون من وقـت لأخر ، كان يقول لهم : (أتركوني أنا ، وأنظروا في أمر هؤلاء ، الـذين يعـذبون في الحراسات . من غير محاكمة ، ومن غير ذنب إرتكبوه) . .

بقى الأستاذ في هذه الحراسة يومي 5ـ 6/ 1/ 1985 وفي يوم 7/ 1/ 1985 بدأت المحاكمة . . تحرك الأخوان والأخوات ، من أمام منـزل الأسـتاذ ، إلى مقـر المحكمة ، في مسيرة راجلة رافعة الذكر بأسم الله المفرد . كان من المفترض أن تقام المحاكمة في محكمة العدالة الناجزة بالقرب من الإذاعـة ثـم تم تحويلـها إلى القـسم الأوسط بأمدرمان ، وأُخذ في عربة بوليس النحدة وتبعناه بالذكر وقبل تحرك العربة وقفنا نشهد سيرها ، كان ينظر إلينا مبتسمًا ثم لحقنا به في مكان المحكمـة الجديـدة دخل عدد كبير من الأخوان والأخوات ، إلى قاعة المحكمة ، وأخذوا أماكنهم ، لم يكن من الممكن دخول كل الجمهوريين ، فقاعة المحكمة متوسـطة الحجـم ، كمـا

كان هناك سباق وإزدحام على الدخول من الأخوان المسلمين، يظهر فيه الغرض، وعدم الوقار . . بقى عدد كبير من الأخوان والأخوات في فناء المحكمة يجلسون على ميدان نجيلة، في نظام وهدو تام . .

حضر الأستاذ إلى قاعة المحكمة ومعه أربعة من الأخوان . .

كان شكل المحكمة غريبًا للغاية، فقد حشد لها الأخوان المسلمون، والمتطرفون الدينيون، حشوداً كبيرة، ممن هم على شاكلتهم، ولذلك فقد عانينا عناء كبيرًا في الدخول لقاعة المحكمة، ومع ذلك فقد تمكنا وعدد من أصدقاء الجمهوريين من الدخول . .

كان قاضي المحكمة شابًا في الثامنة والعشرين من العمر، يدعي حسن إبراهيم المهلاوي، حديث التخرج من جامعة أمدرمان الإسلامية (معهد أمدرمان العلمي سابقًا) . . والأستاذ محمود، شيخ، في السادسة والسبعين من عمره!! . كان الأستاذ ومن معه يرتدون الزي القومي السوداني أبيض اللون (الجلباب والعمة) يبدو عليهم الثبات وخاصة الأستاذ .

يرتدي القاضي بدله(أفرنجية)!*[2]، له لحيه طويلة، وعينان خائفتان، في ملامح وجهه كان مضطربًا لدرجة الفزع، ويخطئ كثيرًا، في القرآءة وفي تلاوة الآيات القرأنية . . بدأ القاضي في إجراءات المحكمة التي كانت غريبة أيضًا . . تلى على الحضور موضوع البلاغ، والمادة التي إتهم الأستاذ تحتها، ومن معه وقد

(2) في جلسة الاستتابة التي اقامها المهلاوي للأربعة الذين قدموا للمحاكمة مع الأستاذ كان يرتدي قبعة مثل الكاوبويات .

سألهم جميعًا من أسمائهم، أعمارهم ووظائفهم، وكان حقده الشديد على الأستاذ الممزوج بالخوف، واضحًا في مجرد الأسئلة. . ثم أعطى الفرصة للمتحري، الذي تحدث عن المنشور(هذا. . . أو الطوفان!!)، وتلاه على المحكمة، لم يكن هناك شاكي في البلاغ !؟ سرد المتحري التهمة ومعروضات المحكمة، التي لم تكن سوى ذلك المنشور المذكور أعلاه! . المنشور الذي هو عمل سياسي، وضع تحت الماده ك ط 97 والماده 105 كراهية الدولة، والمادة 127 إزعاج السلام العام، كما إعتبر المنشور خروج عن الإسلام أيضًا!!، يلاحظ أن المادة 105، قد حوكم بها الأستاذ إبان فترة حكم الإنجليز، حين كان يقاوم الإستعمار!!

كان الكيد السياسي، والغدر المبيت، قد أُلبسا ثوب هذه المحكمة، لتتم التصفية الجسدية للأستاذ. لم تكن السلطة ولا الأخوان المسلمون في حاجة إلى محكمة، ليصلوا إلى غرضهم هذا، وإنما فقط لإلباس الباطل ثوب الحق، ولتضليل الشعب الذي يجهل سواده الأعظم، القانون وتفاصيل الشرع. .

كان القاضي خصمًا بينًا للأستاذ محمود في المحكمة، وقد كان يوجه إليه نظرات حانقة من حين لأخر، حتى عندما كان يتحدث إلى المتحري وباقي الأخوان. .

طلب أحد المحامين من القاضى، وكان من الحضور فى جلسة المحكمة، إذا كان من الممكن أن يجلس الأستاذ (لأنه رجل كبير فى السن)، إلتفت القاضي إلى الأستاذ منتهراً بحده (أقعد، عايز تقعد؟)، رفض الأستاذ في تلك الجلسة مبدأ

الجلوس وظل واقفًا. بعد أن إنتهى المتحري والقاضي من الإتهام، وجه القاضي الحديث للأستاذ للدفاع عن نفسه، أعلن الأستاذ رفضه التعامل مع تلك المحكمة، بكلمات خالدات جاءت كما يلي :ـ

(أنا أعلنت رأي مرارًا، في قوانين سبتمبر1983م، من أنها مخالفة للشريعة، وللإسلام. . أكثر من ذلك، فإنها شوهت الشريعة، وشوهت الإسلام، ونفرت عنه. . يضاف إلى ذلك أنها وضعت، وأستغلت، لإرهاب الشعب، وسوقه إلى الإستكانة، عن طريق إذلاله. . ثم إنها هددت وحدة البلاد. هذا من حيث التنظير. .

و أما من حيث التطبيق، فإن القضاة الذين يتولون المحاكمة تحتها، غير مؤهلين فنيًا، وضعفوا أخلاقيًا، عن أن يمتنعوا، عن أن يضعوا أنفسهم، تحت سيطرة السلطة التنفيذية، تستغلهم لإضاعة الحقوق وإذلال الشعب، وتشويه الإسلام، وإهانة الفكر والمفكرين، وإذلال المعارضين السياسيين. . ومن أجل ذلك، فإني غير مستعد للتعاون، مع أي محكمة تنكرت لحرمة القضاء المستقل، ورضيت ان تكون أداة، من ادوات إذلال الشعب وإهانة الفكر الحر، والتنكيل بالمعارضين السياسيين. .). في أثناء هذا الحديث كان القاضي منزعجًا وعندما قال الأستاذ: (فإن القضاة الذين يتولون المحاكمة تحتها. .)، قبل أن يكمل الأستاذ الجملة قاطعه القاضي بقوله: (أها مالن؟) فواصل الأستاذ: (غير مؤهلين فنيًا وضعفوا أخلاقيًا. . . إلخ).

في نهاية الجلسة طلب أحد المحامين أن يتولى الدفاع عن الأستاذ، فرفض الأستاذ مبدأ الدفاع عنه، وشكره قائلاً بأنه سيتولى القضية بنفسه، ولا يحتاج إلى

محامين. . وقد كان هذا ديدنه منذ عام 1946، حين قدمته حكومة المستعمر إلى المحاكمه وقدم وفد من المحامين وقتها إلى مدينة مدني للدفاع عنه فشكرهم، وقال لهم: (إن القضية سياسية، وسيتولاها بنفسه، ولا يحتاج إلى محامين. .). وفي هذه المرة 1985 فالقضية فكرية تخص إجتهاده الديني، وفكره السياسي الخاص، فهي قضية رأي وخلاف فكري، والخلاف الفكري ليس مكانه المحاكم، وإنما الحوار والمنابر الحرة، فالنية من هذه المحكمة إذًا هي تصفيتة الجسدية.

بعد أن رفض الأستاذ فكرة المحامين، ختم القاضي المهلاوي الجلسة بقوله: (بعد الإستماع إلى الإتهام والدفاع، ترفع الجلسة لسماع الحكم غدًا)!! وهذا ليس صحيح فلم يكن هناك دفاع فقد قاطع الأستاذ المحكمة ولم يتعاون معها.

في صباح اليوم التالي 8/ 1/ 1985، موعد الجلسة، تحركنا إلى المحكمة من أمام منزل الأستاذ، في موكب كبير أيضًا يردد إسم الله المفرد، مثل ماكان في موكب الأمس، وقد أوصى الأستاذ أن يتوجه الموكب إلى المحكمة، وإذا إعترضه البوليس، يجلس الجميع على الأرض، وفعلاً بعد أن قطع الموكب أكثر من نصف الطريق إلى المحكمة، وفي منطقه في أمدرمان تسمي(الشهداء)، إعترض البوليس الموكب برئاسة قاضي من الأخوان المسلمين، من خريجي جامعة أمدرمان الإسلامية (معهد امدرمان العلمي سابقًا)، ووفقًا لتوصية الأستاذ، جلس الأخوات والأخوان على الأرض، أخذ القاضي يصيح بمكبر الصوت يأمر الموكب بالتفرق، ويبدو أنه كانت هناك نية للعنف بالجمهوريين، ولكن حدث تغيير مفاجيء إذ بعد دقائق من تكرار ذلك النداء إنسحب القاضي، وبقى البوليس

يحمل السلاح والعصى الكبيرة، في مواجهة الجمهوريين العزل. . بعدها وصلتنا رسالة من الأستاذ، أن نحضر إلى المحكمة بالعربات (لا أدري كيف وصلت تلك الرسالة). . بدأنا التحرك مسريعين بالعربات، حتى لاتفوتنا الجلسة. كانت هناك سحابة من الحزن والحيرة، تخيم على الجميع. .

أسرعت ومعي أحد الأخوان الجمهوريين المحامين، إلى مكتب الإستقبال في القسم الأوسط، وطلبنا مقابلة الأستاذ قبل الدخول للمحكمة، وقد كان يستعد للخروج إلى القاعة، عندما وقفنا أمام رجل البوليس، والذي كان يعرفني لكثرة ترددي لزيارة الأستاذ، أسرع بالسماح للأستاذ لمقابلتنا، وطلب مني أن ننتظر في أحد زوايا الإستقبال. . أقبل نحونا الأستاذ في نشاط وحيوية. . أخبرته كيف أننا تحركنا في موكب صامت من أمام المنزل، ونقلت له كل الذي حدث، حتى وصولنا إلى قاعة المحكمة قال لي: (عملتوا طيب) ثم مال ناحيتي وهو يضع يديه في جيوب جلبابه: (لاتخافوا)، رديت عليه بسرعه لسنا خائفين، فهمت (لاتخافوا) فهمًا مختلفًا، كنت أعتقد أن لانخاف من مواجهة البوليس، في تلك اللحظة، وقد كان يقصد أن لانخاف من نوع الحكم الذي سيصدر، وقد فهت ذلك مؤخراً. .
أوصاني قبل دخوله المحكمة أن أبلغ أحد القياديين الكبار، أن يرجع الجمهوريين من المحكمة إلى منزل الأستاذ بمدينة الثورة في مسيرة راجلة، تردد إسم الله المفرد، وقد بلغت الوصية، التي كان الأستاذ يريد بها، أن تكون المقاومة في مستوى وقفته. .

قبل بداية الجلسة، كان هناك إزدحام شديد، من قبل المتشددين الدينيين والأخوان المسلمين، وبصعوبة في هذه الجلسة، تمكن عدد من الجمهوريين،

وأصدقاء الفكر الجمهوري من الدخول للمحكمة . بدأت الجلسة الثانية في يوم 8/ 1/ 1985 ، في الموعد المحدد، بدأ القاضي الجلسة بعد أن علا صوته بكلمة (محكمة)، لم يقف الأستاذ والذين معه ، ، كما لم يقف الجمهوريون الموجودون في القاعة، لكن وقف الحضور من غير الجمهورين ، وأخذ القاضي ينادي بأسم الأستاذ ومن معه من الأخوان واحدًا تلو الآخر ولم يقف أحد . إنزعج بوليس المحكمة لموقفهم هذا وطالبهم بالوقوف ولم يستجب أحد ، ثم حاول أن ينهض أحدهم بالعنف (كما يظهر في شريط التوثيق بالفيديو الخاص بالمحكمة)، وقد منعه القاضي ولسان حاله يقول : (دعهم سنقتلهم)، ثم بدأ الجلسة بتلاوة بعض ما ورد بالأمس، في هذه اللحظة سقطت صفيحة حديد كانت في أخر القاعة وقد أحدثت ضجيجًا قويًا إنزعج له القاضي ، إتسعت عيناه ، وخطف أوراقه ، وكان يستعد للجري إلى خارج المحكمة ، ولكنه تدارك موقفه سريعًا ، حين ظهر له أنه المنزعج الوحيد ، وليس هناك خطر عليه ، ولعله كان يتوقع أنه سوف يقتل في القاعة ، وفي مجمل الأمر فإن (محكمة نميري ـ المهلاوي) الأخيرة ، هي كيد كسابقتها محكمة الردة 1968 .

ومنذ أن نهض الأستاذ لمعارضة قوانيين سبتمبر عام 1983 ، التي شوهت الشريعة ونفرت عن الإسلام كان يعلم إن هنالك مؤامرة تدبر له من قبل حكومة نميري ، التي يدعمها المهوسون الدينيون وأعداء الفكر ، ومنذ أن أطلق سراحه في يوم 19/ 12/ 1983 قال لنا : (أن هنالك مؤامرة تدبر لنا) ، وكانت المحكمة في 7/ 1/ 1985 ، هي تنفيذ لتلك المؤامرة فلم يستغرق الإعتقال والمحاكمة والنطق بالحكم سوى 72 ساعة ، فقد كان كل شئ معدًا وجاهزًا . في تلك الجلسة كان

القاضي يقفز قفزًا ليصل إلى النتيجة المعدة، فلم يستعرض في حيثياته عناصر الجريمة، ليدلل على إنطباقها مع الوقائع الثابتة أمام المحكمة، وإنما قفز إلى الإدانة من غير تسبيب قانوني، وقد علق الدكتور منصور خالد على تلك المحاكم، بأنها (كالكنقارو) تقفز قفزًا للنتائج المذهلة، فقد جاء في حيثيات القاضي قوله: (المتهمون جميعًا يعترفون إعترافًا واضحًا بمسئوليتهم عن المنشور الصادر، وتوزيعه، وهم بذلك يخالفون المادة 69 (ط) من قانون العقوبات لسنة 1983، ومضى يقول: كذلك أنهم يخالفون المادة 96 (ك) وتلى تفاصيل تلك المواد، ثم في إضطراب نطق بالحكم فقال: لكل ذلك تقرر المحكمة إدانة جميع المتهمين تحت المادة 96 عقوبات، بفقرتيها المتقدمتين، وإدانتهم أيضًا تحت المواد 105 عقوبات 20(أ) من قانون أمن الدولة، وبناء على المستند المقدم أمام المحكمة، وبناء على إعتراف المتهمين، وحتى يتعظ غيرهم من أصحاب الدعاوي الهدامة، فإن المحكمة تحكم عليهم جميعًا بالإعدام شنقًا حتى الموت وأن يكون لهم الحق في التوبة والرجوع عن دعوتهم إلى ماقبل تنفيذ الحكم. . .) إنتهى. نقف عند هذا الحد ونترك فرصة التعليق، والتقييم، لرجل الشارع العادي والمثقفين ورجال القانون.

منذ بداية الجلسة كانت هناك أعداد من الأخوان المسلمين، يعتلون المنصة ويقفون إلى جوار القاضي، وبعد إعلان الحكم أخذوا يصيحون(يحيا العدل)، وملأوا القاعة صخبًا وضجيجًا وهم فرحون. .!! من بين هؤلاء صحفيون ورؤساء تحرير صحف. كان بعض الجمهوريين يحاولون الذكر بأسم الله المفرد وفعلاً بدأوا، لكن هرج الأخوان المسلمين كان قويًا. . في هذه اللحظات كان

الأستاذ يقف مبتسمًا داخل قفص الإتهام، ويتفحص بنظراته وجوه الأخوان والأخوات الجمهوريين فردًا فردا، وتدافعت عليه الأخوات وهو داخل القفص، لمصافحته، وكان يقول لأمنا آمنة (أبشري بالخير). . خرج الجميع من المحكمة، وفي نفس الوقت خرج العدد الكبير والحشود من الأخوان المسلمين، يهللون ويصيحون في الطرقات بصورة مخزية. . جموع غفيرة من عامة الشعب، كانوا مذوهلين يتساءلون: (الإعدام لأربعة إشخاص بسبب منشور؟؟!!).

أُخذ الأستاذ إلى أحد مكاتب الضباط، في إنتظار العربة الحكومية التي سوف تقله إلى سجن كوبر بالخرطوم بحري. . كانت جموع الأخوات والأخوان خارج المحكمة يستعدون للعودة إلى مدينة الثورة. بدأ شكل النظام يضطرب من الصورة التي جئنا بها. . بعض قريبات الأسرة من غير الجمهوريات أخذن يجهشن بالبكاء، والبعض يطلب منهن الصبر، وإلتزام الهدوء الجمهوري. . لاحظت أن البصات قد بدأت تستعد لنقل الأخوات والأخوان إلى مدينة الثورة، ذهبت إلى الأخ القيادي في الحركة وذكرته أن الأستاذ أوصى أن يرجع الأخوات والأخوان في مسيرة راجلة ترفع الذكر. . قال لي أن (الظرف لا يسمح)!! فقد كان له رأي أخر. وطلب منهم الركوب داخل البصات، وكانوا صامتين من غير ذكر، فطلبت من الأخوات أن يرفعوا الذكر ففعلوا، وقد ظللت ومعي بعض الجمهوريين في فناء المحكمة نتابع ما سيحدث ونتوقع مقابلة الأستاذ، وفعلاً أخرجوه في إحدى عربات البوليس (نجدة) التي أقلته إلى سجن كوبر، كان يلوح بيده يودعنا بإبتسامة عريضة، وقد رددنا عليه بنفس طريقته وبالذكر ورفع الأيدي. . الكل في حالة حزن ووجوم شديد. . ركبنا أنا وأمي آمنة عربة أحد

الأخوان الجمهوريين، ولحقنا به في سجن كوبر، وعند وصولنا تمكنا من الدخول إلى مكتب الضباط، وطلبنا مقابلته، قالوا لنا أنه دخل قبل دقائق، ومقابلته غير ممكنه الأن، وعدونا أن نحضر في صبيحة الغد. . كانت الدهشة هناك، أيضًا، واضحة على الوجوه. .

عدنا جميعًا إلى أمدرمان، كان الحزن دفينًا، وروح الثبات أعلى، وهو بعض مما تعلمناه منه. . في صبيحة اليوم التالي 9/ 1/ 1985، تمكنت من زيارته في كوبر، ومعي أثنين من الأخوان. . كان صباحًا حزينًا فقد أقبل نحونا من داخل السجن وهو يرتدي قميصًا، وسروالاً، من قماش (الدمورية) وهي مادة خشنة، بنية اللون، مصنوعة محليًا، وهو الزي الذي يرتديه المساجين، كما علمنا أنه قد وضع في زنازين منتظري الإعدام كان مظهره عادي كما هو، هدؤ وترحاب بالزوار كأنه في منزله، لكن كان ذلك منظرًا مثيرًا للحزن ومجسدًا للظلم. . جلست بينه وبين أحد الأخوان وفي أثناء الحديث إلتفت نحوي وقال لي: (أنت متماسكة ولكن كئيبة) قلت له إني لم أستطع الإحتمال (ألمني كثيرًا الزي الذي ألبسوه أياه)، وإنفجرت باكية، تركني وتحول بالحديث إلى الأخوين في مواضيع أخرى، بعد دقائق إلتفت ناحيتي مرة أخرى قائلاً: (كيف حال عمتك ؟) قلت: (كويسة) ثم أضاف (أنت في العقاب رسي أهلك)، شعرت من هذه العبارات أنه لن يعود إلينا مرة أخرى، وقد كنت أمامه أغالب الدمع. . طلب مني إحضار سراويل طويلة له وللأخوان، (لأن سراويل السجن قصيرة لاتغطي الركبة، ولا تصلح للصلاة). أعددنا السراويل وأدخلت لهم، إعترضت سلطات السجن علي أربطة السراويل (التكة)، وعلى أدوات الحلاقة بحجة أنهم محكوم

عليهم بالإعدام، (وقد يقتلوا أنفسهم بها !) عجبت لهذا المنطق فإذا كان القتل هو المؤامرة النى تنتظرهم، فلماذا ترفض هذه السلطات أن يقتلوا أنفسهم، إذا إفترضنا أن مثلهم يمكن أن يقتلوا أنفسهم، أتريد أن تستمتع هي بقتلهم ؟؟، ورجل كالأستاذ محمود، قاوم الإستعمار، ولم يوقع حتى على التعهد بوقف المقاومة، ورفض التوبة، والتنازل عن أفكاره، لقضاة نميري، هل يمكن أن يُظن في رجل مثل هذا أن ينتحر خوف تنفيذ الحكم عليه؟، إن نميري وأعوانه، لم يعرفوا الرجال قبل الأستاذ. . وهنا مثل من عدم الإحترام والمعاملة السيئة التي لقيها الأستاذ محمود في المعتقل ضمنتها في مقال(السجون وسجناء الضمير!) الذي تم نشر أجزاء منه في(سودانبز أون لاين)، (أنظر المقال في أخر الكتاب).

كما ذكرت آنفا لم يكن للمحكمة أي علاقة بالعمل القانوي وإنما هي جريمة تنفذ بخطوات مجهزة ومرسومة سلفًا وهذا تؤكده واقعة حدثت في يوم 9/ 1/ 1985 اليوم تلى صدور الحكم تقدم أحد المحامين الجمهوريين الأستاذ طه أسماعيل أبو قرجة بطلب مكتوب للقاضي حسن أبراهيم المهلاوي للإطلاع على محضر القضية، رفض القاضي الطلب وهذا الطلب يعتبر من الناحية القانونية غير قابل للرفض فهو حق ثم طلب المحامي من القاضي أن يعطيه رد الرفض كتابة فرفض المهلاوي فجاء المحامي طه إسماعيل، بعدد من المحامين معه كشهود وطلب مرة ثانية من القاضي المهلاوي أن يعطيه الرد على الطلب كتابة فكتب المهلاوي إن الأوراق ذهبت إلى محكمة الإستئناف وذهب طه إسماعيل والمحامون إلى محكمة الإستئناف حيث إطلعوا على المحضر وكانت المفاجأة أن وجدوا في المحضر ضمن أوراق القضية ورقتين مختلفتين تمامًا وهما مكتوبتان بخط واضح

الإختلاف عن خط القاضي كما هو بالمحضر وبقلم مختلف وغير مرقمتين يظهر عليهما أنهما كانتا مطويتين أما محتوى الورقتين فهو يتضمن محاولة لتأسيس الإدانة على مواد الإتهام 127 (أ) 105 و 96 (ط) و(ك). وقد شهد على هذه الواقعة المحامون الذين قاموا بالإطلاع على المحضر وأبلغوا بذلك السيد نقيب المحامين وسكرتير عام نقابة المحامين.

في يوم الثلاثاء 15 يناير والأستاذ في سجن كوبر أعلنت محكمة الإستئناف الجنائية، حكمها في القضية، فقد تحولت هنا القضية من قضية جنائية إلى قضية ردة!!؟؟، وهذا يوضح أن الهدف ليس الإسلام، وإنما الحقد الذي يعاني منه قضاة الشرع، نتيجة لتخلفهم الفكري، وعدم التأهيل الفني، ثم ضعفهم الأخلاقي، الذي طالما نعاه عليهم الأستاذ، وهذا هو الذي دفعهم لتستغلهم السلطات العاجزة على مدى التاريخ، ليخلصوها من خصومها السياسين، بإذلالهم بإسم الدين، والتنكيل بهم.. والتاريخ الإسلامي حافل بالتكفير، ولا أحتاج هنا لذكر النماذج.

قاضي محكمة إستئناف نميري هو المكاشفي طه الكباشي، إتجه هذا الرجل إتجاه الكذب، والبتر، والنقل المخل من كتب الأستاذ ليرميه بتهمة الكفر، التي جهزوها وخططوا لها، فمثلاً نقل المكاشفي من كتاب الرسالة الثانية من الاسلام، من حديث الأستاذ عن حقوق المرأة ما يلي: (والأصل في الإسلام إن المرأة كفاءة للرجل في الزواج، فالرجل كله للمرأة كلها، بلا مهر يدفعه، ولا طلاق يقع بينهما) إنتهي و تكملة النص الذي بتره المكاشفى يقول: (والأصل في الإسلام ان المرأة كفاءة للرجل في الزواج فالرجل كله للمرأة كلها بلا مهر يدفعه

ولاطلاق يقع بينهما، ويلتمس منع التعدد في قوله تعالى: ﴿ . . . فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً . . . ۝٣ ﴾ (سورة النساء)، وفي قوله تعالي: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ . . . ۝١٢٩ ﴾ (سورة النساء)، ويلتمس منع الطلاق في قول المعصوم " ابغض الحلال إلى الله الطلاق " والإشارة اللطيفة إن ما يبغضه الله لابد مانعه حين يصير المنع ممكنًا، وعمليًا، فإن الله بالغ أمره)[3]، أولا لم يواصل المكاشفي في نقل هذا النص من الكتاب، كما جاء تعليقه على ما نقله هكذا: (فمحمود بهذا ينفى أن المهر والطلاق أصلان في الإسلام)، إن المكاشفي يفهم كلمة أصلاً بطريقة عامية، لتعني غير موجود، وكلمة أصل وفرع في اللغة وكما إستعملها الأستاذ محمود، تعنى أن هناك شيئاً أساسيًا وشيئاً فرعيًا، بمعنى مأخوذ من الأصل، فديمومة الحياة الزوجية، هي الأصل، والطلاق فرع لأنه تشريع ضرورة، ولا يحدث إلا في حالة إستحالة إستمرار الحياة الزوجية، وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز له عرش الرحمن). . فهل يمكن أن يقول رجل عاقل أن الطلاق هو الأصل في العلاقة الزوجية؟، وأن الناس يتزوجون ليطلقوا؟؟ . . إن الكيد الرخيص والغرض المبيت، قد أطفأ كل بصيص عقل، كان يمكن أن يساعد ذلك القاضي، على الفهم الصحيح، هذا نموذج واحد من أمثلة سوء الفهم، والنقل، المخل، لهذا القاضي غير المؤهل، كما قال الأستاذ، والذى يجد الجرأة على الله، وعلى الخلق، ليقضي في رقاب الناس!! . . أضف إلى هذا، فقد كان يخطىء كثيرًا في اللغة وفي قرآءة نصوص القرآن. .

---

(3) كتاب الرسالة الثانية من الأسلام ص 127.

عصر يوم الخميس 1985/1/17:

في هذا اليوم أقام الأخوان ركن النقاش المعتاد في الجامعة، وقد ذهبت بوجبة الإفطار إلى الأستاذ في السجن.. كانت الأحوال سيئة، وعند وصولي للسجن لاحظت أن هناك عربة مرسيدس سوداء تقف داخل فناء السجن، عرفت أن هناك أحد الوزراء أرسله نميري لمقابلة الأستاذ ليقنعه بالتوبة وعندما حاوره مبعوث نميري قال له الأستاذ: (قل لنميري مايبرئني أنا ماجرم، قل له يلغي الحكم) هذه بعض العبارات التي قالها الأستاذ بعد رفض مبدأ التوبة، رجع الوزير خائبًا إلى نميري.. ومنعوني من زيارة الأستاذ، وأخذوا مني الطعام، ورجعت إلى الجامعة وكتبت ورقة بما حدث للأخ الجمهوري الذي كان يدير ركن النقاش في الجامعة.. كانت الحيرة مطبقة، ذهبت ومعي أحد الأخوان القانونيين لرئاسة السجون في المقرن، لمقابلة مدير السجون أحمد وادي عسانا نعرف شيئًا عن مستجدات الأمور، بعد إنتظار طويل تمكنا من مقابلة المدير، كان حادًا ومضطربًا في مقابلتنا(أنظر مقال السجون وسجناء الضمير).

مسيرات الأخوات والأخوان تتوجه إلى المحكمة المهزلة التي أعدتها حكومة نيمري للاستاذ

حانب من مسيرات الأخوات والأخوان تتوجه إلى المحكمة المهزلة

المسيرات في طريقها إلى المحكمة

الأخوات والأخوان الجمهوريون يجلسون في فناء المحكمة

الأخوات والأخوان الجمهوريون يجلسون في فناء المحكمة في إنتظار المحاكمة

جانب من أركان النقاش العام عن الفكر الجمهوري

بعد العصر رجعت مع أحد الأخوان إلى منزل الأستاذ في الثورة، وجدنا عدداً من الأقارب قد توافدوا على المنزل، المكان مكتظ بالناس، صوت نميري ينبعث من التلفزيون، يقرأ على الشعب أوراقًا، يوضح فيها تأييده للحكم الذي صدر ضد الأستاذ. . بعد دقائق وقفت عربة أمن الدولة أمام المنزل، ودخل عدد كبير من رجال الامن يحملون السلاح يثيرون الفزع في المنزل وطلبوا مني أن أذهب معهم، وخرجت، كان صوت عمتي كلثوم يتبعني (لاتذهبي معهم)، وكذلك طلبت بعض قريباتي، وسألني رجل الأمن بشدة (أين أسيا؟) يعني أسماء، رديت عليه ليس هنا من تسمى أسيا وأخذوني إلى القسم الشمالي، والجدير بالذكر أن الحاجة كلثوم بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ وعندما كنت انا معتقلة في حراسة القسم الشمالي في امدرمان، أصرت على البوليس ان تلحق بي وأن لاتبقى في المنزل، وكانت تقول لرجال البوليس: (إن كنتم تريدون ان تقتلوا بتول فأقتلوني معها)، وقد بقيت معي في الحراسة حتى خروجي.

قبل مغادرتى طلبت من الأخوات أن يذهبوا إلى كلية التربية، التى تقع بالقرب من المنزل، عسى أن يتمكن الأخوان غير المعتقلين من القيام بأي نوع من الحركة، بعدها أخذوني إلى قسم البوليس الشمالي في مدينة أمدرمان، أحضر رجال الأمن أعداداً كبيرة من الأخوات والأخوان، إلى القسم وأيضًا تم إعتقال أعداد كبيرة من منزل الأستاذ والمنازل المجاورة بينهم أطفال، أحضروهم بالعربات الكبيرة (كوامر) إلى أقسام البوليس من أنحاء العاصمة المختلفة. . قضى الجميع ليلاً حزينًا في تلك الحراسات وقضوا الليل، يصلون كما هو نهج الجمهوريين قيام الثلث الأخير من الليل . . في هذه الحال كان بعض رجال البوليس يسخرون منا

يسألون بعضهم البعض(لماذ يصلون كثيرًا هكذا؟) فيجيب أحدهم: (لأنهم يريدون أن يطير لهم غدًا من حبل المشنقة) يقصدون الأستاذ، عبارات مثل هذه!!.

إستمر رجال البوليس في تلك الليلة وحتى صباح 18 يناير 1985، يلقون القبض على الجمهوريين من منازلهم، ومن الطرقات العامة، حتى لا يكون هناك جمهوري واحد طليقًا في لحظات الإغتيال، وكانوا يسألون كل من يقابلهم ويظنون أنه جمهوري، يسألونه هل أنت جمهوري؟ فيجيب بنعم، كانوا يستغربون أن الجمهوريين في تلك اللحظات الصعبة لاينكرون أنهم جمهوريون..

قبل الساعة العاشرة من صباح يوم 18يناير 1985، بدأ الذكر بأسم الله المفرد في كل الحراسات، وقد كانت كل الأخوات والأطفال في القسم الشمالى، كما كان أيضًا هناك بعض الأخوان، كان الذكر قويًا وعاليًا في القسم الشمالي نسبة لوجود الأخوات فيه، كذلك كان حال الأخوان المعتقلين في أقسام البوليس الأخرى..

بعد الساعة العاشرة بدأت بعض مجموعات الأخوان تصل إلينا في الحراسة، أخبرونا أن تنفيذ الحكم قد تم على الأستاذ، وسط جمع من المواطنين، يزيد على الخمسين ألف مواطن، وقد حشد الأخوان المسلمون جموعًا غفيرة من جماعاتهم، كانوا يحملون المصاحف، ويهللون ويكبرون، فرحين في حين كان ذلك يومًا أسودًا، على الأمة السودانية، وعلى الشعوب المحبة للحرية وللسلام وعلى الإسلام..

أما من ناحية الحكومة، فقد إحتشد عدد من الوزراء والمسؤلين في الصفوف الأمامية يرتعدون في المقاعد الوثيرة، وينظرون في هلع إلى المنصة وقد وجه إليهم الأستاذ، تلك الإبتسامة التي مازالت تقض مضاجعهم، وتعذب ضمير كل من له ضمير منهم. .

أقامت السلطات حراسة مشددة على السجن منذ ليل 17/ 1/ 1985، وحتى لحظات التنفيذ، مما جعل أحدهم يصف تلك الحراسة، (بأن بين كل عسكريين هناك أخر)، وجميعهم مسلحون، وكأنهم في ذلك اليوم يحاربون جيشًا، ذا عدة وعتاد لا يحصى، كل هذا لرجل أعزل، تخطى السبعين من العمر، موثق اليدين والقدمين، مسالم طوال حياته لم يحمل عصا يومًا ليتوكا عليها!!.

ولعل خير من وصف ذلك المشهد هو أستاذ مرحلة الأساس برفاعة يوسف بابكر أحمد، الذي حضر تنفيذ الحكم على الأستاذ محمود وصور المشهد تحت عنوان (شاهد عيان) في جريدة الصحافة (صفحة 4) الصادرة يوم السبت الموافق 22/ 6/ 1985م حيث قال: (في صبيحة الجمعة، واليوم الموعود، وفي الساعة الخامسة صباحًا، تحركت من المنزل متوجهًا صوب كوبر، وصلتها في الساعة السابعة، وقف بنا البص بعيدًا عن ساحة العدالة، بتوجيهات الحركة والأمن، فيا للمشهد العجيب، الذي رأيته أمامي، لقد رأيت جمعًا من البشر، يقفون في صف طويل، يتزاحمون بالأكتاف، بدايتهم، بوابة الساحة وأخرهم، في منتصف كبري بري، حاولت الوقوف بالقرب من البوابة، فلم أتمكن لمراقبة أجهزة الأمن، التي حالت دون ذلك، تحايلت أخيرًا حتى وجدت لنفسي مكانًا من بين الواقفين، فكان لي جواز مرور للدخول.

طـال بنـا الوقـوف والـصف يتزايـد مـن كثـرة الوافـدين مـن العاصـمة، وخارجها، وهنالك مـن أتـى مبكـرًا، ومنـذ الرابعـة صـباحًاً حتـى يـتمكن مـن الدخول.

بدأت طلائع الأمن بعملية التفتيش، كانـت بـصورة إسـتفزازية، أخـذت تسلب كل ممتلكات الواقفين من أقـلام وجرائـد وخلافهمـا. في هـذه اللحظـات إمتلأت الشوارع المؤدية إلى كوبر بعربات الأمن والجيش ورجـال البـوليس وهـم على أتم إستعداد، ولازال تدفق آلاف المواطنين مستمرًا صوب الساحة. في تمـام الساعة السابعة، صدرت التعليمات، بتحرك الصف، فإبتدأ بطريقـة سـلحفائية وكثيراً ماتصدر التعليمات بالوقوف، من وقت لآخر، وكلما تحرك الصف قليلاً إلى الأمام، كلما إزدادت حدة وكثرة مضايقة جهاز الأمن، في هـذه الأثنـاء أتـت طائرة هيلكوبتر محلقة فوق رووسنا لنزداد إرهابًا، فإتجهت شـرقًا، دون أن تنـزل بهذا المكان، وهذا يدحض ما أشيع بأن هذه الطائرة نزلت داخل السجن، لأخـذ محمود بعد إعدامه..)، وإستمر شاهد عيان يحكـي عـن الألـوف المتدفقـة علـى السجن وحشود الجيوش والعساكر ورجال الأمن إلى أن قال: (وجهاز أمن الدولة يجول ويصول، وسط هذا الحشد من الناس، يقفون بالمرصـاد، ويرصـدون كـل كبيرة وصغيرة، والصمت مخيم، والأعصاب متوترة، والعيون مشدودة إلى حجرة الإنتظار تلك، كما لايفوتني أن أذكر تلك الكراسي الوثيرة التي صفت في جانب المشنقة، والتي يجلس عليها بعض علماء وفقهاء نظام مايو، في إنتظار عرض تلك المسرحية الدامية، لقد كنت أشاهد كل ذلك ، وأنا على بعد مترات من المشنقة، لقد كنا جلوسًا على الأرض، حسب التعليمات، في إنتظار ساعة الصفر، المحدد

لها العاشرة صباحًا، وما أن قاربت ودنت عقارب الساعة، مشيرة إلى العاشرة إلا ربعًا، حتى أعلن المكرفون، تقديم قاضي محكمة الإستئناف في كلمة قصيرة، قبل تنفيذ الحكم، في هذه اللحظة سمعنا هتافًا داويًا من داخل السجن ضد الطاغية، وضد العملاء فكان يردد السجناء: (لن ترتاح ياسفاح) (المشانق للعملاء)، كما صدر هتاف مضاد من الحاقدين على الأستاذ، داخل الساحة، يصيحون بأعلى أصواتهم (لا إله إلا الله)، في تلك اللحظة أُحضر الجمهوريون الأربعة، والمحكوم عليهم بالإعدام، فأوقفوهم صفًا وراء المشنقة على بُعد خطوات، وبعدها فُتحت حجرة الإنتظار، أُخرج منها الأستاذ محمود، يقتاده إثنان من الحرس، مرتديًا قميصًا من السجن وسرواله الخاص، به ومستعملاً حذائه الأبيض، واضعًا على رأسه غطاءً أحمر اللون، يخفي كل رأسه حتى رقبته، ويداه مشدودتان إلى الخلف، ومربوطتان في ثلاثة مواضع، من أعلى بسير جلد عريض، وفي الوسط بحبل تيل، وجنب المفصلين كلبشات يتدلى منها جنزير يتصل بقيد الأرجل، والتي ربطتا بحبل تيل آخر في منتصف الساقين، كل هذه الأشياء ربطت بطريقة قاسية، تنم عن الحقد والكراهية، مما جعله لايقدر على المشي عند الإقتياد للمشنقة، لازال الهتاف مستمراً من داخل السجن، وخارجة بطريقة تصم الأذان.

أوصلوا الأستاذ إلى سلم المشنقة فأخلع نعلاه، وبدأ الذين يقتادوه في الصعود به إلى خشبة المشنقة، والجمهوريين المحكوم عليهم ينظرون هذا المشهد عن كثب، لزوم تخويفهم وإرهابهم والجالسون على الكراسي الوثيرة منتشون.

وقف الأستاذ على الخشبة، وحوله عدد من الحرس، نُزع منه غطاء الرأس فإنحسر الغطاء عن رأس أشيب، يدل على وقاره، ويشير إلى السنوات التي قاربت

الثمانين من عمره، أدار رأسه ببطء، ناظرًا إلينا بنظرته المعهودة، التي تعبر عن مكنون نفسه، أقول حقيقة إني لم أر إنساناً قط في رباطة جأش وثبات الأستاذ محمود، ومقابلته لهذا الموقف الحرج، بكل شجاعة وصبر، فكان في قمة الثبات، ولم يظهر عليه أي إنفعال غير صمته، الذي يعبر عن مدى سخطه نحو هذا الظلم الذي لحق به، وقف في تلك اللحظة ليثبت للجماهير تلك العظمة والشجاعة ورباطة الجأش، الذي عرف به، إعتلى قاضي محكمة الإستئناف منصة بالقرب من المشنقة، وألقى كلمته، باديًا عليه القلق والإنفعال، مما جعله يتكلم بسرعة البرق، ذاكرًا تنفيذ الإعدام، كما أشار إلى الجمهوريين الأربعة المحكوم عليهم والذين يقفون وراء المشنقة، بأنهم سوف يستتابون بعد أن يقدموا لكوكبة من العلماء لمناصحتهم، وبعدها نزل من المنصة مهرولاً، أخذاً مكانه بين جلسائه، لمتابعة عملية الشنق لإشفاء الغليل.

دنت ساعة الصفر وأُلبس الأستاذ القناع الأحمر، وأُوتي بالحبل، ووضع على رقبته، وهو ساكن لايبدي أي حركة تنم على إنفعاله، وفي هذه اللحظة الخاطفة فتحت الخشبة التي يقف عليها بسحب ترباسها، الذي كان يقف إلى جانب أحد السفاحين، وكلمح البصر كان الأستاذ معلقاً في الهواء، ومصلوبًا لمدة عشرة دقائق، لاحراك به، والحناجر ملتهبة بالهتاف، في هذه اللحظة إقتاد جهاز الأمن رجلان داخل السجن، كانا يهتفان للأستاذ مرددًا أحدهما: (فداء للإسلام فداء للسودان) والأخر كان مرددًا (ماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم).

بعد إنتهاء الفترة المحددة لخروج الروح، وصعودها لبارئها، صعد شخص يحمل نقالة إلى الخشبة وبصحبته طبيب، لزوم الكشف وتحديد النهاية، قاموا

بسحب المشنوق إلى أعلى، عن طريق الحبل الذي شنق به، وتم إخراجه من تحت الخشبة مسنوداً على أيديهم، لإزالة الحبل من عنقه، وما أن نزع الغطاء عن الرأس، حتى طالعنا الأستاذ بعين مغمضتين، وفم مقفول، كأنما هو في ثبات عميق، إنه مشهد عجيب ينفطر له القلب، ويهز المشاعر الإنسانية، لقد كان ضحية الغدر، والخيانة، والظلم.

طرح الجسد على النقالة، وأزيل عنه وثاق يديه، غير أن الأرجل لازالت ترزح تحت القيد، أُجري عليه الكشف، فأشار الطبيب بنهايته، ومفارقته للحياة، ووضعوا عليه بطانية قديمة، وممزقة، من مخلفات السجن، ومما زادني أشمئزازًا، تلك الفعلة التي قام بها السجان تجاه هذه الجثة، لقد كانت يد الأستاذ متدلية خارج النقالة، أثناء عملية الكشف، فأخذها هذا السجان وقذف بها بكل قسوة إلى داخل الغطاء، غير آبه بحرمة الميت، ولابشعور الحاضرين، ممثلا بكل وقاحة بالجثة، أنزلت النقالة من على المشنقة، كما أقتيد الجمهوريون الأربعة، بعد مشاهدتهم لتلك المأساة، كما تفرق جمع الطاغية الذي كان يجلس على تلك الكراسي الوثيرة، والتي إنقلبت وبالاً عليهم أخيرًا. .) إنتهى حديث شاهد عيان. كان الأستاذ عاديًا وهو يعلم إلى أين هو ذاهب، فقد حكى الطبيب الذي أجرى عليه الكشف الطبي قبل العاشرة بدقائق، أنه كان هادئًا وعاديًا وأن ضغطه كان مثاليًا وهو 120/ 80 .

وقد حكى أحد الصحفيين (فيلب عزيز) الذى شهد ذلك المشهد في مجلة جون أفريك (Jeune Afrique) تحت عنوان الشيخ والجريمة بقوله :ـ

(في 18 يناير، في الساعات الأولى من الصباح، أخذت جموع تقدر بعدة ألاف، تتدفق نحو السجن المركزي بكوبر، المحروس بأعداد كبيرة من القوات المسلحة، لتحضر التنفيذ. وفي الساعة التاسعة والنصف، وقد أمتلات ساحة السجن، أُخرج إثنان من الحراس محمود طه من زنزانته، وقاداه نحو المشنقة المطلية باللون الأحمر. اليدان مكتوفتان من الخلف، والرأس مغطى بقناع أحمر، والقدمان مقيدتان بحبل غليظ.. وكان الرجل الشيخ يتعثر بين أيدي حراسه، وهو يصعد على السلم من أسفل المنشقة. وأمام الجمهور الذي كان يردد هتافات دينية، نزع الحراس الغطاء عن المحكوم عليه، فرفع محمود طه، لدهشة الجميع، وجهًا مطمئنًا ومبتسمًا، وكان الرفقاء الأربعة الذين حكم عليهم مثله بالإعدام، والذين سيقوا مقيدين وجيء بهم إلى القرب من المشنقة، يرددون بعض الصلوات.. وإقترب مدير السجن من محمود طه، وقرأ الحكم من المايكروفون، وفي الساعة العاشرة تمامًا لف الجلاد الحبل حول عُنق المحكوم عليه، ثم دفع بضربة واحدة من قدمه المقعد.. وظل جسد محمود طه لمدة عشر دقائق يتأرجح في الفضاء، وبعد نهاية هذه الفترة من الزمن كشف عليه الطبيب الشرعي، وقرر الوفاة. ثم حل الحراس الجسد، وحملوه إلى طائرة هليوكبتر كانت تنتظر في ميدان السجن، وفي اللحظة التى بدأ فيها الجمهور ينصب نحو الخروج، تحركت الطائرة حاملة الجثمان إلى جهة غير معلومة) إنتهى حديث فيليب عزيز.

وهذه الصورة من العنف والإرهاب، هي ما يقدمها دعاة الإسلام السلفيون ورجال الشريعة، في كل بقاع الأرض وليس لهم منها من فكاك، هي أيضًا الصورة التي توضح أن الإسلام الذي يُقدم على فروع القرأن اليوم، وليس على

أصوله التى تقوم على حرية العقيدة والرأي، ليس له من فرصة في عصرنا الحاضر، وكما قال السيد المسيح فقد (وُضِعت الفأس على أصل الشجرة).
وليس للفكر السلفي والسلفيين أي موقف من الأفكار وكل الأديان غير هذا الموقف البشع.

بعد الإنتفاضة التي أطاحت بنظام نميري، وسدنته، إتضح الكيد الذي كان مدبرًا، والذي ألبسوه ثوب القانون والدين، فقد وجدت بعض المكاتبات التي تمت بين نميري وأعوانه، لتصفية الأستاذ محمود. فقد كان إغتياله إغتيالاً سياسياً سافراً، فالتآمر والقصد السيء، كانا أساس تلك المحاكمة الصورية، وحقيقة الأمر أنهم قد إحتموا بنصوص من الشريعة إستغلوها للتنفيس عن حقدهم، وتنفيذ جريمتهم، وهنا مكمن الخطرعلى كل من يحمل رأيًا معارضًا، ولكن سلاح من إغتالوه إنشاء الله سوف يرتد عليهم إن شاء الله.. وقد تنبأ الأستاذ بذلك في إحدى الجلسات، بعد المصالحة الوطنية عام 1977 في مقولته الشهيرة التي عرفت بالسوفات السبعة حيث فال:

(من الأفضل للشعب السوداني أن يمر بتجربة جماعة الهوس الديني،

وسوف تكون تجربة مفيدة للغاية، إنها بلا شك سوف تكشف مدى زيف شعارات هذه الجماعة.

وسوف تسيطر هذه الجماعة على السودان سياسيًا وإقتصاديًا حتى ولو بالوسائل العسكرية.

وسوف تذيق الشعب الأمرين.

وسوف يدخلون البلاد في فتنة تحيل نهارها إلى ليل .

وسوف تنتهي بهم فيما بينهم .

وسوف يقتلعون من أرض السودان إقتلاعًا) .

الوثائق الوارد ذكرها أدناه، تكشف ذلك التآمر الرخيص، فكل الذين إشتركوا في تلك المؤامرة، كان لهم خصومات فكرية وعداء للأستاذ، بعد أن عجزوا عن منازلته في ميدان الفكر، فقد واجه الأستاذ حكومة مايو حين مالت نحو الهوس الديني، ودبرت القوانين التي أسمتها شرعية، لتصفية كل من يعارض ذلك الإتجاه، وقد سعى في ذلك التآمر الأخوان المسلمون وقد ثبت ذلك التآمر بالوثائق .

فبعد إعتقال الأستاذ لمدة عام ونصف، أطلق نميري سراحه بصورة مفاجئة، مما يشير إلى إن هناك شيئًا ما يدبر فى الظلام . إستغل الأخوان المسلمون حالة عدم التوازن العقلي التي دخل فيها نميري بعد بداية إنهيار النظام، وحقده على المعارضة، التي ساعدت في تفكك النظام وإنهياره، وأخذ نميري يصرح في عديد الإجتماعات الخاصة بالحكومة، والإتحاد الإشتراكي، عن حقده على الأستاذ بكلمات مثل أدعياء الألوهية، أو إن جماعة الأستاذ (يطيعونه ولو قال لهم أنسفوا هذه القاعة سوف ينسفونها .)

فالأخوان المسلمون وعلى رأسهم زعيمهم الترابي كانوا يعلمون أن الأستاذ لن يصمت بعد إطلاق سراحه وسوف يواصل المعارضة لقوانين سبتمبر 1983 فرأوا أن الفرصة قد واتتهم للتخلص من الأستاذ محمود، فأحاطوا بنميري وعزلوه

عن مجموعته المعتدلة فقد حدث أن قابلت ومعي بعض الجمهوريين إحدى قيادات المرأة في الإتحاد الإشتراكي في منزلها الحكومي في الخرطوم في يناير 1985 وتحدثت معها عن مايحاك ضد الأستاذ، فكشفت عن موقف ضعف ظاهر، وقالت لنا بالنص إنهم في هذه الأيام لايستطيعون مقابلة نميري (فقد أحاط به الأخوان المسلمين ومنعونا حتى عن مقابلته) كما قالت إنهم أحكموا الحصار حوله بإحتلالهم كل المواقع الرسمية فقد كان الترابي مساعداً لرئيس الجمهورية للشئون السياسية كما تولى الأخوان المسلمون وزارة الداخلية والنائب العام ومجلس الشعب، وكان أحمد محجوب حاج نور رئيس محكمة الإستئناف الجنائية، جميعهم بايعوا نميري خليفة للمسلمين في بيعة ابي قرون الشهيرة (جريدة الأيام 16/ 5/ 1984) والكل يعلم ان البيعة لاتتم لرجل وهو في الحكم، ناهيك عن طاغية مثل نميري، ينقصه العلم والدين والورع، قد دافعوا عنه جميعًا ووصفوه بأنه (مجدد ديني) وأثنوا على قانون الطوارئ الذي إعتقل وعذب الشعب، بأنه جهاد في سبيل الله وإعلان لحرب سياسية، فبهذا الوضع إكتملت خيوط المؤامرة، فأعدوا العدة بتجهيز قانون العقوبات الجديد الذي وضع أي معارض، في درجة الخيانة العظمى، والمساس بأمن البلاد، وعقوبته الإعدام، وقد وضع نميري على رأس المحاكم التي أُنشئت بتلك القوانين، قضاة ينفذون مخططه الإجرامي لإذلال الشعب، فالمكاشفي، وحاج نور، وعوض الجيد، ومحمد آدم عيسى (وزير الدولة بديوان النائب العام)، وموجه الإتهام، هو أخو مسلم، وجميعهم أخوان مسلمون، يخدمون أغراض تنظيم الأخوان المسلمين العدواني الحاقد على الأستاذ، وذلك لما بلوا به من هزائم أمام أدلة الأستاذ بأن مايقدمونه ليس الإسلام، وإنما جهلهم بالإسلام، وأغراضهم الشخصية، وإستغلالهم للدين ليصلوا به إلى

السلطة، وكرد فعل أخذ هؤلاء يصدرون الأحكام ويرفعونهـا للقـصر للتأيـد، فقد كتب نميري لسدنته من الأخوان المسلمين ليعدوا له المؤامرة، وقد حكم علـى الأستاذ بالردة قبل المحكمة، فيما يلي نورد خطاب نميري لسدنته :ـ

الوثيقة الأولى:ـ

نميري يحكم بالردة قبل المحاكمة!!

((الأخ عوض، النيل، والأخت بدرية

سلام الله عليكم، ،

آخر هوس الأخوان الجمهوريين، هذا المكتوب الـذي أرى بـين سـطوره(الردة بعينها) أرجو الإطلاع، ومعكم الأخ بابكر، سأجتمع بكم في الأمـر إنـشاء الله، بعد أن تكونوا على إستعداد.

أخوكم في الله

جعفر محمد نميري

8 جمادي الأولى سنة 1404 هـ))

الوثيقة الثانية:ـ

(الأخ الرئيس القائد – السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المنشور المرفق وزعه الجمهوريون، وقد قبض على ستة منهم، وتم التحقيق معهم وسوف يقدمون إلى المحاكمة. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبـون،

ولاشك أنها بداية لمسيرة ظافرة بأذن الله، يتساقط دون هدفها كل منـدس بأسـم الدين، وكل خوان كفور، ولله الأمر من قبل ومن بعد. وفقكم الله لقيادة المسيرة الظافرة، وأقام نهج الله على آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ومن سار بسيرهم ومنهجهم أنه سميع يجيب الدعاء.

النيل عبد القادر أبوقرون

6 ربيع ثاني 1405 هـ

الحمد والشكر لله ولصفيه ورسوله محمد رسول الله والله أكبر على المنافقين.

6 ربيع ثاني 1405 نميري) . . (أنظرصورة المستندين)

خطاب نميري لسدنته، كان من تاريخه قد صدر قبل ظهور المنشور هـذا. . أوالطوفان. . وهذا يعني أن الحكم بالإغتيال والردة، كانا مدبرين قبل المحاكمة. كما وجدت ورقة في ملف القضية ليست من أصل الأوراق (ورد ذكرها سابقًا)، تحوي حكم الردة، أضيفت لقاضي محكمة العدالـة النـاجزة رقـم أربعـة، حـسن ابراهيم المهلاوي، ليقرأها ضمن الحكم!!.

خلاصة حوادث الأيام الأخيرة:

مضت الأيام الأخيرة مـسرعة، ففـي يـوم 19/ 12/ 1984 أطلـق سـراح الأستاذ وفي يوم 25 من نفس الشهر أخرج الأستاذ المنشور المعروف (هذا. . . أو الطوفان). وفي يوم السبت 5 يناير 1985 أعيد إعتقال الأستاذ. وفي يوم 7 ينـاير 1985 قدم للمحاكمة. وفي يوم 8 يناير 1985 صدر الحكم ضده بالإعدام. وفي يـوم الثلاثـاء 15 ينـاير 1985، أعلنـت محكمـة الإسـتئناف الجنائيـة حكمهـا في القضية، وحولت القضية من جنائية إلى قضية ردة. وفي يـوم الخمـيس 17 ينـاير

1985 ، أيد الطاغية، نميري، الحكم الصادر بالإعدام من محكمة المهلاوى . وفي الساعة العاشره من صباح يوم الجمعة 18 يناير 1985 نفذ عليه الحكم الجائر .

وبعد تنفيد حكم الإعدام على الأستاذ محمود في الوقت الذي بدأت فيه الانتقادات والاشئمزاز ، أخذ بعض ضعاف النفوس من داخل السودان يهنئون جعفر نميري ، لإغتياله الأستاذ (لعل من بعض الأسباب خوفهم منه على أنفسهم) أورد فيما يلي بعض من هذه البرقيات والتي تم نشرها في الصحف اليومية :ـ

فقد ورد في جريدة الأيام ، أن السيد محمد عبد القادر عمر ، الأمين العام للإتحاد الإشتراكي السوداني ، يشيد فيها بقرار نميري بتأييد الحكم ، هذا نصها :ـ

(بنفس القناعة التي أملت علينا أن نهنئكم ، ونعلن تأييدنا لكم ، وأنتم تصدرون قراركم بالعفو عن فيلب عباس غبوش وجماعته ، لأنكم بذلك عبرتم عن سماحة الإسلام ، وعن رحابة صدركم وعظيم نبلكم ، فإننا نهنئكم ، وأنتم تصدرون قراركم العادل ، بتأييد حكم المحكمة الحدي بالإعدام ، على محمود محمد طه ، وأربعة أخرين حماية للمجتمع ، من فتنتهم وإنحيازاً لكلمة الله ، وإنتصاراً للعدل وبسط لوائه بين الناس ، نؤيدكم ونقف خلفكم صفًا واحداً وإرادة صلبة ، وعزيمة لاتضعف ، ولاتهتز . سيروا على طريق العدل ، والله معكم يسدد على طريق الخير خطاكم ، وإن ينصركم الله فلا غالب لكم .

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد عبد القادر عمر

جريدة الأيام الصفحة الأولي .) إنتهى

هكذا ياركون قتل المسلم الذي يدعو إلى الله على بصيرة ويهنئون بالعفو عن المسيحي، وتلك عندهم نصرة الإسلام؟؟!! كما وردت تهاني كثيرة لنميري من خلال المذياع، كما خصصت الإذاعة وقتا لإذاعة التهانئ التي قيل أنها وردت من مواطنين. . وأخذ بعض الذين يتقدمون بطلبات لأغراض من الحكومة (مثلا الأراضي) يبدأونها بأنهم يؤيدون حكم الإعدام على الأستاذ.

ردود الفعل العالمية بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ:

المملكة العربية السعودية، من الدول التي قد حرضت على إعدام الأستاذ محمود، وقد كتبت لحكومة السودان بذلك، فقد قابلت صحفها بلا إستثناء خبر الإعدام، بالرضا بإعتبار أنه طابق الإتجاه الديني المتخلف للدولة، التي تقف موقفاً عدائياً واضحاً من الأستاذ محمود، وإتجاهاته في الفكر، لنظامها الملكي المنافي للمبادئ الإسلامية، كل العالم أدان ذلك الأغتيال، ماعدا المملكة العربية السعودية التي سبق ان اوصت حكومة نظام نميري بإغتيال الأستاذ.

إدانات العالم الغربي:

أما العالم الغربي، فقد إستنكر جميعه تلك الجريمة البشعة، وكان لصحيفة القارديان البريطانية الصادرة بالتواريخ 19/ 1/ 1985 ـــ 21/ 1/ 1985ـ 29/ 1/ 1985، إدانات قوية، ومتتالية، لتلك الجريمة، وكان واضحاً أن نظام نميري الذي بدأ ينهار كان بعيداً عن الإسلام ومعزولاً عن العالم وروح العصر. وقد كان أقوى صدى لمعارضة العالم الغربي للأغتيال، من مجلس العموم البريطاني، فقد نظمت الأحزاب البريطانية في يوم 30/ 1/ 1985، إجتماعاً للتنديد بالجريمة، التي إرتكبها نظام نميري ضد الشهيد

محمود، ترأس الإجتماع السير جراهام توماس، أحد كبار الموظفين السابقين بحكومة السودان وقد لخص أهداف الإجتماع في كلمات ثلاث (الحزن والإسى والتقدير) قائلاً: (الشعور بالحزن أمام هذه الفاجعة والشعور بالأسى للذين إرتكبوا هذه الجريمة، والشعور بالإجلال والإحترام أمام محمود، وشجاعة الذين ضحوا بالغالي والنفيس، لإعلاء كلمة الحق، والذين كان المرحوم محمود محمد طه ينتمي إلى صفوفهم..).

ردود الفعل العالمية بعد تنفيذ الحكم على الأستاذ:-

وقد تبعه في الحديث السيد سيرك تاوسند، النائب البرلماني الممثل لحزب المحافظين فقال: (والجريمة التي تمثلت في شنق هذا الرجل المسن، بهذه الطريقة البشعة، ودون أن يحظي بمحاكمة عادلة، هي جريمة تقلص من قيمتنا نحن المجتمعين، في هذه القاعة، ومن قيمة كل إنسان يوجد على وجه البسيطة).

صورة من الوثيقة الأولى

٢٦ مايو ١٩٨٥م

تصدق الوثائق التي يحتفظ بها الأستاذ عبد الوهاب محمد عبد الوهاب مع مرسلته اليوم لإثبات التقارير التي كانت تعد للتحضير لمحاكمة الجمهوريين

أيضًا كان للكاتب السوداني الدكتور منصور خالد إدانته لتلك الجريمة نورد جزءاً من نص المقال الذي كتبه في جريدة السياسة الكويتية الصادرة في يناير 1985م والذي بدأه ب :

(وقد كان فوت الموت عليه سهلاً فرده إليه الحفاظ المُر والخُلق الوعر

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمسك الحشر

غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا إشتهت أنها قبر)

وماكان لمحمود أن يرد عنه غائلة الموت بالجزع، فما جزع من المصائب إلا من إتهم ربه. . وماكان ليدفع عنه البلوى بالإنخزال أمام المهووسين، وبدع الدجاجلة، واضطغان الذين ما إستطاعوا عبر ما يقارب نصف قرن من الزمان، أن يجابهوا الرأي برأي أوثق. . فإن فعل خان ماضيه، وتنكر لتعاليمه، وقد عرف الناس الراحل الكريم، على لين عريكته، رجل أصمعي الفؤاد، صلب القناة. . إن الذي يأبى على نفسه من الدنيا الفضول – ولا يُطلع غيره على ما لا يعلمه عنه إلا الله، لاينكسر أمام الموت، كما يفعل (إمام) أخر الزمان، الذي أكداه السعي وراء الحياة، فراراً في كل معركة، ولواذاً عند كل لقاء، وتهالكاً أمام كل مجابهة، فأين مروءة محمود من مرائه، وأين حلم محمود من غلوائه، وأين تواضع محمود من خيلائه، وأين جرأة محمود من إنخزاله وإنزوائه. .

إن إغتيال محمود محمد طه شهيد الفكر، لرزء أكبر من أن توفيه الدموع السواجم. وما إغتال محموداً دهر خئون، وإنما إنتاشته سهام صدئه، أطلقها قضاة تالفون، ودعاة عاطبون، وحاكم فاجر، معتل العقل، آن له أن يلجم..

لقد ذهب محمود إلى رحاب سنية، وجناب حان، وهو راض، وكيف لايرضى بذلك الرجل الذي يودع فلذة كبده، وعينه لاتدمع، وهو يقول لمن جاء لعزائه " لقد ذهب إبني إلى أب أرحم، نعم!! ذهب محمود إلى ذلك الأب الآرحم، وبقينا نحن في خلف شعور، وزمان عقيم عقم الخصي الأوكع، الذي قتل أباً شجاعاً فتاكاً – نعم! بقينا نحن في زمان كزمان الصوفي المتبتل أبوبكر الواصلي، زمان ليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوي المروءة، فما أشد أهل السودان اليوم حاجة، وقد إستبدت بهم الدواهي العظام، والكروب العضال، إلى ذوي الرأي السديد، والعزم الحديد.. أو غبن في الرأي وخور في العزيمة؟! معاذ الله!) إلى أن قال (ولعل مثقفي السودان، قد رأوا مايمكن أن يقود إليه الهوس الديني، وشهدوا مايمكن أن يؤدي إليه صمت الشياطين الخرس عن الحق، وياليت أهلي! ياليتهم يعلمون أن الطاغية الذي لايقتصد في محاسبة رجل مسالمٍ، هو أول الناس إجفالاً عندما يلوح له بالعصا، فما سل الإمام سيفه إلا أمام أعزل، وماطالب الطعن والنزال إلا في ساحة خلاء، ودون الناس توسله، وتضرعه للصنديد جون قرنق، في أدغال الجنوب، ودون الناس إنكساره، أمام الأب فيليب عباس غبوش!!) إلى ان قال(لقد إغتال النميري والعصبة التالفة من خلفه من كل

مشعوذ ومنافق ومتاجر بالدين، لقد إغتال كل هؤلاء بأسم الإسلام والمسلمين مفكرًا حرًا، اعزل من كل سلاح، إلا القلم، ومع هذا، فما تركوا لهؤلاء المسلمين فرصة الإبتهاج بهذا الذبح السمين بل هربوا جثمانه خشية مالاتحمد عقباه) إنتهى. ذلك كان جزء من مقال الدكتور منصور خالد.

وفي جانب أخر حرك هذا الفعل الشنيع البروفسيرعبد الله الطيب فنظم قصيدة مديناً ومصوراً ذلك الجرم الكبير الذي أساء إلى الإسلام والسودان، نجتزي منها أجزاء متفرقة، بدأها بقوله:

(قد شجاني مصابه محمود ... مارق قيل، وهو عندي شهيد)

إلى أن قال:

(كان حكم الإعدام تنفيذه سرًا ... فهذا الإشهار شيء جديد
ليت إذ أجمعوا على الإثم أخفوه ... كما إغتال خمسة عبود
أي شيء جناه حتى يرى الإعدام ... فيه هو الجزاء الوحيد
لم يجرد سيفًا وأصدر منشورًا ... وهذا أسلوبه المعهود
وهو نهج من النضال حضاري ... بأمثاله السراة تسود
ولقد رام أن يجدد محمود ... فصار جرمه التجديد
والذي قاله فقد قيل من قبل ... وفي الكتب مثله موجود
ولقد يعلمون ان قضايا الدين ... فيها الخلاف وهو تليد)

إلى أن قال :

(علنًا علقوه يشنق للجمهور ذاك المفكر الصنديد)

إلى أن قال :

(وأراهم من ثغره بسمة الساخر والحبل فوقه ممدود

وعلى وجهه صفاء وإشراق امام الردى وديع جليد)

إلى أن قال :

(فيما هذا الطغيان ماهذه الأحقاد ماهذه القلوب السود

ما الذي جد ما الذي جلب القسوة من أين ذا العتم الشديد

قد أسأنا إلى الشريعة والإسلام ما هكذا تقام الحدود

ما كذا سنة النبي ولا الوحي الذي أنزل الحكيم الحميد)

في هذه الفترة كتبت المؤلفة العديد من المقالات في الصحف المحلية نذكر منها : (الأستاذ محمود الذي أُغتيل غدرًا وخيانة) (الأسلوب الذي إنتهجه الأستاذ للدعوة للدين) (الأصول والفروع) ومقالات أخرى، كما كتب بعض الجمهوريين العديد من المقالات التي تشجب المؤامرة، وبعد الإنتفاضة الشعبية في 6 أبريل 1985 التي أطاحت بحكم نميري، تكونت لجنة قومية من بعض أساتذة جامعة الخرطوم وأخرين للإحتفال بالذكرى الأولى لإستشهاد الأستاذ محمود، وإنبثقت من تلك اللجنة فكرة رفع قضية دستورية لإبطال الحكم الجائر ضد الأستاذ محمود، ترفع نيابة عن أسماء محمود وشملت العريضة بعض المثقفين (على

أساس أنها قضية قومية) وبعد إعداد العريضة وقبل تقديمها، إنسحب البعض. وفي 25 فبراير تقدم لفيف من المحامين(هيئة إدعاء) بعريضة تطالب ببطلان الحكم الصادر من محكمة الموضوع ومحكمة الإستئناف، الذي ترتب عليه تنفيذ حكم الإعدام، وبعد فحص وتفنيد لإجراءات محكمتي الموضوع والإستئناف قررت المحكمة العليا إعلان بطلان الحكم على الأستاذ محمود.

وجلية الأمر ليس هناك دستور في الأرض، يقول بإعدام المواطنين لأفكارهم، وقضية الأستاذ محمود هي قضية الفكر والدين، وليس في الدين ردة (راجع كتاب بيننا وبين محكمة الردة للأستاذ محمود) لأن الدين هو علاقة الإنسان بربه، التي لم يجعل الله عليها رقيبًا ولا الأنبياء، وقمة تحقيق هذه العلاقة ما جاء في الآية الكريمة: ﴿ . . . قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (سورة الأنعام) ، وقد حقق الأستاذ محمود من هذه الصلة ما ليس له مثيل على الأرض الآن، وإنطلاقًا من هذا الفهم ليس هناك من هو موقن، عالم بالله، أكثر منه، يصلح أن يكون حكمًا عليه ليبرأه او يدينه، وهذا الموقف الفريد الذي كرم الله به الأستاذ محمود، تم إختياره له لأمر جلل له مابعده. .

وإن كان هناك ثمة واجب يقوم به رجال القانون هو إلغاء تلك القوانين التي نهض الأستاذ لمقاومتها، وقد دلهم على ذلك الواجب عندما زاره بعضهم في حراسات القسم الجنوبي، حيث قال لهم ما معناه : (أتركوني أنا وإهتموا بأمر هؤلاء المظاليم الذين يسامون العذاب دون ذنب جنوه، في السجون والحراسات)، وفي المحكمة رفض أن يقف دونه المحامون، شكرهم، وواجه القضاء الجائر بنفسه. كان واجب رجال القانون ومازال هو إلغاء تلك القوانين، كما كان يجب

ان تكون تلك القضية جنائية، يلقى فيها القبض على الجناة ويعاملون كقتلة، لينالوا جزائهم بالقصاص والعدل لما إرتكبوه في حق الدين وحق الشعب الذي لازال يعاني من وطأتها ولا يمكن تحقيق أي عدالة وتلك القوانيين قائمة (لايستقيم الظل والعود أعوج).

قضية الأستاذ محمود ليست قضية بالمعنى المعروف في تاريخ القضاء ولا في الأعراف الإنسانية، فهي جريمة قتل وتصفية لأفكاره دبرت وحبكت من جماعة الأخوان المسلمين مع الطاغية نميري، والذي كان في حالة خوف من إنهيار نظامه، ولعله كان يعتقد ان نهاية النظام سوف ترتبط بنهاية حياته، فدبر تلك الجريمة (راجع وثائق القصر)، والجريمة تظهر في تأييده للحكم وفي اقوال محكمة الإستئناف، وفي اقوال قاضي محكمة الأستئناف فقد خرجا عن إطار المنشور وعن المادة المعروضة في المحكمة بغرض التصفية. فمهما كانت نتيجة الحكم فإن الموقف الذي وقفه الأستاذ فوق تصور الدستور والقانون المعروف.

ومن عجب، بعد مضي وقت من تنفيذ الحكم على الأستاذ أخذ بعض أعدائه والذين تآمروا على تصفيته الجسدية، يتبنون وينشرون أفكاره التي إغتالوه من أجلها والتي تقوم على تطوير التشريع الإسلامي(الدعوة بالإسماح وليس الجهاد بالسيف ، والإسلام ديمقراطي إشتراكي، ومساواة الرجال والنساء، ومساواة المسيحي بالمسلم)!! من غير فهم ولا تأسيس ولا تجربة تطبيقية في التصوف، وعلى رأس هؤلاء الشيخ حسن عبد الله الترابي زعيم جماعة الأخوان المسلمين في السودان حسن عبد الله الترابي، حيث أصدر مجموعة فتاوي في جملتها مسخ لأفكار الأستاذ محمود، منها على سبيل المثال الدعوة بالإسماح ومساوة

النساء بالرجال ـ إمامة المرأة ـ ومساواة المسيحي بالمسلم . . وقد ردت المؤلفة على تلك الفتاوي في جريدة الأيام في عددها رقم 8508 الصادرة بتاريخ 24 مايو 2006م أجتزي منها مايلي : (. . وبعد كل تلك السنوات وفكر الأستاذ محمود تتقد جزوته تحت الرماد جاء حسن الترابي ليشوه بعض تلك الأفكار ويخرجها من محتواها ويعرضها على الناس ، ثم ينكر تورطه في الجريمة . . وتواصل الكاتبة المقال في نقض إداعاءت الترابي في حقوق المرأة فتقول : (. . أما دفاعه عن حقوق المرأة فهو لايملك فكرًا يعرف للمرأة أقل قدر من الكرامة ، والتاريخ القريب يكشف ذلك فبعد منتصف السبعينات قدم جماعة الأخوان المسلمين حسن الترابي في ندوة في قاعة الإمتحانات بجامعة الخرطوم ووقف وقتها مدافعًا عن الشريعة وعن قوامة الرجال على النساء وقد ناقشته الأستاذة أسماء محمود في موضوع القوامة وكيف أنها مرحلية وأن الإسلام قد درج المرأة إلى أن يجئ وقت نضج البشرية لتصبح المرأة والرجل على السواء تحت القانون الدستوري ، فرد عليها حسن الترابي بقوله : (إن الإسلام فيه القوامة والما عايزة القوامة ما تتزوج) !! ؟ . . ويواصل مقال المؤلفة في الرد على الترابي : (. . وقد صدق الدكتور مختار عجوبة حين قال : (إن مشكلة الترابي مع محمود هي مشكلة نفسية وأن الترابي شارك في إغتيال محمود ليكون هو المجدد ، ومن يقارن بين أفكار الترابي التجديدية وأفكار محمود التجديدية ، يتضح له بجلاء أن الترابي ماهو إلا تلميذ غير وفي لأستاذه) . . وختمت المؤلفة مقالها بما يلي : (أخيرًا أين قضاة محاكم الشريعة الذين قالوا أن كل من أنكر ماعرف من الدين بالضرورة فهو كافر ومرتد ويقتل حدًا . نريد أن نسمع منهم وقد تلطخت أيديهم بدماء الأبرياء ، ألم يصدق فيهم قول سيد الشهداء أنهم غير مؤهلين فنيًا وضعفوا أخلاقيًا عن أن يمتنعوا عن أن تستغلهم السلطة التنفيذية لإضاعة الحقوق والتنكيل بالمعارضين السياسين ؟؟) د . بتول مختار محمد طه .

الخاتمة

تلك كانت لمحات مجيدة من حياة الأستاذ محمود، تلك الحياة العامرة المليئة بالإخلاص والحب لله، وللناس، عشت جزءًا كبيرًا منها معه، نشاطًا وحيوية فكرية. . أما الطرف الأخر منها فقرأته من كتاباته القديمة، وأخر أخذته من القصص، التي كان يقصها عليّ، وكنت أشعر بقوة صداها في نفسه. .

حياته كلها جد أقرب إلى الحزن، ومع ذلك له إبتسامة مشرقة، يبتسم حين يقابل كل إنسان، وتبرق عيناه بصورة تشعر ضيفه بحرارة الترحاب، مما يجعله فرحًا وسعيدًا بزيارته، يقرب كل إنسان منه، ويفتح له قلبه، حتى قام في بال كل فرد أن الأستاذ يوفر له الحب أكثر من الأخرين. فقد إستطاع أن ينشىء جنة من الحب في بال كل من إتبعه.

حياته حركة لاتعرف السكون، ولا الراحة، كأنه ينفذ برنامجًا مدروسًا ومعدًا، فمنذ طفولته حين كان طالبًا كان، يواصل الدراسة في فصل الشتاء والصيف، وعند بداية الخريف يبدأ العمل في الزراعة. . وحين دخل الحياة العملية، باشر العمل الهندسي في المصالح الحكومية ثم في الشركة الخاصة التي اسسها مع أحد زملائه، ثم العمل الفردي، ومع ذلك شارك في الحياة الأدبية، و يقوم بواجبه في رعاية الأسرة والأطفال. . إلى جانب تلك الإلتزامات عمل عملاً كبيرًا في المجال السياسي، المحاضرات، والندوات واللقاءات، وتأليف الكتب، والكتابة في الصحف اليومية. .

بعد أن ترك العمل الهندسي وجه كل جهده للعمل السياسي الفكري والديني، لبعث الإسلام من جديد، بصورة تواكب العصر، وتحل مشكلة الإنسان المعاصر، ثم أسس ورعى المجتمع الجمهوري، النموذج المصغر للمجتمع السوداني، والعالمي الذي يعيش ويجسد خلق الإسلام، وكان يشرف ويتابع هذه الحركة النشطة، في منزله، ومنازل الأخوان الجمهوريين حوله . . منزله لايهدأ من مقابلة الضيوف الجدد كل حين، بالهيئة التي ورد ذكرها في الصفحات السابقة . .

مهما إختلف الناس في تقييم الفكرة الجمهورية، فلن يختلفوا في قوة رأيه وقوة مواقفه، صدقه، وإخلاصه وشجاعته، وكرمه الذي لايخشى الفقر، فقد كان كل مافي يده ليس ملكه، يعطي إذا سئل، كل شيء، يعطي في الخفاء، ولا يعلن ذلك لأحد، لاينتظر أن يسأله المحتاج، في بلد ظل مليئًا بالفقر والعجز . . يسدد الثغرات لكل محتاج، من ملاحظاته الخاصة . .

أيضًا مهما إختلف الناس في تقييم فكره، فلن يختلفوا في قوة رأيه، وقوة مواقفه، في نصرة الضعفاء والمستضعفين (المرأة، والأطفال، وكبار السن، والفقراء)، فقد قال يومًا: (من رأى الحق يذبح ولم يفعل شيئًا، فسيجيء يوم يذبح فيه حقه أمام عينيه، ولايستطيع فعل شيء).

قدم خلاصة الفكر البشري، أوضح فيه أن جميع رسالات السماء، لها غرض واحد، هو إنجاب الفرد الحر حرية فردية مطلقة، الذي يفكر ويقول ويعمل، بإتساق تام بين فكره وقوله وعمله، يعامل الخلق والخالق بصدق ونقاء . . الرجل الحر هو الذى يعرف هدفه في الحياة، ويسعى لتحقيق ذلك

الهدف، وقد رسم الأستاذ ذلك الهدف وأكمل دوره فقد قال: (كل إنسان إذا عرف دوره في الحياة، يتحرك مثل بطل الفيلم الذي يعرف دوره ولايتردد)، وقد عرف الأستاذ محمود دوره في الحياة وأداه بعزم وتصميم. .

وبهذا الموقف في الإصرار ومواجهة الموت، خط الأستاذ طريقًا لكرامة الفكر لم يُعرف من قبل في تاريخ النضال الفكري أمام الطغاة، وفتح به طريقًا جديدًا للخلود. . أحبه الكثيرون وتعلقوا به، هجروا كل شيء، من أجل القرب منه، حتى أصبح كل حياتهم، وهؤلاء أعطاهم الأمن، والعلم، والمعرفة، ووجدوا في كنفه كل ما فات غيرهم في الحياة. . وقد عاشوا الحياة معه لايعرفون التعب، ولا الخوف، ولا الملل، ولايشعرون بمرور السنوات.

أما نحن في الأسرة عشنا جميعًا حوله، وتنافسنا على حبه، والقرب منه، وطاعته في توصيل الخير للناس، وتجويد تقليد طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة قيام الثلث الأخيرِ من الليل، وكنا نطرب لعبارة يرددها كثيرًا (كونوا في الرب طماعي) هذه العبارة كانت تحفزنا لتجويد العبادة، وحب الخير. وبعد رحيله، نزلنا جميعًا من ذلك العالم عالي الروحانية إلى عالم البشر، وكأننا إستيقظنا من حلم جميل، فهبطنا من الجنان إلى أرض الناس. . كان الاستاذ شجرة وارفه ممتدة الظلال عاش الكل تحت ظلالها مغمورين بوده وحبه حتى ظنوا ان هذا الكون جنه ولم يستيقظوا الا على غرقعة سيوف الظلم والطغيان فى صبيحة 18 يناير 1985م.

بنفس القدر الذي أحبه به البعض، عقه الكثيرون، وإبتعدوا عنه، ثـم لم يثنه ذلك عن عمل الخير . . جهله وعاداه الكثيرون، حاربوا فكره، جافوا في ذلك كل عرف وخلق ودين، قاوموه بالتآمر، والتلفيق، والكذب، والتـشويه المخـل المتعمد لأفكاره، من غير ورع ولاخُلقُ، ومع ذلك لم يأبه بأولئـك ولا هـؤلاء، تحرر من عقدة الحب والكراهية، لذلك لم يثنه الحب، ولا الـبغض عـن هدفـه، فمضى إليه بثبات تام، وقد ودع هذا الجانب من الوجود بإبتسامة مـشرفة، سمـا فيها بفكره. وختم العار على سكان المعمورة، الذين لا يعرفون كرامة الفكر . .

الملاحق

بعض المقالات التى كتبت عن الأستاذ بعد تنفيذ الحكم:ـ

السجون وسجناء الضمير، بقلم د.بتول مختار محمد طه

هذا المقال بعنوان ـ السجون وسجناء الضمير ـ كتبته المؤلفة ونشرت أجزاء منه في سودانيز اون لاين وهو يشرح حال السجن ووضع الأستاذ محمود فيه، نورد النص الكامل أدناه :

(أرجو أن يكون مقالي هذا معينًا، حتى نعيد تقييم مؤسسة هامة، يفترض أن يراعي فيها التوازن المطلوب بين عدم إهدار حقوق الإنسان، وبين مهمتها كمؤسسة عقابية الغرض منها إصلاح الأفراد، حتي يسهموا إيجابيًا في المجتمع، لدى خروجهم منها. ولكن السجون في العهد الماضي، إستغلها ضعاف النفوس فاضاعوا الحقوق وتلاعبوا بكرامة الإنسان بل بحياته، ففي ذهني تجربة غريبة على شرف هذه المهنة، وعلى الخلق السوداني، سأوردها في السطور التالية، حتى أصور بعض الحالة التي عانى منها الشرفاء، والأبرياء المظاليم، الذين زج بهم في غياهب السجون من غير ذنب جنوه، إبان عهد الإستبداد والطغيان، والذي سبح بحمده الكثيرون في إدارة السجون، وأعانوه على الشرفاء وعلى الضعفاء. . ولم يجدوا المحاسبة عن دورهم هذا لأن هذا الشعب يبالغ في النسيان والتسامح.

المعاملة في السجن:ـ

كانت هذه التجربة إبان فترة إعتقال الأستاذ محمود محمد طه وما تبعه من أحداث محزنة وسوداء في تاريخ السودان. . . وبعد المؤامرة السياسية لإغتيال

الأستاذ محمود، وبعد أن تلي المهلاوي ذلك الحكم الجاهل، الذي إستلمه من القصر- كما ظهر مؤخراً من أوراق المحامي عبد الوهاب (بوب)، خرج الأستاذ محمود إلى كوبر من قاعة المحكمة شامخ الرأس، بعد أن وضعها ذلك الموضع اللائق بها، من الذلة والمهانة، من حيث عدم دستوريتها، وعدم كفاءة قاضيها من الناحية الفنية والأخلاقية.

لحقت به في عصر نفس اليوم أحمل وجبة الغداء، وكان الدخول مهمة شاقة، فقد تدافع نحوي الحراس، بقسوة وغلظة غريبين، ولم يخرجني من ثورتهم سواء طلبي لمقابلة ملازم كان يعمل في سجن إمدرمان، أثناء فترة إعتقالي عام 1983م، وعند حضوره أخذ مني الطعام وإعتذر عن إمكانية مقابلتي للأستاذ، فقد عرفت منه عرضًا أن الأستاذ كان في مكتب المدير قبل دقائق، والذي طلب منه أن يكتب استرحامًا لرئيس الجمهورية، الأمر الذي رفضه الأستاذ بشدة.

إنصرفت في ذلك اليوم بعد أن أخذت وعدًا بالزيارة في صباح الغد، وعدت في اليوم التالي الأربعاء 9/ 1/ 1985م، ومعي وجبة الإفطار فحولني ضابط الأمس إلى آخر برتبة مقدم، وبعد معرفة غرضي أخذ يحدثني عن إستحالة المقابلة، ولكن في أثناء تلك اللحظات دخل أحد الجمهوريين، وكان قد زامله في مرحلة من مراحل الدراسة، فتبدل وجهه وإنطلقت أساريره، ودعى الأستاذ في مكتبه للزيارة. . وفي ذلك اليوم طلبت من المقدم أن أحضر للأستاذ غطاء، وهو عبارة عن فردة الدمور، التي إعتاد إستعمالها، وذلك لكثرة لسع الناموس، الذي ظهر على جسمه، رفع المقدم هذا الأمر إلى مدير السجن، الذي رفضه رفضًا باتًا، فعاد المقدم معتذرًا لرفض الطلب، علمت أيضا أنهم يرقدون على بروش على

الأرض، فأخذت إذنًا بإحضار خمسة (ألحفة)، وقد فرشها لهم المقدم، فتنفست الصعداء ولكن سرعان ماتبددت راحتي، فقد أتى المدير ونزعها منهم، ولا أدري حتى الأن إن كانت بمخزن السجن أم لا؟!

طلب الأستاذ محمود سراويل أطول من التي كانوا يرتدونها، والتي كانت في تقديرهم قصيرة، وغير لائقة، كما أنها قد بدت ظاهرة الإتساخ، فوافق المقدم على أن تكون من الدمورية، ولكن تحت إلحاحي وافق أن تكون من الدبلان. . جهزت عشرة منها وصلهم نصفها، أما البقية فلا آحد يدري!!.

بعد أيام طلب الأستاذ ماكينة حلاقة، رفض المدير هذا الطلب، متزرعًا بقرار منع دخول الأدوات الحادة للمحكوم بالإعدام، للإعتقاد أنه قد يؤذي بها نفسه، وأضاف ممتنا (أننا قد سمحنا لكم بلباسات بها تكة)، مع إنها ممنوعة، إذ يخشى على المحكوم عليه بالإعدام أن يشنق نفسه بها قال له الأستاذ: (ولكن نحن هل يخشى علينا من مثل هذا السلوك ؟)، رد المدير السابق بأن هذه أوامر السجن، يقول قوله هذا متجاهلاً الفرق الكبير بين رجل محكوم عليه بالإعدام في منشور، ويعلم مصيره ويرفض أن يتنازل أو يسترحم، وبين أي مجرم يهاب الموت، أو قد يشنق نفسه في لحظة إضطراب نفسي.

كان الأستاذ يواصل علاجًا للأسنان، منذ إعتقاله الطويل بجهاز أمن الدولة، وقد أوصى الطبيب بتجهيز صورة أشعة لإحدى الأسنان. . رفضت إدارة السجن السماح له بالذهاب للمستشفى العسكري، بحجة أنه محكوم عليه بالإعدام، وقد أشار طبيب السجن إلى أحد مرضى الأمراض الصدرية، محكوم

عليه بالإعدام، والذي كان موجوداً بعيادة السجن حينها، ويعاني من نوبة ضيق تنفس حادة قال لي: (أنظري لهذا السجين يحتاج لصورة ولكننا لن نخرجه، لأنه محكوم عليه بالإعدام "الرجل المريض قاتل"، يعني كأنه يقول: (الأستاذ دا مافي داعي لعلاجه لأنه سيعدم)!!

كنت يوميًا عندما أحضر وجبة الطعام للأستاذ والأخوان معه، ألاقي عنتًا شديداً مع الحراس لأتمكن من إدخالها بالعربة، شرحت هذا الموقف لإدارة السجن، فكتب لي المقدم ورقة لإدخال العربة، ومع ذلك كان علي أن أعرض تلك الورقة على حرس الباب، كل صباح فيأمرني بغلظة بالإبتعاد عن الباب، حتى يعرض الورقة على الإدارة.. وبعد الموافقة يعيد إلي الورقة، لأدخل بالطعام وأضعه في مكتب الملازم وأنصرف!!

ظلت إدارة السجن تعامل الأستاذ كمجرم ينتظر عقوبة الإعدام... وكانت تمانع في الزيارة، وتتابع الزوار، وتكثر من مضايقتهم، وإخراجهم في يوم زيارة منتظري الإعدام حسب اللائحة (السبت، الاثنين، الخميس).. فكنا ندخل للزيارة بصعوبة شديدة، وفي أحد الأيام وبينما كان الأستاذ يخرج من الباب القصير الضيق في طريقه لصالة الزيارة، إعترض طريقه العقيد محي الدين، محتجًا على الزوار بقوله: (ناسكم كتار يا أستاذ ودي مظاهرة سياسية)، وإستغرب الأستاذ لهذا الأمر ورد بإيجاز: (ناسنا حقو إنتو تقدروا ظروفهم).. هذا مع أن سلطات السجن كانت قد فتحت الباب للزيارة، ولكن عبارة (مظاهرة سياسية) تلك دساها، لأنه كان ينوي أن يضعها في تقريره لجهاز الأمن حتى يمنعوا الزيارة وقد فعل.. فقد تناقل رجال الأمن عبارته (أن الجمهوريين ذهبوا للأستاذ

في مظاهر سياسية)، ومن تلك الزيارة الأثنين 14/ 1/ 1985م، منعت زيارة الأستاذ، ولم يقابل أحدًا حتى تنفيذ الحكم عليه.

كان يوم الثلاثاء 15/ 1/ 1985م، يومًا غريبًا إنقلب السجن رأسا على عقب، فبمجرد وقوفي أمام الباب، قوبلت بعاصفة من الهياج وإنتهرني الحارس، طالبًا أن أرجع بالعربة إلى أبعد مكان.. ووقفت بعيدًا حائرة لا أدري ماذا أفعل ومعي الطعام وهاجس في نفسي بأن في الأمر شيئًا.. إنتزع الحارس ورقة الدخول من يدي عندما قدمتها له ودخل المباني وعاد من دونها، ليقول لي (قالوا ليك أدينا الأكل وأمشي).. أخذ الأكل لكنني ظللت واقفة، في حر الشمس لعلي ألتقط بعض الأخبار، أو يعود الحارس بجديد (في هذا اليوم عرفت الدوائر القريبة، أن نميري قد أيد حكم الإعدام).. لم يجد إنتظاري شيئا إذ إختفى ذلك الحارس وجاء آخر إنتهرني بشدة أن أبتعد فرأيت أن لاطائل من وراء ذلك، طلبت مقابلة المدير لأستفسر عن ما يحدث فرفض طلبي، أخيرًا فكرت أن أذهب مع أحد الأخوان الجمهوريين الذين تربطهم صلة فرابة بالمدير، لمقابلته في منزله، لعلنا نصل لإسلوب مناسب في التعامل، وبالفعل وصلنا منزله حوالي الساعة الرابعة والنصف عصرا، فقابلنا بترحاب وهدوء، فشرحنا له الموقف فإستنكر سلوك الحارس.. وقال (الأستاذ طبعًا رجل سياسي، وهذه مسألة عادية وستنتهي)، ووعد بإعطائي كرتاً للدخول في صباح الغد.. حضرت في صباح اليوم التالي على حسب وعده، فإذا بالحراس أكثر سوءًا من الأمس، فطلبت مقابلة المدير، بعد أن قدمت البطاقة التي أعطاني لها.. وكانت دهشتي عظيمة، عندما وجدت مدير الأمس متغيراً، وكررت بأن طعام الأستاذ يتنظر في العربة خارج السجن..

عندها إستدعى الملازم المسئول عن الإدارة، والذي وقف محييًا بطريقة مسرحية، فأمره بأن يكتب إذناً بإدخال الطعام. كنت أنتظر في مكتب الملازم فأمرني بالخروج والإنتظار خارج مكتبه ثم جهز لي ورقة عليها إمضاءه تقول(يسمح لها بإدخال الطعام يوميًا مرة واحدة فقط).

صاح الملازم من ورائي للحارس (تدخل الطعام فقط من غير عربة) قلت: (كيف) فرد (ما عارف)، عندها رجعت للمدير، وأخبرته بما حدث، وسألته ماذا تعني ورقته لي؟ قال لم أكتبها أنا، قلت ولكن كتبت بتوجيهك، فقال محتدًا إنتي عايزة تتكلمي كلام فارغ؟، قلت هذا مجرد سؤال ثم أين الكلام الفارغ في حديثي، هنا سألني: (إنتي حسه دخلتي كيف؟) قلت: (هذا سؤال جاء متأخرا، لماذا لم تسألني منذ البداية، وإذا ما رجعت ثاني هل كان موضوع دخولي سيظل غير مهم)، عندها قفز إلى موضوع آخر قال: (بالمناسبة كلمي جماعتكم مايتعبوا بكرة زيارة مافي) قلت لماذا؟ قال: (تعليمات)، لم يغير صيغة الورقة، فتركته بعد أن شعرت بعدم جدوى الحديث معه... لحق بي بعض المساجين عند الباب، وأخذوا الطعام..

أصبح من الضروري أن نصل إلى الجهة التي أصدرت تلك التعليمات، لعلنا نصل إلى إلغاء هذا القرار الجائر، ونجلي الغموض الذي خيم على الموقف، فنحن لانعرف إذا كان الأستاذ موجودًا في السجن أم لا..

لم يكن أمامنا غير مقابلة مدير عام السجون، فإتجهت ومعي أحد الأخوان القانونين في صباح الخميس 17/ 1/ 1985م، محاولين مقابلته، ظللنا قرابة

الثلاث ساعات نتجول بمكاتب اللواءات، الذين تهربوا منا جميعًا، بعد أن عرفوا غرضنا من طلب مقابلة مدير السجون . . شعرنا بأن هناك حركة إجتماع وهمس، لم يسعف اللواءات ذكائهم في إخفاء أن هناك أمراً قريباً يخصنا، مؤخراً عرفنا أن ذلك الأمر كان الإعداد لتنفيذ حكم الإعدام في اليوم التالي.

تحت إصرارنا على المقابلة، وحوالي الساعة الثانية والنصف ظهراً، تمكنا من مقابلة مدير السجون . . وسأكتفي هنا بإيراد أهم أجزاء المقابلة كما هي، حتى يحكم الشعب السوداني على هذا النموذج، إبتدرناه بأننا جئنا بخصوص الأستاذ محمود محمد طه، المعتقل حاليًا بسجن كوبر، فقال غاضباً (مالو مالو؟!) فقلت له أن زيارته منعت، وهو كما تعلم محكوم عليه بالاعدام، ومنع الزيارة في هذه الحالة أمر غريب . . فقال (الزيارة في كوبر هذه الأيام ممنوعة)، قلت له أخبرنا مدير سجن كوبر أن زيارة الأستاذ محمود، وحده التي منعت، قال (كل السجناء) وأخذ هذا الموضوع فترة جدل بيني وبينه، فغير حديثه فجأة وقال: (كل محكوم بالإعدام زيارته ممنوعة). قلت له كيف تمنع زيارة محكوم بالإعدام، وهو أولي الناس بالزيارة، أكثر من هذا فإن له حق إنساني، بالإضافة إلى ذلك، هنالك لافتة بالبوابة الشرقية للسجن تقول (زيارة محكومي الإعدام السبت، الأثنين، الخميس)، قال لاتوجد أي لافتة بهذا المعني قلت: لوكان في متسع من الوقت لأحضرتها لك . . وأردفت: على أي حال نحن لانفهم سبباً لمنع الزيارة، ونعتقد أن هذه تصفية سياسية، وليست عملاً قضائياً ولا إدارياً، ونحن نريد أن نعرف الجهة التي أوقفت الزيارة قال: (إن الزيارة تمنع لأسباب صحية، أو أسباب أمنية أو لظهور وباء) قلت له: قد تكون أسمعتنا اللائحة ولكن ما الذي حدث الأن، وبالتحديد حتى تمنع زيارة الأستاذ، هل وقع وباء مثلاً؟ قال مابوريكم وما من

حقكم تعرفوا!!، عند هذا الحد من الحديث، رأيت أن أعطى الفرصة للأخ القانوني المرافق، ليتكلم فقد كنت محتدة بعض الشئ، وقد يكون هذا سبب هياج المدير. . قال الأخ الجمهوري أنا قانوني وسياسي، وأريد أن أعرف سبب منع الزيارة؟ إن كانت أسباب إدارية فقد بدأنا معكم من سجن كوبر، وأن كانت هناك أسباب سياسية' فأنا أستطيع أن أعالج هذا الموضوع، بوصفي سياسي. فرد عليه المدير وبنفس الحدة (ما بوريكم إنتو ليه مصرين تعرفوا، ما من حقكم تطالبوني). فإلتفت إلى الأخ الجمهوري، وقال أحسن نكتفي بهذا القدر، وإنصرفنا بغرض التنظيم لإصدار منشور نوضح فيه الأمر للشعب، ولكنى أُعتقلت بمجرد وصولي للمنزل. .

مدير سجون.. أم أمير مؤمنين:؟!

بعد إذاعة بيان نميري بتأييد الحكم، أذيع بيان من مدير السجون يعلن فيه ساعة تنفيذ الحكم فدهشت لمدى إلتواء الرجل، فقد كان يخادعنا في المقابلة ويبيت أمراً. .

هذا ماجرى للأستاذ محمود الرجل المناضل، الشريف، من المسئولين في سجن كوبر، إذ إستهوتهم السلطة الفاجرة، وأذلهم سلطان إمامهم الجائر فإختاروا لأنفسهم مواقف الخزي والعار. . وفي يوم تنفيذ حكم الإعدام، وقف مدير المؤسسة، والذي طالبت الجماهير، بفتح ملف سجونه، كما جاء في جريدة الصحافة 13/ 5/ 1985م، وقف ليقرأ على سيد الشهداء وزعيم الزهاد، آيات وأحاديث عن قتل المرتد (جريدة الأيام العدد رقم 460 ـ 11 السنة 32 بتاريخ 19/ 1/ 1985م الموافق السبت 27 ربيع الثاني 1405هـ).

مدير السجون هو أيضًا مسئول عن إغتيال الإستاذ محمود:-

تم تنفيذ حكم الإعدام على الأستاذ محمود، تحت إعداد وإدارة مدير السجون، وعمر الأستاذ (76 عامًا)، والمادة من قانون الإجراءات الجنائية لعام 1983، تنص على: (لايجوز تنفيذ عقوبة الإعدام على من جاوز السبعين من عمره، إذا تبين لمدير السجون أن المحكوم عليه قد بلغ السبعين قبل تاريخ تنفيذ العقوبة فيجب عليه وقف التنفيذ وإبلاغ ذلك إلى رئيس المحكمة العليا)، بهذا يكون مدير السجون قد خرج على مهنته الأساسية في تطبيق القانون، والحفاظ على أرواح المواطنين، وماذاك إلا إرضاء للسلطة السياسية.. فقد أذلتهم وحرمتهم من مواقف الرجال الأحرار.. لكن لاضير (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) إنتهى.

بتول مختار محمد طه الدراسات العليا – جامعة الخرطوم).

إنتهى المقال.

مقال بقلم هنري كودري مجلة "جون آفريك" JEUNE AFRIQUE
بتاريخ 22 مايو 1985م

هذا المقال كتبه السيد هنري كودري، وهو معلم للغة الإنجليزية، كان يعمل وقتها في أبيدجان (ساحل العاج)، وقد كان قبلها يعمل في تشاد، وقد زار السودان في الأعوام 1973ـ 1974، إذ كان متفرغًا لكتابة بحث حول التيارات الدينية في السودان، وبهذه الصفة كان يزور الأستاذ محمود كثيرًا في منزله. . تأثر كثيرًا بحياة الأستاذ محمود العميقة، المتواضعة، وقد هزه حادث الإغتيال، فكتب في مجلة جون آفرك العدد 1256 بتاريخ 22 مايو 1985، مقالاً يتحدث فيه عن محمود كما عرفه (وأسماه غاندي السودان).

فيما يلي نصه:

"محمود طـه كما عرفته"

إن أول مايسترعي الإنتباه في شخصه، هو ذلك الجمع، بين ألطف صور التواضع، وبين قوة لاتلين. . يرتدي ببساطه شديدة لباسا قطنيا أبيضًا مألوفاً، ويلبس فوق سرواله الخفيف، المتدلي على الساقين، قميصاً يصل إلى ركبتيه، ويترك الساعدين مكشوفين. . حليق الرأس، وتغطيه الطاقية الإسلامية المعروفة. . حينما يغادر مكتبه، يلتف بثوب قطني خفيف ينحدر من الكتف الأيسر، إلى الفخذ الأيمن، تاركا الصفحة اليمنى مكشوفة، ومارًا على الكتف الأيسر ثانية، ثم الرقبة، ليتدلى على الصدر بذيل غليظ. .

ثيابه الخفيفة تكشف عن جسم قوي ذي أطراف عاضلة، قصير القامة، متين البنية، يعطي إنطباعاً نادراً من الحيوية بقبضة يده القوية لدى المصافحة، ونظرته الثابته التي يخفف من حدتها إبتسامة بشوشه تنير الوجه كل حين.

هيئته التي تتسم بالهدوء والإطمئنان، تخفي إستعداداً دائماً للحركة والنشاط. كان الأستاذ يجود بنفسه في منتهى البساطة. أثناء الوجبات (كان) يحرص على ألا ينقص شئ أمام أحد، يوزع الصحون، ويسكب الماء بنفسه لغسل أيدي ضيوفه.. وأثناء الإجتماعات يتخذ مكاناً في مدخل القاعة، على مقعد لايتميز عن المقاعد الأخرى، ويهتم بأن ينقل كرسيًا أو وسادة ليقدمها إلى المتأخرين في الوصول لحضور الاجتماع..

كان أبعد من أن يلعب دور راهب بوذي، فيستأثر بالكلام، لايتدخل في الإجتماعات العامة، إلا ليوجه المنافشات في الخط الصحيح للنقاش، ويشجع على الحوار والتباحث. هو مرشد وليس عقائديًا، رجل عمل وليس منظراً. تلاميذه وأصدقاؤه يدعونه "الأستاذ" وهو لقب ترجمته الحرفية التي تعني "المعلم" تحمل المفاهيم المركبة من الإحترام الودي ومقتضيات العلمانية.

لم يكن "محمود محمد طه" قد خرج من طبقة رجال الدين.. هو مهندس في الري كان على أثر إعتقاله لمدة عامين بسبب معارضتة للإنجليز قد بدأ عملاً في الإصلاح الديني والإجتماعي منذ بداية الخمسينات.

ماركس وأنجلز كالغزالي:-

مدرسته الدينية والقانونية الوحيدة، كانت تلك الفترة الطويلة من الإعتكاف التي عرف كيف يستغلها، لينقطع إلى التفكير والتأمل الصوفي.

أساتذته لم يلتق بهم في أي مؤسسة رسمية، وإنما إلتحق بمدرستهم كرجل عصامي، وفي بحث فردي حثيث عن أسلوب جديد. على الصعيد الصوفي تأمل طويلاً في القرأن، وعكف على الممارسة الصوفية("صلاة الثلث الأخير من الليل"، وهي عزيزة على كبار الصوفية المسلمين، وقد غدت واحدة من الممارسات المفضلة لتلاميذه).

وعلى الصعيد الفكري وجه أبحاثه في إتجاهين: دراسة كبار المفكرين في الإسلام، الأكثر منهم تقليدية كالغزالي، أو الأكثر تجديداً مثل إبن عربي، مروراً بأكثرهم سموقاً كالحلاج، ذي الأثر المحسوس، في فكرة الصلاة، والصيام، والحج، عند "محمود محمد طه". أيضاً دراسة التيارات الفلسفية المعاصرة دراسة كافية. للرجوع حتى لأعمال كبار الفلاسفة("رأيت في أحد الأيام"، على طاولة عمله ترجمة إنجليزية لكتاب "بؤس الفلسفة" لكارل ماركس، وكذلك كتاب "دايلكتيك الطبيعة" لفردريك إنجلز).

على الصعيد الإجتماعي تفرغ "محمود محمد طه" لإعداد أتباعه، جاعلاً منهم مجتمعاً مهيئًا، ليكون مكاناً لإنبثاق نظام إجتماعي جديد، كما أنه لم يترفع عن النزول إلى حلبة السياسة، فأسس حزبًا يدعى "الحزب الجمهوري" هذا الأسم الذي ظل مرتبطًا بأتباعه حتى بعد حل الحزب.

كان جم النشاط، ألف حوالي 38 كتابًا وكتيبًا صغيرًا. . وهذه ليست قائمة كاملة لأنها تتوقف عند شهر سبتمبر 1979م، تاريخ مروري الأخير بالخرطوم. منها كتب محترمة، مطبوعة، تتجاوز المئتي صفحة. . ومنها منشورات

مستنسخة تتراوح بين ثلاثين واربعين صفحة، وهذه بمثابة عروض متتابعة لفكـره أو منشورات تتناول الأحداث المتجددة.

وهذا بصورة موجزة، نظام "محمود محمد طه" الذي نجده معروضا في كتاب "الرسالة الثانية من الاسـلام"، وهـو كتـاب مـن 166 صـفحة، صـدر في عـام 1967م، وطبع عدة مرات منذ ذلك الحين.

رسائل الإسلام:ـ

إن الدين أساساً واحد وهذه الوحدة إنبثقـت عـن الآصـل الإلهـي للكـون وللإنسان. ولكن الإنسان بسبب إستعماله السيئ لحريته، قد وقع في جهـل منعـه عن مشاهدة الآصل الإلهي لوجوده وللكون. ومنذ ذلـك الوقـت، فـإن الأديـان المختلفة التي تعاقبت على وجه الأرض كانت مراحل لإسترداد هذه المعرفة، وهذه الحرية الأساسية من الجهل، ومن الخوف والعنف.

فالإسلام هو المرحلة الأخيرة من هذا الإسترداد. ولكن ليس بالشكل الذي ظل معاشًا حتى أيامنا هذه، والذي لم يكن غير "الرسالة الأولى من الإسلام".

إن الإسلام الحقيقي والأخير، هو "الرسالة الثانية" التي دعا إليها "محمد" في مكة، والتي كانت قد نسخت مؤقتًا بتعاليم المدينة. ففي الواقـع، عنـدما بـدأ "محمد" في نشر رسالته، فقد دعا إلى الدين الكامل، الذي يرتكز على مسئولية، وعقل أعضائه، ويدعو إلى حريتهم. ولكنه إضطر بعد الهجرة من مكة إلى المدينة، ولأسباب تعليمية، أن ينزل إلى مستوى تخلف النمو الثقـافي، والـديني، في ذلـك

العصر . فدعا من ثم إلى دين يدعو إلى الإيمان أكثر منه إلى العلم ، وإلى قانون يقوم على الإكراه ، أكثر من الإدراك المسئول .

لقد ظل المسلمون يعيشون في مستوى هذه الرسالة الأولي حتى الآن . ولكن منذ اليوم ، ونظراً للتقدم الذي حققته الإنسانية ، فقد حان الوقت للإنتقال للرسالة الثانية . وينبغي الآن الإنتقال من القانون الأول (الشريعة) التي قامت في المدينة على "فروع الدين" ، من أجل إقرار القانون الثاني الذي يتوافق مع الإسلام الكامل ، ويستلهم "أصول الدين" تلك التي غرسها "محمد" في مكة .

من هنا تأتي محاولة بعض المفكرين المسلمين ، ومن بينهم "محمود محمد طه" إيجاد إسلام أكثر "نقاءً" وأكثر "تديناً" وأعلى من الإسلام الذي كان "أكثر سياسة" في المدينة .

وهكذا في التشريع الجديد ، ليس هناك جهاد ، ولارق ، ولا رأسمالية ، ولا عدم مساواة بين الرجل والمرأة ، ولاتعدد في الزوجات ، ولا طلاق ، ولا لبس حجاب ، ولا فصل بين الجنسين (هذه هي تقريبًا عناوين الفصل المتعلق بالتشريع ، في الرسالة الثانية من الإسلام) . إذن بينما كان الإسلام في بداياته ، أقرب لليهودية في تشديدها(العين بالعين ، والسن بالسن) فأنه في هذا الوقت يكون أقرب إلى الروحانية المسيحية "من صفعك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) ، بيد أنه يضيف إلى المسيحية عقلانية كبرى ، حيث يهتم ، على العكس منها ، بالأوضاع الواقعية ، الأخلاقية والإجتماعية ، والتي هي بمثابة سلم يساعده ، هو وحده ، للوصول إلى قمة الحرية والحب الكاملين .

هـذه العقلانيـة في الإسـلام، في رسـالته الثانيـة، تبـدوا أخـيراً في التنظـيم الإجتماعي الذي تقيمـه. فـالمجتمع الإسـلامي الـصحيح يوحـد في آن معًـا بـين الإشتراكية والديمقراطية. الإشتراكية لأنه يكفي الحاجـات المادية للجميـع، وفي المساواة. والديمقراطية، لأنه يتيح الحرية لكل فرد، أن يسلك كما يريـد وفقًـا لمـا تمليه عليه مسئوليته.

مهدويون مع محمود:ـ

وبسبب موقفه الرافض للشريعة، ودعوته لتـشريع جديـد، فـإن "محمـود محمد طه" قد حكمت عليه في عام 1968 م، محكمة دينية بأنه مرتد، ولكـن هـذ الحكم لم يخرجه من المجتمع. ولقد تسنى لي مشاهدة البرهان على ذلك أكثر من مرة، لاسيما أثناء عقد زواج بين أثنين من تلاميذه، حسب مراسيم وضعها هو. فمع أن غالبية المدعوين إلى حفلة الزفاف كانوا من المسلمين التقليديين، فـإني لم ألحظ علامة معارضة من جانب هؤلاء، كما أن الإحتفال قد تميز بخطبـة تناولـت العلاقات بين الرجل والمرأة، في الرسالة الثانية من الإسلام.

حتى وإن كانت غالبية المسلمين السودانيين تنظر إليه كمبتدع، فإن هنالـك أكثر من واحد، وليس من الذين، لايخشى إعلان ميوله إلى أفكار "محمـود محمـد طه" مثل حفيدة خليفة المهدي التى (شهدتها) تعبر علانية عن إنتمائهـا إلى أفكـار الأستاذ "محمود محمد طه" في حضور أسرتها المجتمعة، وهي من القطاع التقليدي في حزب الأنصار، دون أن تجد الأسرة ما تقوله في هذا الصدد ـ اسـم الأنـصار في السودان يطلق على الذين ساندوا المهدي، في نهاية القرن التاسـع عـشر، وعلـى الذين إنحدروا منهم ـ وعبارة أخرى هؤلاء هم المهدويون.

في بيت الأخوان:

ولكن بصورة أكثر مودة من دائرة هؤلاء المتعاطفين، قل تعاطفهم أو كثر، هناك دائرة التلاميذ التي خارجها لايمكن التقدير الحقيقي لخصوبة منهجه وعمله الاصلاحي. هؤلاء التلاميذ يمثلون الذرية الروحية لهذا الرجل، الذي كان قبل كل شئ ملهمًا ومرشداً.

هؤلاء "الأخوان" و"الأخوات" كما يسمون أنفسهم، هم من بصفة عامة قد جاءوا من أوساط على درجة كافية من الثقافة، وينتشرون بوجه خاص بين الجامعيين والموظفين وإنتماؤهم إلى الحركة، يتطلب جهداً مزدوجًا من التحول الفردي وحياة النضال في المجتمع. بعض هؤلاء الرجال وهؤلاء النساء، يعيشون قبل زواجهم فترة خلوة (عامًا أو عامين وأحيانًا أكثر) في منزل من "منازل الأخوان". في سنة 1973 كان يوجد ثلاثة من هذه المنازل في الخرطوم، وكذلك في ثلاثة مدن أخرى في السودان، حيث يعيش الرجال والنساء وقتًا من "التبتل"، وذلك يعني الإنقطاع عن العالم، والتفرغ لله، ويتضمن بصورة خاصة العفة الجنسية. ويسكنون في منازل منفصلة ولكنها على مقربة من بعضها للأخر لتيسير اللقاءات.

مخلص حتى النهاية:

في وسط هذه المجموعات يتدرب الأفراد على معيشة قيم "الرسالة الثانية من الإسلام" بأداء الصلاة الفردية والجماعية، وخاصة في "الثلث الأخير من الليل" كعادة الصوفية وأصحاب الطرق، وبإقتسام ما يمتلكون، يدفع جزء من مرتباتهم لسد إحتياجات الجماعة. ويتدرب الإفراد على معيشة تلك القيم بالعمل

الإجتماعي، في مجال التوعية، مثل تنظيم إجتماعات للفكر والمناقشات وتوزيع مؤلفات الأستاذ، "محمود"، في الطرقات، ولقد شرح لي ذات مرة وظيفة هذه المنازل فقال: " إنها عن طريق التبتل تمكن من ترقية المجتمع بشكل لولبي متصاعد ويأخذ في الإتساع، حيث يمارس الفرد العبادة خلال الليل، ويمارس العمل الإجتماعي خلال النهار. وهذا هو المكان المثالي لإعداد مجتمع جديد".

هكذا كان "محمود محمد طه"، صادقاً مع نفسه، فكان قد ملك من الكرامة والشجاعة ليبقى مخلصًا لإلتزاماته حتى النهاية. في لحظة تقديمه للإعدام.. صليت من أجله. فمحمود أخ المصلوب أخي!.

هنري كودري) إنتهى.

المدن والقرى التي طاف عليها الأستاذ بنفسه محاضراً ومبيناً المنهاج لبعث الإسلام من جديد:-

مركز نشاطه الاساسى كان أمدرمان، الخرطوم، والخرطوم بحرى، في إطار هذه المدن حاضر فى توتي، ابروف، حي العمدة، ودرملي، وادي سيدنا، الجيلي، العيلفون، الحاج يوسف، عد حسين، كما طاف على المدن التالية:-

مدني، رفاعة، الحصاحيصا، الهلالية، المندرة، المسلمية، حنتوب، ود المجذوب، الشيخ الطيب، أربجي، خورطقت، أب حراز، المدينة عرب، الحاج عبد الله، سنار التقاطع، سنار المدينة، سنجة، الرصيرص، الدمازين، السوكي، القضارف، حلفا الجديدة، الشوك، الحواتة، خشم القربة، كسلا، جبيت، هيا، سواكن، سنكات، طوكر، بورتسوان، شندي، الدامر،

عطبرة، بربر، الباوقة، العبيدبه، كوستي، تندلتي، ربك، كنانة، الرنك، الرهد، أم روابه، ودعشانه، الدويم، القطينة، الكوة، الأبيض، رشاد، أبوجبيهه، كلوقي، تلودي، الدلنج، العباسية تقلي، كادقلي. وقد ارسل وفدًا كبيرًا إلى الشمالية تبعته وفود أخرى من الجمهوريين، وقد كان النشاط في هذه المدن يشمل الجامعات والمدارس الثانوية العليا والأندية الثقافية والرياضية والعمالية، وكذلك الندوات في منازل الأصدقاء، وكان يحدثني ان له رغبة اكيدة في القيام على رأس وفد إلى اقصى شمال السودان إلى دنقلا، ولكن إنشغاله بنشر الدعوة في أواسط السودان والمدن الكبيرة وتتابع الأحداث حال دون ذلك .

المحاضرات التي قدمها الأستاذ:

قدم العديد من المحاضرات تحت العناوين التالية :ـ

1) الرسالة الثانية من الإسلام
2) رسالة الصلاة
3) لا إله إلا الله
4) الثورة الثقافية
5) ثورة أكتوبر
6) تطوير شريعة الأحوال الشخصية
7) الإسلام والفنون
8) تعلموا كيف تصلون
9) الماركسية في الميزان
10) التحدي الذي يواجه العرب

11) الدين والتنمية الإجتماعية

12) الإسلام برسالته الأولى لايصلح لإنسانية القرن العشرين

13) الدعوة الإسلامية الجديدة

14) مشكلة الشرق الأوسط

15) الإسلام وإنسانية القرن العشرين

16) الدين ورجال الدين عبر السنين (هي عبارة سلسلة من المحاضرات تحت هذا العنوان تحوي نماذج مختلفة)

17) بيننا وبين محكمة الردة

18) طريق محمد

19) الإستقلال وقضايا الساعة

20) الموقف السياسي الراهن (ألقى العديد من المحاضرات تحت هذا العنوان هذا العنوان)

21) ماذا بعد الإنتخابات .

22) الأستاذ يحدث النساء في حقوقهن .

23) أسس حماية الحقوق الأساسية .

24) 7 أشرطة كاسيت (تحدث فيها عن تبسيط الدعوة)

25) مواضيع أخرى مختلفة .

مؤلفات الأستاذ:

كتب الأستاذ مايربو على الخمسة وثلاثين كتابًا شارحًا ومبينًا فيها الدعوة الجديدة التي تقوم أساسًا على أن للقرآن أصول وفروع . . كما أشرف على ما يزيد على المئة منشورًا وكتيبًا صغيرًا كانت تخرج ممهورة بأسم الأخوان الجمهوريين تحت إشرافه وتوجيهه ومراجعته كلها فيما يلي رصد لها :ـ

قائمة المطبوعات 1945 – 1980 :ـ

رقم	اسم الكتاب	تاريخ الطبعة
1	السفر الأول	اكتوبر 1945
2	البيان الذي ألقاه رئيس الحزب في الإجتماع العام	1951
3	قل هذه سبيلي	1952
4	أسس دستور السودان	ديسمبر 1955
5	الحزب الجمهوري يقف على حوادث الساعة	1958
6	الحزب الجمهوري يرسل خطابًا لمحمد نجيب وآخر للرئيس جمال عبد الناصر)	1958
7	الإسلام	مارس 1960
8	رسالة الصلاة	يناير 1966
9	طريق محمد	مارس 1960
10	الرسالة الثانية من الإسلام	يناير 1967
11	التحدي الذي يواجه العرب	سبتمبر 1967
12	مشكلة الشرق الأوسط	اكتوبر 1967
13	الدستور الإسلامي ؟ نعم ولا	يناير 1968
14	زعيم جبهة الميثاق الإسلامي في ميزان: (1 . الثقافة الغربية 2. الإسلام) من كتابه أضواء على المشكلة الدستورية	1968
15	الإسلام برسالته الأولي لايصلح لإنسانية القرن العشرين	يناير 1967
16	بيننا وبين محكمة الردة	يناير 1967
17	أسس حماية الحقوق الأساسية	مارس 1969
18	لا إله إلا الله	مايو 1969
19	أسئلة وأجوبة الكتاب الأول	يناير 1970
20	القرأن ومصطفى محمود والفهم العصري	يناير 1971

21	خطوة نحو الزواج في الإسلام	يناير 1971
22	أسئلة واجوبة الكتاب الأول والكتاب الثاني	نوفمبر 1971
23	تطوير شريعة الأحوال الشخصية	يناير 1971
24	الثورة الثقافية	مايو 1972
25	تعلموا كيف تصلون	مايو 1972
26	رسائل ومقالات الكتاب الأول	ابريل 1973
27	رسائل ومقالات الكتاب الثاني	مايو 1973
28	الله نور السموات والأرض	مايو 1973
29	الإسلام وإنسانية القرن العشرين	يوليو 1973
30	الماركسية في الميزان	اكتوبر 1973
31	الإسلام والفنون	مارس 1974
32	الدعوة الإسلامية الجديدة	سبتمبر 1974
33	الدين والتنمية الإجتماعية	ديسمبر 1974
34	لقاء إذاعي مع الأستاذ محمود محمد طه	1975
35	من دقائق حقائق الدين	فبراير 1976

كتيبات الأخوان الجمهوريين التي أشرف على إخراجها :-

36	أضواء على شريعة الأحوال الشخصية	اكتوبر 1973
37	قضايا كوستي هدية لشعبنا	1973
38	إتحاد نساء السودان وقضية المرأة	1973
39	الميزان بين محمود محمد طه والأمانة العامة للشئون الدينية	1974
40	عام المرأة العالمي	1975
41	صفوا قضاة دوائر الأحوال الشخصية	يناير 1975
42	الزي عنوان عقل المرأة وخلقها	فبراير 1975
43	الواجبات قبل الحقوق	مارس 1975
44	الإختلاط بين الشريعة والدين	ابريل 1975
45	بيت الطاعة المشكلة والحل	فبراير 1975
46	المؤامرة من جديد	مايو 1975
47	مهزلة محكمة الردة مكيدة سياسية	مايو 1975
48	القضاة الشرعيون أكبر عقبة أمام عودة الدين	مايو 1975
49	قانون وقضاة الأحوال الشخصية قصور عن الشريعة وتخلف عن العصر	يونيو 1975
50	وقائع قضية بورتسودان ـ الكتاب الآول	يوليو 1975

النائب العام والتدخل في قضية بورتسودان

قضية بورتسودان البداية والنهاية

الطفل والتغذية

80	قضية بورتسودان البداية والنهاية	ابريل 1976
81	ازمة الوعي والحرية بجامعة الخرطوم	ابريل 1976
82	تجديد الدعوة إلى طريق محمد	ابريل 1976
83	الأخوان الجمهوريون في جريدة الأهرام المصرية	ابريل 1976
84	المنشور الثالث – تماسك الجبهة الداخلية لإحباط تآمر الشيوعية الدولية	ابريل 1976
85	The Religion of man: a new conception of Islam	مايو 1976
86	لماذا نؤيد سلطة مايو	مايو 1976
87	المنشور الرابع خذوا حذركم الشيوعية الدولية هي الإستعمار الجديد	مايو 1976
88	المنشور الخامس رسالة إلى الصادق والهندي والشيوعيين والبعثيين	مايو 1976
89	المنشور السادس _ بيانات نقابة المحامين وجمعية القانون	مايو 1976
90	نحن نتهم شريعة الأحوال الشخصية	مايو 1976
91	معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية خلال ثلاثون عامًا (الكتاب الأول)	مايو 1976
92	معالم على طريق تطور الفكرة الجمهورية خلال ثلاثون عامًا (الكتاب الثاني)	مايو 1976
93	ماذا قال الأستاذ محمود عن الصلاة	مايو 1976
94	مؤتمر فتح العاصمة	مايو 1976
95	المنابر الحرة	مايو 1976
96	اناشيد في طريق الرُجعى	مايو 1976
97	خمر المعاني	مايو 1976
98	An Introduction. to the second message of Islam	مايو 1976
99	الأخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية	يونيو 1976
100	الطائفية وحوادث الجمعة وعار الأبد	يوليو 1976
101	هل هذا هو الإسلام وهل هذه هي مصر؟	يوليو 1976
102	الأخوان الجمهوريون في جريدة الأخبار المصرية(الكتاب الثاني)	يوليو 1976
103	الصوم ضياء والصلاة نور	اغسطس 1976
104	ألحان ومعاني الإنشاد العرفاني	سبتمبر 1976
105	الأخوان الجمهوريون في جريدة الأيام السودانية	نوفمبر 1976
106	أسمهم الوهابية وليس أنصار السنة	نوفمبر 1976

139	المنشور الثاني – إتفاقية السلام ضد مصلحة الشيوعية الدولية وفي مصلحة العرب ـ	1979
140	الأخوان المسلمون يلعبون على الحبلين	يونيو 1978
141	التعليم	يونيو 1978
142	الأمومة	يوليو 1978
143	الطفل والمجتمع	يوليو 1978
144	الطفل والأسرة	يوليو 1978
145	الطفل والمناهج	يوليو 1978
146	التغذية وصحة الطفل	اغسطس 1978
147	صلاة التراويح بدعة وصلاة الثلث الأخير من الليل هي سنة القيام	اغسطس 1978
148	هذا برهاننا على صحة دعوتنا	اغسطس 1978
149	الموقف السياسي الراهن يتطلب حكمة السلطة ووعي الشعب	اغسطس 1978
150	ساووا السودانيين في الفقر إلى أن يتساووا في الغنى	اغسطس 1978
151	الطفل ووسائل الإعلام والترشيد	اغسطس 1978
152	لجنة تعديل القوانين بجعلها لحد الخمر تعزيراً تزيف الشريعة وتعوق بعث الدين	اغسطس 1978
153	مقترحات الأزهر للدستورالإسلامي جهالة لاتمثل الدين	اغسطس 1978
154	الضحية غير واجبة، لاعلى الفقراء ولا على الأغنياء	سبتمبر 1978
155	تآمر الأخوان المسلمين بحادث المسجد يجب أن لايجوز على الطلاب	سبتمبر 1978
156	إتحاد الأخوان المسلمين إستغلال للدين وفساد للحياة الجامعية	سبتمبر 1978
157	هكذا تحدثت الدكتورة سعاد الفاتح	اكتوبر 1978
158	سقوط الأخوان المسلمين بجامعة الخرطوم	اكتوبر 1978
159	بداية نهاية الأحوان المسلمين بجامعة الخرطوم	اكتوبر 1978
160	الطفل والمعلم	اكتوبر 1978
161	لتكريم ذكرى اكتوبر اقيموا المنابر الحرة ومهدوا بها لنشر الفكر الرصين وبناء الخلق المتين	اكتوبر 1978
162	الكذب وتحري الكذب عند الأخوان المسلمين	اكتوبر 1978
163	الخميني يؤخر عقارب الساعة	ديسمبر 1980
164	لجنة تعديل القوانين بقانون أصول الأحكام القضائية تتوه القضاء وتضعف العدالة	ديسمبر 1980
165	إلى متى هذا العبث بعقول الناس ودين الله؟	يناير 1980

166	الجامعة الإسلامية تعدي على الحريات بأسم الدين	يناير 1980
167	السادات والعرب وسياسة السودان الخارجية	يناير 1980
168	القانونيون وقضية الساعة	فبراير 1980
169	غزو أفغانستان التذير العريان	مارس 1980
170	هذه ليست بجامعة	مارس 1980
171	يكذبون على الشعب . . ويضللونه بأسم الإسلام	مارس 1980
172	الطفل والمناهج	مارس 1980
173	أسألوا المدير	مارس 1980
174	الكرسي الساخن ونائب المدير وحوادث الجمعة	مايو 1980
175	رسالة إلى مشايخ الطرق الصوفية	مايو 1980
176	أزمة الجامعة الحل العاجل والحل الآجل	مايو 1980
177	الهوس الديني يهدد أمن ووحدة الشعوب ويعوق بعث الأسلام	يونيو 1980
178	لاتفسدوا تربية النشء بإسم الدين	اغسطس 1980
179	اليأس من حكم القانون يفتح الطريق للفتنة	اغسطس 1980
180	أربعة أسئلة من الجمهور وأربعة أجوبة من الجمهوريين	اغسطس 1980
181	المؤامرة والشيوعيين والصادق والهندي والأخوان	اغسطس 1980
182	ماذا يراد بالجامعة لبوادر فتنة جديدة ؟	سبتمبر 1980
183	نقترح التمثيل النسبي المفتوح للخروج من الفتنة	اكتوبر 1980
184	من هم . . . ومن نحن . . . ؟	اكتوبر 1980
185	القضاء المدني في قفص الإتهام	اكتوبر 1980
186	ماهو البديل لنظام مايو !؟	اكتوبر 1980
187	ابو زيد الوهابي ومحنة المساجد	اكتوبر 1980
188	Towards The Second Message of Islam	نوفمبر 1980
189	هذا قرن الهجرة الثانية من المدينة إلى مكة بمناسبة بداية العام الثاني من القرن الخامس عشر	نوفمبر 1980
190	الموقف السياسي الراهن	1984
191	الشيعة	1984
192	ديباجة الدستور	1984
193	هذا . . او الطوفان (المنشور الأخير)	ديسمبر 1984

المراجـــع

1) القرآن الكريم

2) قراءة الأيام (حكايات الاستاذ للمؤلفة عن نفسه وأسرته)

3) مشاهدات ومتابعات المؤلفة الشخصية لكثير من الاحداث , وبعـض ماحكتـه عن طفولته مربيته ربي جود .

4) مؤلفات الاستاذ محمود

5) كتاب الرسالة الثانية من الاسلام

6) نطوير شريعة الاحوال الشخصية

7) لا إله إلا الله

8) معالم في طريق تطور الفكرة الجمهورية خلال ثلاثين عاماً , الأول

9) معالم في طريق تطور الفكرة الجمهورية خلال ثلاثين عاماً , الثاني

10) ثورة أكتوبر

11) القرآن ومصطفى محمود ومحاولة لفهم عصري (الرد)

12) الدين ورجال الدين عبر السنين

13) محمود محمد طه يدعو الى طريق محمد

14) قل هذه سبيلي

15) رسالة الصلاة

16) لا اله الا الله

17) ثورة اكتوبر

18) بيننا وبين محكمة الردة

19) رسائل ومقالات الأول .

20) رسائل ومقالات الثاني

21) جريدة الجمهورية العدد الأول 1954

22) سلسلة قضية بورتسودان

23) صحيفة ة الاضواء السودانية

24) التحدي الذي يواجه العرب

25) مشكلة الشرق الآوسط

26) مجلة جون آفريك

27) حوار مع الصفوة – دكتور منصور خالد – مقال دكتور منصور خالد بعد التنفيذ

28) القبس الكويتية

29) القارديان البريطانية

30) صحيفة ة الصحافة السودانية

31) صحيفة الأيام السودانية

32) خطابات الأستاذ للمؤلفه

محمود محمد طه

مدينة المهدية ـ الحارة الأولى

أم درمان

ت ٥٩٩٢٣ ـ ص.ب ١١٥١

[illegible]

ابن مریم مقطع ہے

اچھا ایک مبلغ مشرب

حبش کے کشف عا عمرہ

مقطع اس

عرا

مسلم

۱۹/۲

۲۸۸۱

[illegible]

كل أموال الكتب كانت

عن مساعدات للمحتاج

تقليل مصاريف منزلية وهذا

عوضاً للطلبات العرض التي كانت ترسل منه دون حد

المال فيك

فهرس المحتويات